

البيانيسٲ



## دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : [Dream.pen92@gmail.com](mailto:Dream.pen92@gmail.com) / [Dream.pen92@yahoo.com](mailto:Dream.pen92@yahoo.com)

---

### البيانيست

---

تامر إمام

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩م

غلاف : عمار جمال العبد

التصميم: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ٢٠١٩ / ؟؟؟؟

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

---

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

# البيانيسـت

رواية

تامر إمام





## إهداء

إلى هؤلاء الذين تعذبهم أنفسهم فيتحملون حتى لا تقتلهم شفقة  
من حولهم..



## «سارة»

مشيتُ في خطوات سريعة وأنا أتلفت حولي بين الحين والآخر.. الوقت متأخر، أنا أعني ذلك.. تماماً كما أعني أنه ما كان بإمكانني ألا أذهب إلى البروفة الليلة بالذات، فميعاد الحفل اقترب وأنا على استعداد تام لأن أفعل أي شيء من أجل أن أظهر بمظهر أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه رائع، لا يهمني الفرقة نفسها، فلتذهب الفرقة كلها وليذهب كل فردٍ فيها إلى الجحيم، لا يهم، فأنا لا أعبأ بهم كثيراً على كل حال، المهم أن يتحاكى الجميع عن عازفة الكمان تلك التي سحرت أعينهم قبل حتى أن تسحر آذانهم...، نعم، فليست موهبتي وحدها هي ما يميزني عن باقي الفتيات..

ظلمتُ أكررها بصوتٍ لا يعلو على صوت وجداني، أنا مزيج من الجمال والتحدي والثقة، خليط لم يجتمع في أنثى إلا واشتهتها الأنفس كما تشتهي ثمار الجنة، على الأقل هذا ما أراه في مرآتي كل يوم صباحاً ومساءً، وحينما أمرُّ بجانب زجاج لامع قليلاً لسيارة متوقفة، فلقد أيقنت منذ فترة ليست بالقليلة أنني -على عكس الكثير ممن عرفتهم من بنات جنسي- أحب ما أنا عليه.. أحب كوني أنثى، وأحب كوني كذلك بطريقتي أنا.. يمكن لأي فتاة أخرى أن تتحجج بالمواعيد المتأخرة للبروفات، بعدم قدرتها على المكوث خارج البيت لتلك الساعة،

بأي حجة من تلك الحجج التي نجيد جميعنا أن نصوصها.. لكن ليس أنا، ليست (سارة) من تفعل ذلك.. لقد خُفِّتُ لأنجح، هذه قناعتي الخاصة، وسأفعل المستحيل من أجل أن أثبت أن قناعتي تلك على صواب..

كانت ليلة مليئة بالغيوم مع أننا لم نصل بعد إلى منتصف نوفمبر، أذكر أنها أمطرت مرة أو مرتين منذ حلول الخريف، ومن لا يعرف أمطار الإسكندرية التي تحيل كل شيء إلى خليط من الطين والمياه الراكدة؟.. لكن السماء احتفظت وقتها بصفائها، الليلة مختلفة، أشعر بهذا، تلك الرعشة التي تصيبني كلما لفح الهواء البارد وجهي ينبئني أنها ليست ككل ليالي الخريف التي أعشقها، تلك السُّحب الرمادية التي تشعر أنها تغلف روحك نفسها، هذا الجو يُثير الكآبة، لا الخيال..

تلفتُ حولي وأنا أسمع صوت كعب حذائي المرتفع ورنة خلخالي الذهبي الرقيق يشقان ذلك الصمت.. صمت شديد، رهيب.. ذلك الصمت الذي يصم الأذان ويجعلك لا تطيق أن تبقى فيه لثانية واحدة أخرى.. تلفتُ حولي مرة ثانية وأسرعت الخطى أكثر وأنا ألعن في سري مخترع الكعب العالي، لدينا من الإمكانيات الجسدية ما يجعلنا نبدو جذابات بما يكفي، لم يكن ينقصنا هذا الاختراع الذي يقصم الظهر كي نبدو أكثر جمالاً، لكنني سأرتديه، طالما سيزيدني جمالاً سأرتديه، لن أترك لإحداهن الفرصة كي تحظى بهذه الميزة التنافسية.. صوت خطواتي يعلو، أو هكذا أشعر، لكنني أراه يؤنس وحشة هذا الطريق اللعين.. تلفتُ حولي مرة أخرى وقد بدأت ضربات

---

قلبي تنضم إلى صوت حدائي ليكوّنا أوركسترا خاصًا بهما ، يا لها من معزوفة تثير الأعصاب ، فليحدث أحدهم الآن أرجوكم ، سأجن إن لم يفعل..

ثم قفزت في الهواء عندما شق ذلك الصوت مسامعي..  
وكأنه كان ينتظر أن تتلف أعصابي تمامًا قبل أن يصدر ،  
انبعث صوت هاتفي يشق الفراغ ويجعل الجلد على ذراعي يصير  
كجلد الإوز وأنا أشعر بقلبي يهبط داخل صدري كأنما أهوي  
فتخطفني الطير..

توقفت ليهتز جسدي بذلك التموج المحبب لكل من أعرفهم  
ورأيت تأثيره كثيرًا في أعينهم المتلصصة ، وأخرجت هاتفي  
في عصبية ، تبًا ، إنها أمي مرة أخرى ، لا ، لن أرد ، لست في  
مزاج الآن لتلك الكلمات التي ستلقها على مسامعي.. ستؤنّبني  
على مكوثي خارج البيت لتلك الساعة ، ستصرخ ، ستتهرني ،  
ستطلب مني أن أترك الفرقة والعزف وأي شيء آخر يجعلها تشعر  
بعدم سيطرتها عليّ ، لا ، فلنؤجل كل هذا حتى أصل إلى البيت..  
أسرعت الخطى أكثر حتى صرت أسمع صوت أنفاسي  
تتسارع وكأنما قد قرر انضمامه إلى الأوركسترا هو الآخر ،  
سأحتاج إلى أن أمارس الرياضة بشكل أكثر انتظامًا ، ما  
زلت في سنّ صغير حتى تتلاحق أنفاسي هكذا كالمسنين ،  
إذا استمررت على هذا الحال سأحتاج حتمًا إلى توسيع بعض  
الشرايين مع دعامة أو دعامتين قبل أن أصل لعقدي الخامس ،  
لا بد أن...

توقفت أفكاري وأنا أستمع إلى تلك الخطوات التي تقترب من خلفي..

لا، أنا لم أتخيل ذلك الصوت، صوت خفيف هو، يبدو أن صاحب الخطوات يرتدي حذاءً رياضياً، لكن أذني الحساسة للموسيقى التقطتها، تلك الأذن التي تعودت أن تلتقط أدق الأصوات مما كان يثير تعجب من حولي ممن لم يرزقهم الله بمثل هذه الموهبة، ناهيك عن ذلك الهدوء البكر الذي يحطم الأعصاب، والذي جعلني أسمع حتى حفيف الأشجار القليلة الملقاة بإهمال على جانبي ذلك الشارع الذي طالما تعودت أن أسير فيه جيئةً وذهاباً من وإلى المدرسة، فما زالت حياتي تدور في تلك البقعة من الإسكندرية ولا تريد أن تفارقها.. لماذا قرر أحدهم فجأة أن استوديو بجانب مدرستي القديمة «ليسيه الحرية» ستكون فكرة جيدة؟

أرهفت السمع أكثر، كيف لم أنتبه إلى تلك الخطوات من قبل؟ لا بد أنني غرقت في أفكاري اللعينة التي دائماً ما تأتي في غير وقتها، نفضتُ خواطري عن رأسي مرةً أخرى وعدت أنصت لتلك الخطوات.. لم يتبق إلا القليل وأصل إلى طريق الحرية أو شارع أبو قير كما يلقبه الجميع الآن.. كان بإمكانني أن آخذ تاكسي أو أوبر أو أي وسيلة لعينة أخرى، لم تكن فكرة جيدة أن أمشي الآن، في هذا الوقت، في هذا الشارع بالذات، لكنني كنت بحاجة إلى بعض الصفاء الذهني قبل الحفل.. كنت أريد أن أتخلص من تلك الطاقة السلبية التي تغزوني دائماً وأنا في انتظار حدوث شيء ما، وكنت أنا -بعد

الكثير من التجارب- قد كونت رأياً لا يقبل النقاش؛ أن المشي وحيدة هو أكبر طاردي الطاقة السلبية ، بالنسبة لي على الأقل.. لعنتُ نفسي وطاقتي السلبية وتلك الفكرة الحمقاء ، وأسرعت الخطى أكثر فوجدت لشدة رعبى أن الخطوات خلفي تسرع هي الأخرى ، نظرت للخلف وأنا أحاول السيطرة على أعصابي وأن أمنع نفسي من الركض..

ثم رأيت..

لم تكن الإضاءة جيدة لكني استطعت أن ألمح كتلة السواد تلك التي كانت تتبعني في إصرار..

ارتفعت يداي رغماً عني حتى وجدت أصابعي المرتجفة تلامس شففتاي وشعرت بعيني تتسعان في رعب وأنا أحاول أن أتمالك نفسي وألاً أفقد أعصابي التي صارت مفككة تماماً الآن.. بدأت أحدث نفسي بصوت مسموع في محاولة مني ألا أفقد رزانة عقلي.. هو مجرد شخص آخر يا (سارة) قاداته الظروف للعودة متأخراً هو الآخر ، والمرور من نفس الشارع المشؤوم.. سأستمر في السير بخطوات بطيئة وسيعبر هو ثم سأسرع الخطى خلفه حتى أصل لشارع أبي قير..

كنت قد وصلت بالفعل إلى كلية الهندسة لتصير عن يساري الآن على الناحية الأخرى من الشارع ، نظرت إلى الخلف لعلي أجد سيارة قادمة أو أي شخص آخر؛ لكن الشارع ظل خالياً للأسف إلا من ذلك الشخص الذي ظل يتبعني في إصرار.. تباً لذلك الضوء الخافت الذي يأتي من أعمدة الإنارة والتي قد تلفت معظم مصابيحها ولم يتم صيانتها كالعادة ، لم أتبين من ذلك

الشخص الذي يسير خلفي سوى أنه قصير القامة نوعاً، لكن لا شيء آخر، فقط كتلة من السواد تتحرك خلفي.. الشارع مرعب بما يكفي، لا أحتاج إلى ذلك الشخص كي يزيد من شعوري بالرعب.

نظرت للخلف مرة أخرى وقلبي يتواثب داخل صدري، ثم قررت أن أعبّر إلى الناحية الأخرى من الشارع، بالتأكيد سيستمر هو في سيره وستسمح لي زاوية الرؤية بمتابعة خطواته بشكل أفضل حتى يمر، ناهيك عن أنه سيكون بجانبها وقتها لا خلفي عند مروره..

عبرت إلى الجهة الأخرى بالفعل وصوت لهاثي يرتفع ويشعرنني بضعفي أكثر فأكثر.. أي طموح وأية أحلام تلك التي أتحدث عنها وأنا بذلك الوهن؟ أنا مجرد أنثى أخرى تحتاج لمن يشعرها بالأمان، تبا لي ولأحلامي، سأصل إلى البيت ثم سأوافق على أول عريس، على الأقل لن أحتاج أن أسير وحيدة مرة أخرى..

وصلت للناحية الأخرى من الشارع واعتليت الرصيف وأنا أحاول ألا أفقد اتزاني وأنا أسير فوق سيخين الحديد المسمان بالحذاء، وحانت مني التفاتة إلى الخلف لأجد لشدة رعبي أن ذلك الشخص قد عبر الشارع هو الآخر ويسير خلفي تماماً الآن.. لم يعد هناك مجالاً للشك.. الأمر ليس مصادفة إذن.. ذلك الشخص قد أتى من أجلي أنا بالذات..

وكان هذا أكثر مما يمكنني تحمله..

وبكل ما أوتيت من قوة، أطبقت بيديّ على حقيبة الكمان

وانطلقتُ أعدو وأنا أشعر بكعب حذائي يئن مع كل خطوة ،  
تسارعت أنفاسي أكثر فأكثر وشعرت بقلبي تكاد تقذفه  
حركته الجنونية إلى خارج صدري ، لاح أمامي الآن شارع أبي  
قير ، لا يفصلني عنه سوى مِثْتي متر تقريباً ، حدثت نفسي بصوتٍ  
عالٍ مرة أخرى لعل كلماتي تضي على نفسي ولو القليل من  
الأمَل ، فلتتمالكي نفسك يا (سارة) ، فستصليين خلال دقيقة  
على الأكثر .

ثم حانت مني التفاتة أخرى إلى الخلف لأجد ذلك الشخص  
خلفي تماماً ولا يفصله عني سوى ما لا يزيد عن النصف متر ..  
كانت ملامحة واضحة تماماً الآن عبر تلك المسافة القريبة ..  
هل أنا أهذي أم أنه يبدو كذلك فعلاً؟ ..

تسمر جسدي تماماً واحتبست صرخة داخل حلقي وأنا أتطلع  
إلى ملامح ذلك الشخص أو الشيء الذي يقف أمامي الآن ..  
لا ، ليس هذا حقيقي ، لا يمكن أن تكون ملامح أحدهم  
بهذه البشاعة ، لا ، ليس هذا الشيء آدمياً ..  
ولرعي امتدت يد ذلك الشيء نحوي ..

انطلقت أخيراً تلك الصرخة التي احتبست داخل حلقي ..  
صرخة عالية ، مدوية ، قادمة من أعماق أعماق الجحيم ، صرخة  
أنثى تتعذب بأبشع الطرق طرّاً ، وبوسائل قلماً خطرت على قلب  
بشر ..

لكن تلك الصرخة توقفت فجأة عندما اندفعت يد ذلك  
الشخص -والذي تبينت متأخراً جداً أنها كانت ممسكة

بسكين ضخم - نحوي وانغرزت في بطني حتى المقبض..  
لم أصرخ ثانية.. كان الرعب والذهول قد فاقا الألم الذي  
أشعر به ، حتى إنني ظللت أنظر في عيني ذلك الشخص دون أن  
ألفت لأرى سائل الحياة وهو يتدفق إلى خارج جسدي..  
هو أيضاً فعل الأمر ذاته.. استمر في النظر في عيني وكأنما  
يشاهد هما وهما يبهتان وتبهت فيهما الروح ويغادرهما ذلك  
البريق الذي طالما وشى بحبي للحياة..  
كان لا يزال ممسكاً بالسكين وهي بداخلي..  
ظلّ يتطلع إليّ لوهلةٍ ثم سحب السكين لتخرج من جسدي  
وتخرج معها روحي كأنما لم تقدر على فراقها..  
ثم سقطت على الأرض..  
كأنما أنا دمىة نسي محرّكها أن يربط خيوطها فهوت  
متحطمة على خشبة مسرح العرائس..  
دون جمهور للأسف..  
رفعت عينيّ الذاهلتين إليه فوجدته ينحني ليجلس على  
ركبتيه ويرفع يده الممسكة بالسكين عالياً كأنما يستعد  
لطعني مرة أخرى..  
ثم توقف فجأة ونظر إلى الناحية الأخرى من الشارع..  
تحاملت على نفسي ونظرت إلى حيث ينظر ، فلم أجد أي  
شيء..

أدرتُ عينيّ إليه مرة أخرى فوجدته - لشدة رعبى - يبتسم..

---

نظرتُ مرةً أخرى إلى حيث ينظر فلم أرَ أي شيء.. لا يوجد  
أحد هنا ، نحن بمفردنا تماماً..

شعرت بوعيي يتسرب مني رويدا رويدا.. التفتُ إليه مرة  
أخرى وتأملت ملامحه المرعبة كأنما أريد أن تنطبع ملامحه  
في ذاكرتي حتى يستخرجها منها مَنْ سيشرح جثتي ويعرفُ مَنْ  
قتلني.. بدأت أشعر بالبرودة تنتشر في أطرافي ، شعرت كأنما  
أرقد داخل مبرد طعام ، لا على الرصيف وذلك الشخص جاثم  
فوقي..

وبحاسة لمس بدأت أفقدها ، أحسست بيديه تمسك بفخذي  
وتباعد بينهما ، أردتُ أن أقاوم ، أردت أن أبعد يديه ، أردت أن  
أخبره كم أنا غالية ، كم كنت أدخر جسدي هذا لشخص  
آخر ، لكن قواي كانت قد خارت تماماً الآن..

بدأ الوجود يتلاشى من حولي شيئاً فشيئاً وبدأت أحس  
بلمساته لجسدي تخفت ورأيت صورته المهزوزة وهي ترفع  
السكين لأعلى..

ثم لم أعد هناك..

فلقد اختفى العالم من حولي تماماً.. و..

وأظلم كل شيء..



## «حسين»

- «ها يا (أروى)»

- «...»

- «(أروى)!»

التفتت إليّ أخيراً.. كانت تبدو شاردة الذهن تماماً كأنما  
قد أفاقت لتوّها من سُباتٍ عميقٍ.. نَظَرْتُ إليّ تلك النظرة الخاوية  
التي أراها كثيراً في عينيها ، وباعدت بين شفّتيها كأنما تحاول  
قول شيءٍ ما ، ثم قالت أخيراً بصوتٍ مختنقٍ:

- «معاك يا دكتور»

ظلمت أنظر لها وأنا أحاول ألا يبدو على وجهي أيّة انفعالات..  
أشعر الآن بالاستغراب من عدم قدرتي على إخفاء مشاعري  
منذ أن رأيتها ، منذ أن خطت أول مرة داخل عيادتي التي طالما  
مارست فيها قدرتي على إخفاء مشاعري عن مرضاي ، حتى وأنا  
أشعر بكل ما يشعرون به ، بكل ما يحكونه لي من آلام ، كل  
ما يعتمل بداخلهم ولا يسمحون لأيّ مَنْ كان بالاطلاع عليه ، إلا  
هنا ، إلا أمامي ، يفرغون ما في أرواحهم على مسامعي وأجلس  
أنا أحلل وأضع الخطط لأزيح عنهم ذلك السقم الروحي ، لكن  
هذه المرة تختلف ، ليس معها ، ما أشعر به نحوها لم أشعر به  
مطلقاً تجاه أي مريض آخر ، بل تجاه أي أنثى أخرى.. ابتلعتُ ريقِي  
وأنا أشعر أنها تسمع صوت أفكاري وقلّت محاولاً استعادة لهجة

الطبيب النفسي العالم ببواطن الأمور:

- «لأ مش معايا يا (أروي)»

أخَذَتِ نَفْسًا عَمِيقًا وَزَفَرَتْهُ بِيْطَاءَ ، ثُمَّ قَالَتْ بِنَفْسِ الصَّوْتِ

المبحوح:

- «معلش ، أنا سرحت بس شوية»

التَقَّتْ عَيْنَانَا لَوْهَلَةٍ ثُمَّ قَطَعَتْ أَنَا الصَّمْتَ كِي لَا تَفْضَحْنِي

عينايا:

- «كنتِ حتحكي لي عن الحلم اللي حلمتية امبارح»

تتحنَّحَتْ فِي مَحَاوِلَةٍ يَأْتِسَةُ لِتَزِيلِ تِلْكَ الْحَشْرَجَةَ مِنْ صَوْتِهَا ،

ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَدِيرُ بَصَرَهَا إِلَى تِلْكَ اللَّوْحَةِ الْمَعْلُوقَةِ عَلَى الْحَائِطِ

عَنْ يَسَارِهَا وَالَّتِي تَصُورُ مَقْطَعًا تَشْرِيحِيًّا لِلرَّأْسِ الْبَشْرِيِّ:

- «بحلم إنني كنت بتخانق.. يعني ، حاجة شبه المصارعة

كده ، مع واحدة ، هي كبيرة ، أكبر مني ، في السن يعني»

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْنَعْ عَيْنِيَّ مِنْ أَنْ تَتَطَّلَعَ إِلَى تِلْكَ الْخَرَزَةِ الصَّغِيرَةِ

اللامعة التي تزين زاوية أنفها المنمنم ثم شعرت بالحرج من نفسي

فتحنَّحت وقلت بصوت غريب:

- «عجوزة؟»

هزت رأسها ، وقالت وهي تلوح بيدها بإشارة غير ذات معنى:

- «لأ ، مش عجوزة ، هي أكبر مني بس.. أكبر مني بحاجة

بسيطة ، هي جميلة كمان ، جميلة أوي».

تأملت عينيها العسليتين وحاجبيها المنمقين اللذان يزيدان

من جمالهما وقلت:

- «ما أنتِ كمان جميلة يا (أروى)»

قلتها ثم شعرت بحرارة أذناي ترتفع، لا بد أن لونهما قد صار بلون الطماطم الآن، عقدت حاجبي وأنا ألعن نفسي في سري، إذا لم أستطع التحكم في مشاعري سأنتهي الجلسة، أنا على مشارف الخامسة والأربعون، من الجيد أنني لم أرزق أنا وزوجتي بأبناء حتى لا يرون أبيهم يجلس أمام هذه الفتاة الآن ويبدو كمراهق في الثامنة عشر!

الغريب أنني -وأنا أشعر منذ زمن بذلك الخواء العاطفي- لم ألقى من تحرك مشاعري تلك التي انطفأت، أزعج أنني مشهور بشكل ما، بل وظهرت أيضاً كضيف أكثر من مرة في العديد من البرامج التليفزيونية، أقابل يومياً من تستدير لهن أعناق أعتى الرجال، لكن ظل ذلك القلب كالدمية التي نفذت بطايريتها، مرضاي أيضاً كنت أرى أنهم حالات مرضية، مجموعة من العقد النفسية تكونت لديهم منذ الصغر، معادلات لكي أحلها عليّ أن أخمن عدد من المتغيرات، لم أجد فيهن من يشعرنني بأنني لم أدفن منذ فترة وأعيش فقط بالقصور الذاتي.. ثم أتت (أروى) من نفس المكان الذي أتت منه جميع النساء اللاتي جعلن رجالاً يقشعر لذكرهم الأبدان يرتمين تحت أقدامهن، يبدون ويتصرفون كالبلهاء..

أفقتُ على صوت (أروى) وهي تكمل حديثها دون أن تبدي أنها سمعت ما قلته لها:

- «بس كان في واحد واقف بيتفرج علينا»

شعرت بحرج أكبر من تجاهلها لتلك الجملة التي أفلتت مني..  
سألتها باهتمام حاولت أن أضفيه على كلماتي لكي أخفي ما  
أشعر به:

- «شكله إيه الواحد ده؟»

هزّت رأسها فصنع شعرها الكستنائي القصير الذي يصل  
إلى أسفل رقبتها تموجاً محبباً ، وقالت دون أن تنظر إليّ وقد بدا  
أنها تحاول تذكر ما دار في الحلم:

- «شكله ماكانش واضح، مش آآآ ، مش فاكرة ملامحه  
أوي، كل اللي فكراه إنه كان.. يعني، ماكانش لابس هدوم»  
ظلمت أنظر إليها دون أن أعلق، فالتفتت إليّ وقالت وهي تنظر  
في عيني مباشرة:

- «إحنا كمان ماكانش لابسين هدوم، كنا بنتخانق واحنا  
عريانيين، وهو كان واقف يتفرج علينا»

سرحتُ في عينيها لوهلة وأنا أتخيلها في ذلك الوضع حتى  
شعرتُ بالدم يصعد إلى رأسي وبوجنتي تشتعلان فابتلعت ربيقي  
ثم سألتها:

- «وبعدين؟»

رفعت كتفيها إلى أعلى وهي تمط شفتيها الكنزيتين  
فظهرت خطوط الأنسجة في شفتيها من خلال أحمر الشفاه  
القرمزي الذي تضعه ثم خفضت كتفيها وقالت دون أن تفارق  
عيناها عيني:

- «ولا قبلين، خلاص»

نظرت لها في تساؤل فقالت:

- «الحلم بيخلص على كده، بنفضل نتخانق، وبيفضل

بيصلنا من غير ما يتحرك أو يتدخل، بس كده».

قالتها ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها فبدت كأنما تحتمي بذراعيها مني أو من العالم الخارجي، ووضعت ساقاً فوق أخرى وهي تحرك قدميها في حركة عصبية، ألتفتُ دون قصدٍ إلى قدميها وتوقفت عينيَّ على ذلك الخاتم عجيب الشكل الذي يزين إصبع قدمها اليمنى الأوسط ثم ارتفعت عينيَّ كأنما يتحركان بإرادة خاصة بهما لترتكزان على خلخالها القماشي الذي يحمل دلالية بنفس شكل الخاتم.. كانت لا تضع طلاء أظافر على أصابع قدميها، لكن ما تضعه من إكسسوار جعل لها جاذبية لم أفهمها.. لماذا ترتدي حذاء مكشوف من الأساس ونحن في الخريف؟.. أفقتُ من تأملاتي ورفعت عينيَّ إليها بسرعة فوجدتها -لحسن حظي- تطالع لوحة تشريح الرأس البشري مرة أخرى، مددت يدي أبحث عن شيء ما لا أدري كُنهه على مكتبي حتى وجدت نوتة وقلم فالتقطتهما وقلت وأنا أنظر إليها من طرف خفي:

- «أنتِ قلتي (بحلم)، ده معناه إن الحلم ده اتكرر قبل كده،

مضبوط؟»

أومأت برأسها دون أن تنظر إليَّ، وَضَعْتُ النوتة والقلم اللذان أمسك بهما على المنضدة أمامي ثم التفتُ إليها وقلت بصوت هادئ وأنا أحاول التصرف كطبيب يحترم نفسه:

- «ممکن تحکيلي عن مامتک شوية؟»

عادت تنظر إليّ دون أن ترد ، لاحظت أن ملامح وجهها باتت تحمل أمارات التوتر فقلت بنفس الصوت الهادئ :

- «الست اللي في الحلم اللي انتِ بتتخاني معاها دي واحدة انتِ شايفها عدوتك ، ومن سنها الكبير ده ممكن أقول إنها مامتک ، هي ملامحها كانت شبه مامتک فعلاً؟ تقدرى تفتكري حاجة زي كده؟»

لم تُردّ وعقدت حاجبها قليلاً ، لم يفتني أنها بدأت تهز قدمها اليمنى في عصبية بالفعل ، تراجعت بظهري للوراء وأسندتُ ظهري على المقعد ووضعت كفيّ المفرودين على ركبتيّ ، وقلت وأنا أنظر في عينيها :

- «والراجل اللي كان واقف يتفرج عليكم ده ، انتِ برضو قلتي إن ملامحه ماكانتش باينة ، ماشفتيش فيه أي حاجة تقول إنه شبه باباكي؟»

ازداد انعقاد حاجبها وازدادت شدة الهزة التي تهزها لقدمها ، لكنها لم ترد أيضاً ، ظلت تتطلع إليّ بعينين لا تريان.. كان شرود ذهنها بادياً للغاية ، لا أحتاج لأن أكون طبيباً نفسياً كي ألحظ أنّني قد بدأت أضع يديّ على جزء مهم من ماضيها ، هممتُ بسؤالها عن والديها ثانيةً ، لكنها مالت للأمام فجأة في عصبية ، ومدت يدها لتجذب إليها حقيبة يدها الموضوعة على المنضدة وأخرجت منها علبة سجائر مارلبورو حمراء ، سحبت منها سيجارة في عصبية ، ووضعتها بين شفثتها ، ثم

أشعلتها بقداحتها المعدنية ذات اللون الوردى، وسحبّت منها نفساً عميقاً وأغمضت عينيها، وتركت الدخان عابقاً داخل صدرها للحظات.. ثم زفرته أخيراً، وفتحت عينيها ونظرت إليّ، انتظرتها تماماً وأنا أشعر بقلبي يتحرك مع كل حركة منها، عضت شفرتها السفلى بعصبية بدت في نظري في منتهى الإغراء وقالت وقد بدا صوتها يحمل في طياته بعض السخرية:

- «طيب إيه تفسير إن أنا وأبويا وأمي قاعدين في الحلم ملط كدا؟ دا لو اعتبرنا إن كلامك صح وإن هما فعلاً أبويا وأمي اللي في الحلم»

لم تعجبنى نبرتها الساخرة لكني أخفيت ذلك تماماً، صحيح أنني سمعت العديد من العبارات الساخرة من جميع مرضاي تقريباً، خاصةً عندما كنت أقرب من وضع يديّ على شيء مهم في حياتهم، إلا أنني شعرت بكلماتها تخترقني كالرصاص.. ابتلعت ريقى وسألتها السؤال الذي تخيفني إجابته:

- «(أروى)، انتِ عندك علاقات جنسية الفترة دي؟»

ابتسمت في سخرية وهي تنظر إليّ، ظللت أتطلع إلى عينيها وأنا أشعر أنني كلما نظرت فيهما غرقت أكثر فأكثر، حانت مني التفاتة إلى شفثيها المضمومتين وهما تحيطان بالسيجارة وقد بدأت ضربات قلبي تزداد، لا تردي بنعم، أرجوك، رفعتُ عينيّ سريعاً إلى عينيها وأدركت لشدة حرجي أنها فيما يبدو قد لاحظت تطلعي إلى شفثيها، الحرارة التي أشعر بها على وجهي الآن تشي بأن وجهي قد صار بلون الدم، قطبتُ حاجبيّ رغماً عنيّ، رفعتُ هي يدها وأزالت خصلة من خصلات شعرها

القصير من على وجهها دون أن تفارق عيناها عيني، سأسألها سؤالاً أخيراً ثم سأنهي الجلسة الآن، لم أعد أطيع تصرفي كمراهق.. ابتلعت ريتي مجدداً بصوتٍ لا بد أنها سمعته، وقلت محاولاً إخفاء حرجي:

- «انتِ إيه أبعد حاجة فكراها عن مامتك وانتِ صغيرة؟»

قالت بعصبية شديدة فجأة والدخان يتطاير من فمها:

- «هو احنا ممكن نقفل موضوع أبويا وأمي ده دلوقتي؟»

أومأت برأسي ومددت يدي لألتقط النوتة مرة أخرى من على المكتب بجواري على اليسار، كنت بداخلي أريد أن أستمر، أريد أن أعرف عنها أكثر، ليس كمريضة، فدأروى) صارت تحتل مكانة أخرى لدي، حتى وأنا أقاوم ذلك بشدة.. حتى وأنا لأعرف كيف أسيطر على ذلك الشعور الذي يرفضه ضميري المهني.. قلت وأنا أتحاشى النظر إليها:

- «زي ما انتِ عايزة»

ثم أخذت نفساً عميقاً وقلت وكأنما أحدث نفسي:

- «في رأيي يقول إن في الحلم، الشخص بيتمنى إنه يحل مشاكله وهو نايم، بيقول إن احنا بنحلم عشان نحقق رغباتنا اللي مش عارفين نحققها في الواقع، ده رأي (فرويد) في تحليله للأحلام للطفل المدلل».

ثم عدت أنظر إليها وقد بدأت أستعيد بعض من ثقتي وأكملت بلهجة علمية، كأنما ألقى محاضرة ما:

- «بس أنا عندي قناعة شبه تامة إن أحلامنا بتبين لنا اللي

أحنا حاسين بيه تجاه مواقف الحياة المختلفة اللي بنمر بيها ،  
 وبتعمل ده عن طريق رموز.. مش بوضوح زي الواقع ، ده رأيي ،  
 أعتقد إن أنا و(فرويد) عندنا رأيين مختلفين عن الأحلام»  
 اتسعت ابتسامتها الساخرة وهي تستمع لما أقول فتجاهلتها  
 وقلت بنفس الطريقة الأكاديمية :

- «رأيي إن تفسير الحلم هو في الإحساس اللي بيسييه  
 الحلم بعد ما بينتهي.. الحلم وسيلة ، آلة عشان تقلب الأفكار  
 والأحاسيس اللي جوانا ، لو عايزين نعرف الهدف الحقيقي من  
 الحلم يبقى لازم نشوف إيه هو الإحساس اللي بنحس بيه بعد ما  
 نصحى من الحلم»

قالت ببساطة وقد خفت النظرة الساخرة في عينيها قليلاً :

- «بس مش حاسة إن اللي بتقوله ده واقعي»  
 شردتُ ببصري بعيداً وقلت وقد سررتني إنتي عدت أمارس  
 وظيفتي كطبيب نفسي :

- «الحلم عكس الواقع ، الحلم في الحقيقة هو المقابل بتاع  
 الواقع ، بس ده مش معناه إن الحلم مالوش علاقة بالواقع»  
 رفعت حاجبيها وضحكت بعصبية وهي تهز رأسها وقالت :  
 - «مش فاهمة»

التفتُ إليها ونظرت في عينيها مباشرة وقلت وأنا أضغط على  
 كل حرف من حروف كلماتي :

- «زي الحلم بتاعك كده ، البنات اللي بتتخانق مع أمها -إللي  
 هي أنت- البنات دي حاسة دايمًا بأنها في حالة قمع من أمها ،

ماكانتش بتقدر تقف قدامها في الواقع رغم إنها من جواها عارفة إنها تقدر تقف قدامها، بس في الحقيقة ماقدرتش، والقمع ده كان من أمها مش من أبوها، وإلا كان زمانها شافت أبوها هو اللي بيتخانق معاها مش أمها، بالعكس، أبوها كان واقف يتفرج، مش بيتدخل، ده معناه إنه برضو ماكانش بيتدخل في الواقع، مع إنها كان نفسها إنه يتدخل، عشان كده شافته رغم انشغالها بخناققتها مع أمها، والبنت دي لما تحس بالقمع -كنوع من الاحتجاج- بتدخل في علاقات جنسية عشان تحس إنها بتحتج على القمع ده، بتؤذي أبوها وأمها مع كل واحد تكون معاه، حتى لو العلاقة دي كانت مع حد ماترفوش أوي، عشان كده كنتم طالعين في الحلم من غير هدوم، البنت اللي في الحلم يا (أروى) كانت حاسة إن أبوها وأمها هما السبب إنها بقت عريانة قدام أول حد تتعري قدامه، عشان كده عرتهم في خيالها، وبكده الحلم بيسيب عندها إحساس بكل اللي عملوه فيها، واللي هي كان نفسها تعمله فيهم، الفكرة في الإحساس اللي سابه الحلم يا (أروى)، مش في الحلم نفسه"

شردت ببصرها بعيداً في الحجرة، ولمحت رعدة في يدها الممسكة بالسيجارة، لقد بدأت أسبر أغوارك يا من تحيلين حياتي جحيماً، جلسة أخرى، ربما جلستان وستبكين ثم ستحكين لي كل شيء، لكني أخاف ما سيحدث وقتها، هل سأحكي لك؟ هل سأخبرك بما تفعله عينك بي؟.. كانت تعقد حاجبيها وتضم شفيتها وهي ممسكة بالسيجارة في يدها اليمنى رافعة إياها إلى أعلى في حين تضم ذراعها اليسرى إلى صدرها

وتستند بمرفقها الأيمن عليه، تأملتها.. فبدت -في عيني- رغم كل الأسى الظاهر على وجهها، جميلة.. يجب أن يضع أحدهم قانوناً يمنع النساء من أن يصرن أكثر جمالاً مما ينبغي.. تتحنّط وابتلعت ريقى مرّةً أخرى وقلت محاولاً ألا يفضحني صوتي:

- «انتِ عارفة إن دي الجلسة رقم ٩٨»

التفتت إليّ وانقلبت سحنتها فجأة، وقالت بعصبية شديدة وهي تنظر إليّ نظرة جعلت قشعريرة غريبة تسري في جسدي:

- «انتِ بتفتي»

ثم مدّت يدها لتطفئ السيجارة في المطفأة الموضوعة أمامها على المنضدة وقالت بنفس العصبية:

- «بتقول أي حاجة، وبتعدّل على (فرويد) نفسه وفاكر

نفسك إنك بكلمتين حكيتهملك حتفهمني»

ثم ضحكت بعصبية وهي تنظر إليّ، حاولتُ ألا أبدو مهزوزاً.. كانت هذه من المرّات القليلة التي أثارت مريضةً ما ذلك الشعور لديّ بفقدان الثقة، رسمتُ على وجهي ابتسامة وقلت لها بصوتٍ حاولتُ أن أجعله هادئاً:

- «أنا عرفت عنك حاجات كثير في الثمان جلسات دول يا

(أروى)، بس لسا في حاجات كثير برضو ما عرفتهاش عشان

أقول إني فهمتك فعلاً»

نظرتُ إليّ طويلاً بنفس النظرة ثم لانت نظراتها قليلاً وقالت:

- «لأ»

قلت وقد أفقدتني الكلمة تركيزي:

- «هو إيه اللي لأ؟»

مدت يدها إلى علبة سجائرها وقالت وهي تشعل سيجارة  
أخرى في هدوء مستفز:

- «مش حتفهمني»

رفعت حاجبي لأعلى وأنا أتعجب من رد فعلها ثم خفضتهما  
وقلت:

- «ليه بتقولي كده؟»

سحبت نفساً من السيارة وبدأت تلملم أشياءها بيد واحدة  
استعداداً للرحيل، لم أستطع أن أمنع عيني من أن تتركزاً على  
بنطالها الجينز الضيق، ثم أشحت بوجهي وقد بدأت أشعر  
بالضيق من عدم سيطرتي على نفسي، قالت دون أن تنظر إلي:

- «لأني أنا نفسي مش فاهمة نفسي»

ابتسمت في مرارة وأنا لا أزال أتابعها حتى فرغت من لملمة  
أشياءها وعادت تنظر إلي بنظرة متحدية، ألقىت نظرة سريعة  
على أصابع يدها المزدحمة بالخواتم والتي لم تحمل طلاء أظافر  
هي الأخرى، والتي وجدتها أيضاً شديدة الجاذبية.. تباً لذلك  
الشعور الذي كنت قد نسيتَه، أن تنظر إلى امرأة وتجد أن كل  
شيء فيها يعجبك، فقط كل شيء.. قلت:

- «دي شغلتي يا (أروى)، انتِ جاية هنا عشان كده، عشان

أفهمك، وأعتقد الإحساس السيء اللي انتِ حسيتيه دلوقتي ده  
حيكون راح المرة الجاية، وبطلي تفكري شوية، خرينا نفكر  
هنا مع بعض، مافيش حاجة حلوة أو وحشة، التفكير في

الحاجة دي هو اللي بيخليها كده"

عادت تبتم في سخرية بزاوية فمها ثم قالت بإنجليزية سليمة:

«There's nothing either good or bad, but thinking makes it so»

نظرت لها دون أن أتكلم، لا بد أنها رأت الدهشة بادية على

وجهي فقالت ببساطة:

- «شكسبير!»

خفق قلبي وأنا أكتشف ميزةً أخرى بها، هذه فتاة تحفظ مقاطع لشكسبير أيضاً، وباللغة الإنجليزية، كيف عرفت أنني أهيم حباً بالأدب الإنجليزي؟ كيف فطنت إلى أنني كنت أذوب عشقاً وأنا أنصت إلى مدرسة اللغة الإنجليزية الحسنة وهي تقرؤه علينا بصوتها الرقيق؟.. لكن هذه المرة شعرت شعوراً مختلفاً تماماً، خاصة عندما تم سرده بصوتها.. هذا الذي يشوبه بحّة محببة، لي على الأقل.. لم يكن هذا ينقصني، لم أدر من قبل أنني أعشق النساء المثقفات، لكنني اكتشفت ذلك الآن فجأة، ثم أيقنت لشدة خوفي أنني صرت أعشق ما تفعله هي، مهما كان ذلك الشيء.. ابتسمت وهي ترى الاندهاش على وجهي ودارت على عقبها واتجهت إلى الباب وهي تقول بصوت عال:

- «سلام يا دكتور (حسين)»

ظللت أتابعها وهي تتمايل خارجة من مكثبي دون أن أمنع عيني من تأمل جسدها حتى فتحت الباب وخرجت وأغلقت خلفها في هدوء.. نظرت إلى الباب المغلق لوهلة، وشعرت فجأة بالفراغ الذي تركته خلفها فخفضت رأسي ونظرت للأرض في أسى

---

وأنا أفكر في تلك الجلسة التي انتهت فجأة والتي لسبب لست متأكداً منه حتى الآن، لم أكن أرغب في أن تنتهي.. شعور الضعف هذا يعذبني، شعور أنك تفقد رويداً رويداً سيطرتك على نفسك، لكنك في الوقت ذاته تجد متعة غريبة في فقدانك لتلك السيطرة..

ظللت على هذا الوضع لما يزيد عن الدقيقة وأنا أعيد في ذاكرتي كل ما فعلته هي أو قالته، ثم رفعت رأسي أخيراً وأخذت نفساً عميقاً وزفرت زفرة حملت كل حرارة الدنيا، ثم درت على عقبي واتجهت إلى حجرة الاستقبال في خطوات بطيئة..



## «سيف»

وقفتُ أمام جثَّتها وأنا أرتشف من كوب القهوة في صمت..  
دائمًا ما كرهت المكالمات التي تأتيني متأخرًا..  
رنة الهاتف تلك القادرة على إيقاظ الموتى، لم أعد متزوجًا  
كما تعرفون؛ لذا لم أكرث كثيرًا لصوت الهاتف المرتفع،  
فلن تزعج تلك المكالمات الآتية نوم أحدهم كما كانت تفعل  
من قبل..

استيقظتُ فجأةً كما هو المعتاد ونظرت في الهاتف لأجد  
أن المتصل هو (إبراهيم)، تتأبَّت وقد أيقنت بمجرد رؤية اسمه  
على شاشة هاتفي أنها ستكون ليلة أخرى من تلك الليالي التي  
أمضيها خارج البيت تحت الأمطار أو في الحر المقذع؛ لأتفقد  
تلك الجثة التي قرَّر أحدهم فجأةً أن حياتها على هذا الكوكب  
قد استمرت أكثر مما ينبغي..

وضعتُ الهاتف على أذني وسألته عن العنوان، لن أضيع الوقت  
في أسئلة سألها مرة ثانية لاحقًا وأنا في موقع الجريمة،  
كيف عرفت أنها جريمة؟ الأمر بسيط، لأن (إبراهيم) يعلم  
تمامًا أنه إن لم تكن هناك جريمة ما قد وقعت، فلن يجروء على  
إيقاظي في الثانية بعد منتصف الليل لأنني -على عكس زملائي  
في المباحث- أعشق النوم مبكرًا، ولأنني كنت سأحيل حياته  
جسيمًا حقيقيًا في اليوم التالي..

أنهيت المكالمة وارتديت ملابسني ومررت على ذلك المقهى الشهير الذي يظل فاتحاً أبوابه على مدار الساعة لأمثالي من الذين يضطربهم عملهم أحياناً إلى التصرف كخفافيش بشرية ، وها أنا ذا أقف فوق الجثة المدرجة في دمائها وأنا أقرب أنفي من الكوب الورقي آملاً في أن يصعد الكافيين إلى مخي عن طريق أنفي أولاً .. كان (إبراهيم) يكمل سرده لما وصل إلى علمه عن الجريمة حتى الآن وإن كنت أعرف تماماً أنني سأسأله ثانية عما حكاه؛ لأنني لم أسمع ولو حرفاً واحداً مما قال:

- «وزي ما سيادتك شايف ، الطعنات في كذا مكان في الجسم ، لسا ما حددناش عددها بالضبط بس في دم كثير في بطن الجثة وما بين رجليها ، البنطلون اللي هي لابساه مقطوع من نفس المكان.. حنستى تقرير الطبيب الشرعي عشان نعرف تفاصيل أكثر»

تأملتُ جثة الفتاة الملقاة أمامي على الرصيف.. مجرد فتاة أخرى كانت ستتزوج لتحيل حياة أحدهم جحيماً مثلما كان سيفعل زوجها معها بالتأكيد ، وكما فعلته معي زوجتي التي بالتأكيد ترى أنني أنا من جعل حياتها لا تطاق.. على الأقل ماتت وبدخلها أمل أنها ستكون مختلفة عن كل من سبقها ، أو هكذا أتصور.. تبدو للوهلة الأولى أنها حادثة اغتصاب من تلك الدماء التي بين فخذيهما ، ملابسها توحى أنها تهتم بمظهرها ، بدلة كلاسيكية سوداء مكونة من جاكيت وبنطال ، تحتها قميص أبيض اللون لوثته الدماء تماماً ، حذاءها أنيق أيضاً ذو كعب عال ، شعرها مصفّف بعناية ، ماكياج كامل ، ثم ذلك

الكمان المحطم والملقى خارج حقيبته الجلدية بجوارها..  
تركزت عيناى على الكمان ثم أفقت من خواطري على صوت  
(إبراهيم) وهو يقول بنفس طريقته الرتيبة في السرد:

- «بس يا (سيف) باشا، دي كل المعلومات اللي عندنا لغاية دلوقتي»  
نظرت إليه وأنا أفكر في أن أطلب منه أن يعيد كل ما قاله  
ثانيةً على مسامعي لكنى عدلت عن تلك الفكرة وقلت وأنا  
أشير لجثة الفتاة:

- «وبالنسبة للبصمات، في أي بصمات لقيتوها على الجثة أو  
على البتاعة دي اللي مرمية جنبها؟»

قال (إبراهيم) الذي تعود على شرودي المبالغ فيه:

- «زي ما قلت لسيادتك من شوية، أنا اتكلمت مع بتوع المعمل  
الجنائي، هما أخذوا البصمات اللي لاقوها كلها وحيبعتولنا  
تقرير أول ما يوصلوا لحاجة»

قلت له وأنا أنظر حولي محاولاً فهم ذلك السبب الذي جعل  
فتاة مثلها تمشي وحدها في هذا الشارع في مثل هذا الوقت:

- «انتَ قلتلي اسمها، مش كده؟»

أوماً (إبراهيم) برأسه وقال:

- «أيوا يا باشا، اسمها (سارة)، (سارة محمود جابر)»

قلت وأنا أتأمل ملامح (سارة) للمرة الثالثة تقريباً:

- «ماعرفتوش إيه اللي كان ممشيها هنا في الوقت ده؟»

قال (إبراهيم) ببساطة:

- «أنا قلت لسيادتك إننا جنبنا تليفونها وكلمنا أهلها ، هي بتعزف كمانجة في فرقة كده هي وصحابها في الجامعة ، وكانت معاهم في بروفة عشان عندهم حفلة بكرة»

قلت وأنا أتأمل ملامحها الطفولية برغم المكياج الكامل الذي تضعه:

- «كلية إيه؟»

قال وهو يتصفح نوتته الصغيرة:

- «طب يا باشا ، كلية الطب ، اللي قدامك دي كانت حتبقى دكتورة»

نظرت مرة أخرى إلى الكمان المحطمة وقلت لـ(إبراهيم) بلهجة آمرة تعودت عليها وألفها هو:

- «عايز الفرقة دي كلها كده بربطة المعلم عندي في المكتب»

أوماً (إبراهيم) دون أن يرد فقلت وأنا أتلفت حولي لعلّي أجد شيئاً ما مريباً في مسرح الجريمة البالغ البساطة هذا:

- «أهلها كمان ، كدا كدا هما حييجوا عشان يتعرفوا على

الجثة في المشرحة ، عايز أنكلم معاهم أول ما يخلصوا»

جحظت عيناه كعادته كلما أمرته بشيء هو غير مقتنع به وقال:

- «أوامر سيادتك بس أنا شايف نأجل الكلام مع أهلها

دلوقتي عشان حيكونوا...»

لم يكمل كلامه بعد أن أخرسته نظرتي وقال بضيق:

- «تحت أمر سيادتك»

قلتُ له وأنا أنحني على ركبتي لأقترب بنظري من الكمان:  
 - «تفتكر إيه اللي يخلي القاتل يكسر الكمانجة كدا؟  
 بص يا (ابراهيم)، اللعبة بتاعتها سليمة، مفتوحة بس سليمة،  
 القاتل طلع الكمانجة ورزعاها في الأرض، ده معناه إنه يا إما  
 بيكره الكمانجة أو بيكرة إن صاحبة الكمانجة بتعزف  
 كمانجة، الموضوع مش حيخرج برة اللي معاها في الفرقة،  
 تلاقيه عيل بيعبها ولا واحدة غيرانة منها عشان بتعزف أحسن،  
 خلصلي موضوع الفرقة ده بسرعة، عايزهم.. هما بتوع المعمل  
 الجنائي خلصوا شغلهم كده خلاص؟»  
 أوماً (إبراهيم) برأسه، فقلتُ وأنا أقف دون أن أرفع عيني عن  
 الكمان:

- «خليهم يشيلوا الجثة ويطلعوا عالمشرحة، مش فرح العمدة  
 هو، عايز تقرير المعمل الجنائي بسرعة»  
 ثم أخذتُ رشفة من كوب القهوة فملأت القهوة الراكدة في  
 آخر الكوب فمي.. بتقتها جانباً ثم قلت لـ(إبراهيم) وأنا أحاول  
 أن أزيل بقاياها من فمي:  
 - «أنا في المكتب، خلص واديني تمام»  
 ثم ألقيت نظرة أخيرة على جثة الفتاة واتجهتُ إلى سيارتي في  
 خطوات سريعة..



## «أدهم»

هذه المرة كانت هي أول من خفض عينيه..

ظل ينظر كل منّا في عيني الآخر حتى خفضت هي عينها في النهاية في حياء، نظرتُ في ساعتِي، لقد مرّت عشرون ثانية، عدت أنظر إليها فوجدتها لا تزال تنظر إلى الأرض، مددت يدي ورفعت ذقنها لأعلى بأناملي كي تنظر إليّ فابتسمت لي ابتسامتها العذبة وآثار الخجل تبدو على وجنتيها الورديتين..

أهكذا هو الحب؟ أن تشعر أن ابتسامه من تعشقه تضيء كل ما حولك، أن تدفئك تلك الشمس التي تطل من عينها وتحيل برودة روحك ربيعاً مفعماً بالأزهار التي ليس بإمكانك حتى أن تحصي ألوانها.. تأملت شعرها الكستنائي الناعم المنسدل على وجهها الملائكي الأبيض المشرب باللون الوردِي، وقلت لها بصوتٍ خافت:

- «أنا اللي كسبت المرة دي»

ازدادت ابتسامتها حتى تجعّدت زاويتي عينها الخضراوين لتشيّاً أن ابتسامتها تلك من القلب مباشرة، ثم قالت بصوتها الذي يغار منه الكناري:

- «انت بتكسب كل مرة.. بطل بقى، مش عايزين نلعب

اللعبة دي ثاني»

كنت أراقب شفيتها الورديتين دون أحمر شفاه وهي تتحدث

وأنا أشعر وكأن كلماتها تنساب من شفيتها على هيئة نوت موسيقية ثم تتسلل إلى أذنيّ فترقص لها طبلتيّ أذني، مددت يدي لألمس أنفها الدقيق بأصبعي مداعباً إيّاها فضيقت حدقتها دون أن تفارق عينيها الابتسامة ودون أن تبعد وجهها، قلت والحب يقطر من كلماتي:

- «مش حنبطل اللعبة دي حتى بعد ما نتجوز»

ازداد احمرار وجنتيها على الفور واتسعت ابتسامتها لتبدي حبات اللؤلؤ البيضاء الصغيرة بين شفيتها وقالت:

- «بس بقي»

ثم خفّت ابتسامتها قليلاً وتلفّت حولها في ترقّب وقالت وكأنما تنتظر قدوم شخص ما:

- «على فكرة ماما قالتلي إنها حتيجي النادي بدري، يعني ممكن شوية كده ونلاقيها جنبنا»

تبخّرت سعادتي فجأة وأنا أتخيل أمامي ملامح وجه أمها الشبيهة بالساحرة الشريرة في قصة سنو وايت، أمها جميلة بالطبع، من تلد هذا الكائن الملائكي يجب أن تكون فاتنة، لكني ما أن أراها حتى أشعر براحتي النفسية تتبخر.. سيكون عسيراً بعض الشيء أن تكون «حماتي» يوماً ما، وإن كنت على استعداد تام لكي أتقبلها من أجل (مي).. مطيت شفتي السفلى وقلت بضيق:

- «ماما.. بتموت فيا ماما، مش كده؟»

نظرت لي في لومٍ وقالت بعتاب وهي تلمس رسغي بيدها الرقيقة:

- «ماتقولش كده، ماما بس خايفة علياً، مش أكثر»

قلت وأنا أشعر بالدم يصعد إلى رأسي:

- «آه، ما هي ماما بتخاف من خيالها فعلاً»

بدا الغضب على وجهها وقالت بصوتٍ بدأ يحمل بعض الانفعال:

- «أدهم)، انتَ عارف إنني ما بحبكش تتكلم على ماما

وحش، وعلى فكرة طبيعي إنها تخاف علياً، هي أصلاً حتموت

في جلدها من ساعة ما سمعت عن اللي حصل لـ(سارة)»

توقف بي الزمن لحظتها تماماً..

(سارة)..

ظلمت أنظر لها، لوهلة تبدلت ملامحها أمامي ورأيت (سارة)

هي من تنظر إليّ.. أجفلت، ثم عاد وجه (مي) الرقيق مرة أخرى..

نظرت لي باستغراب وهي تتفرس في ملامحي فقلت بسرعة:

- «(سارة) مين؟»

تراجعت للخلف ورفعت حاجبها لأعلي.. لم أرد أن أثير ريبتها

أكثر من ذلك، فقلت كأنني قد تذكرت لتوي:

- «آه، معلش، (سارة) اللي لاقوها ميتة في الشارع اللي جنب

كلية هندسة؟»

بدا عليها كأنما تراني للمرة الأولى وقالت غير مصدقة:

- «(سارة) اللي لاقوها ميتة؟ (أدهم)، ماتقوليش إنك

ماكنتش تعرف (سارة)، دي كانت بتعزف كمانجة في الفرقة

بتاعة صاحبكم دا، آآ مش فاكرة اسمه، انتَ مش قلتلي إنك

كنت بتعزف معاهم أيام ما كنت في الفرقة بتاعة الكلية؟  
توقف تفكيري تماماً.. ماذا أقول لها؟ هل أخبرها الآن وأفسد  
تلك اللحظة بعد أن أفسدتها سيرة أمها بالفعل؟ ضيقتُ حدقتي  
كأنما أحاول تذكُر شيء ما وقلتُ لها محاولاً ألا يبدو صوتي  
مهزوزاً:

- «مش عارف، آآآ، يمكن بس مش فاكري كانت معنا  
ولا لأ، آآآ، كان معنا كذا بنت في الفرقة بس آآآ مش فاكري  
أسماءهم، انتِ عارفة، أنا بخلص عزف وبمشي على طول،  
مابركزش، ومعرفش حد فيهم أوي»

ظَلتُ تنظر لي دون أن تتكلم، تَباً لتلك النظرة في عينيها،  
نظرة الشك الممزوجة باللوم.. نفس نظراته، تَباً، لماذا تذكُرته  
الآن؟ شعرتُ بعصبيةٍ شديدة حاولتُ كتمانها قدر المستطاع  
وظللتُ أنظر في عينيها في محاولةٍ يائسة لاستعادة اللحظة  
الرومانسية التي لم تستمر كما لا يستمر أي شيء جميل..  
وكالعادة كان هذا متأخراً جداً لأنني لم أعد أرى تلك النظرة  
العاشقة في عينيها.. قالت بهدوء - وإن كنت أعلم تماماً أنه  
يخفي وراءه الكثير -:

- «بس أنا كنت سمعت من واحدة صاحبتني إنكم كنتم  
متصاحبين»

شعرتُ بالدم يصعد إلى رأسي وأحسستُ أنني فقدتُ القدرة  
على تكوين جملة مفيدة، قالت ونظرة الشك واللوم في عينيها  
تزداد:

- «انتَ مش عايز تقولي عشان ماتزعلنيش؟ (أدهم)، (سارة)  
ماتت already ، أنا مش فاهماك»

- «كنت بدور عليكم»

ظَلَّتْ تتطلع إليّ دون أن يبدو عليها أنها قد سمعت (كريم) الذي كان قد وصل لتوّه، ظَلَّتُ أنا أيضًا أنظر لها دون أن أتكلم، حتى لو أردت أن أفعل، ماذا سأقول؟ كيف أختار كلماتي دون أن أفسد كل شيء؟ نَقَلْ (كريم) بصره بين وجهينا ثم تتحج، كدْتُ أصدق أنه قد أصابه الحرج بالفعل لولا معرفتي به، هذا الكائن لديه من السماجة ما يكفيه كي لا يشعر بالحرج حتى لو تجوّل عارياً في الشارع، قال وهو يضحك ضحكته السمجة:

- «ولا كأني هنا، hey ، أنا جيت»

التفتت له (مي) أولاً وابتسمت ابتسامه واهنة، ظَلَّتُ أتطلع إليها دون أن ألتفت إليه في البداية ثم وجهت نظري نحوه أخيراً.. أكره دائماً طريقتة السخيفة في إقحام كلمات إنجليزية في كلامه إقحاماً كأنما يريد أن يخبر الجميع كم كان أبيه سخياً في اختياره لمدرسته، قالت (مي) في محاولة منها للتظاهر بالمرح:

- «إيه يا ابني، انتَ فين؟ ماشفتكش من يوم السبت»

اتسعت ابتسامته السمجة وقال وهو يحاول أن يستجمع كل ما يعرفه أو سمعه عن خفة الدم:

- «كنت عارف إنني لو اختفيت كام يوم الناس حتفتقدني، والله يا (مي) بقالي كام يوم عندي كورس من ٨، وبخلص

وبروح بعدها ال gym ، بس إيه رأيك؟ it's becoming apparent ،  
صح؟

نظرتُ لـ (مي) التي كانت تتأمل عضلاته بالفعل ، وقلتُ  
بصوتٍ حاولت أن أجعله هادئاً :

- «آه فعلاً ، فخادك نزلوا شوية»

عَضَّتْ (مي) شفرتها السفلى في إحراج والتفتت إليّ غير مصدقة  
أنني قلت هذا لـ (كريم) ، لم يبدو عليه أنه سمع ما قلته من الأساس ،  
فتح فمه وهو يهم بقول شيء ما ، ثم نظر لشيء ما خلفنا فالتفتنا  
لنجد أن (كريم) لم يكن أسخف ما يمكن أن يحدث لنا اليوم..  
فلقد وصلت أم (مي) أخيراً.. الاستعلاء يمشي على قدمين..

اقتربتُ منّا في خطوات لا بد أنها قد تدربت عليها كثيراً ،  
هل رأيت من قبل إحدى سيدات الأعمال وقد ترجلت لتوها من  
سيارتها الفارهة وتمشي متجهة إلى باب شركتها؟ لو رأيتها  
فستوفر عليّ شرحاً لا طائل منه..

وصلت أخيراً وحيّت ثلاثتنا بهزّة وقورة من رأسها ، وإن لم  
يفتني نظرتها الكارهة إليّ والتي لا أنكر براعتها في إخفائها ،  
إلا أنني - وللأسف - كانت إحدى ميزاتي القليلة هي ملاحظة  
تلك المشاعر التي يجيد البشر إخفاءها.. التفتت إليّ (كريم)  
وقالت بطريقتها الودودة التي لا تخلو من الاستعلاء ، والتي أراها  
ككل لهجاتها ، مصطنعة :

- «إزيك يا (كريم) ، أنا لما ماشفتكش في النادي من كام  
يوم بحسبك سافرت لبابا دبي»

انتفخت أوداج (كريم) ووضع يديه في جيبي بنطاله ، وقال  
بابتسامة عريضة :

- «لأ يا طنط ، أنا حروح في أول مارس ، الجو هناك ييبقى so  
nice وبحب أجيب لبس الصيف من هناك»

كان ينطق «طنط» باللكنة الفرنسية ليُظهر رقيّه المبالغ فيه  
لـ«طنط».. أو مأت هي برأسها متفهمة وقالت وهي تمط شفقتها  
في اشمئزاز لا أعرف سببه:

- «عندك حق يا (كريم) ، بابا (مي) برضو بيجيلها اللبس  
من فرنسا ، اللبس هنا بقى زي الزفت ، mediocre جداً»

يا إلهي ، كم أكرهها ، كم أكرهها معاً ، ينتميان لنفس  
المجتمع ونفس الطريقة البرجوازية في التفكير.. مدعيان ،  
اثان من المدعين يحيطان بعالمنا أنا وتلك الرقيقة.. قلت أخيراً  
وقد فاض بي الكيل :

- «طيب أنا ممكن أديك انت أو طنط مقاساتي وتجيولي  
لبس من دبي أو فرنسا ، أنا بلبس ميديام وفي الجرم ٤٥»

تثبّت نظراتهم عليّ والتفتُ إلى (مي) لأجدها تنظر لي فاعرة  
فاها ووجنتاها حمران ، فنظرتُ في ساعتِي وقلت بسرعة  
كأنما تذكرت شيئاً ما :

«آآ ، أنا لازم أمشي ، كنت حنسى مشوار مهم ، بعد إذنكم»  
وأمام نظراتهم المختلفة ما بين اللائمة والكارهة والسمة  
التي لم تتغير منذ أن وصلوا ، تركتهم واتجهتُ إلى بوابة النادي  
الذي صرت لا أطيعه كأنما قد سمّم وجودهما جوّه كله..

ثم فكرت أن وصولهم لم يكن سيئاً جداً ، فما أرادت (مي)  
أن تعرفه لم يكن بمقدوري أن أقوله لها ، لأنها لو عرفتَه لفرّت  
على الفور كأنما تطاردها كل شياطين الجحيم..  
ثم كيف كنت سأحكي لها أي شيء وأنا لا أذكر ما حدث  
من الأساس؟



## « حلمي »

منذ أن وطأت قدماه أرض المشرحة وأنا يراودني شعور غريب..  
أن (سيف) هذا قد صار مختلاً تماماً، كل ما يفعله أو يقوله  
يوحي بأنه قد تحول إلى إنسان غير متزن، لست طبيباً نفسياً  
لأحكم على صحته النفسية، لكني لا أحتاج لأن أكون واحداً  
كي ألاحظ وجود شيء ما ليس على ما يرام به.. صحيح أنني  
أعرفه منذ فترة طويلة، فقد عملنا معاً في الكثير من القضايا  
التي تولاها هو ونجح فيها كعادته، لكنه لم يصل قط إلى  
هذه المرحلة من الاضطراب النفسي.. هو لم يكن قط شخصاً  
عادياً، وكيف تكون عادياً وأنت ترى هذا الكم من الجرائم  
التي تُظهر قدرة الإنسان على أن يكف أن يكون واحداً.. أن  
يكون إنساناً..

شعره الناعم، والذي بدأ الشيب يخط فيه بعض الخطوط؛  
صار غير مصنف ويتناثر بشكل عشوائي فوق رأسه، بشرته  
الخميرية شاحبة، كانت ذقنه حلقة، إلا أن هذا أظهر وجهه  
النحيل الذي اشترك مع جسده في أنه صار أكثر نحالة من  
ذي قبل.. لكنني كنت أرى أن أكبر التأثير كان يظهر في  
عينيه.. لم يعد هناك بريق في عينيه الذكيتين، وإن احتفظا  
بتأثيرهما الذي يثير التحفظ وعدم الراحة في نفوس من يراه،  
العينين نافذة الروح، لذا لا أحتاج إلى كثير من الذكاء لأعرف  
أن روحه صارت بلا شغف..

نعم، اشتركت معه في العديد من القضايا، لكن دوري كان كالعادة قاصراً على إخباره بما تخبرني به الجثث، وإن لم تكن تعرف، فالجثث لغة خاصة بها، يراودني أحياناً شعور أن الجثث تتحدث معي بالفعل، لا، لم أفقد اتزاني النفسي أنا الآخر كما لا بد وأن ذلك قد دار بخاطرك، لكنه عملي، عملي أن أعرف ما تريد تلك الأجساد الباردة أن تقوله.. أعتقد أن لهذا السبب بالذات لم أفقد بعد راحة عقلي، فلم أسعى لأن أعرف الدوافع وراء القتل كما يفعل هو، أو أن أغوص داخل النفس البشرية لأجد الوازع من أجل أن ينهي فلان حياة فلان من أجل.. من أجل لا شيء في الواقع، أعتقد أنه لهذا السبب لم يعد (سيف) أبداً كما كان، لا عجب أن زوجته لم تتحمل كل هذا وقررت في النهاية أنها تريد أن تمض حياتها مع شخص لا يجد في كل من يقابله مشروعاً لمجرم آخر، لم يحالفه الحظ بعد في أن يكون واحداً..

كنت أخبره بما وصلت إليه أثناء تشريحي لجثة تلك الفتاة، (سارة) كما هو مكتوب على الكارت المربوط بإصبع قدمها اليسرى.. نعم، عندما تموت بشكل غير طبيعي، فدعني أخبرك أن أطرافك سيتم استخدامها في أشياء مثل تلك هنا في المشرحة.. وها هو يضحك في عصبية وأنا أصف له تلك الطعنات التي تلقتها.. لم أقم خلال أعوام خبرتي الخمس وعشرون بتشريح جثة تلقى مثل تلك الطعنات كما لم أقابل على الإطلاق من يضحك وأنا أخبره عن شيء يمثل هذه البشاعة.. نظرت له باستغراب وقد اعترتني بعض العصبية، فحتى مع مئات الجثث

---

التي رأيتها لم أفقد بعد شفقتي نحوهم وأنهم كانوا -منذ فترة ليست بالبعيدة- أحياء يتنفسون ويحبون.. ولديهم أحلام، كما لديهم آمال عريضة أن تتحقق تلك الأحلام.. لم يكونوا يعرفون أنهم سيتحولون إلى شيء تالف، دمية كسرهما طفل صغير فانتهت وظيفتها عند هذا الحد.. شيء موضوع على ذلك السرير المعدني المتحرك كي يسهل تحريكهم ووضعهم في الثلجة فيما بعد.. ظللت أنظر له دون أن أتحدث حتى قال أخيراً وهو يحاول جاهداً أن يتوقف عن الضحك:

- «معلش يا دكتور، أصل القاتل ده طلع مجرم، ضربها بالسكينة ف...»

ولم يستطيع أن يكمل كلامه بعد أن غلبه الضحك، ظللت أنظر إليه بغيظ ثم لم أستطع أن أصمت أكثر من هذا فقلت بعصبية:

- «أنا مش شايف حاجة تضحك في موضوع إن الجثة تكون اضربت بالسكينة في الحتة دي، ثم زي ماقلت لسيادتك، ماكانتش طعنة واحدة»

قال على الفور:

- «ماهو ده مخيليني مش عارف أمسك نفسي، ده شكله كان مفقوع منها قوي، يعني ما اغتصبهاش وضربها بالسكينة، تلاقيه كسل ي...»

لم يستطع استكمال كلامه واستمر في الضحك وسط نظراتي المستهجنة من بذائته المفهومة، ثم رفع يديه معتذراً

وقال وقد بدا عليه أنه يحاول فعلاً أن يتوقف عن الضحك:

- «معلش، أنا آسف، أنا خلاص معاك، كمل يا دكتور»

أخذت نفساً عميقاً وقلت وأنا أحاول أن أستجمع أفكارى

مرة أخرى، وإن لم تختفِ العصبية تماماً من صوتي:

- «زي ما قلت لسيادتك، الطعنات اللي في المهبل تمت للأسف

قبل الوفاة، يعني هي كانت حاسة بيها كلها.. غير الطعنات دي

مافيش غير طعنة واحدة بس في الجزع أصابت الكبد والوفاة

كانت نتيجة النزف الشديد اللي سببته الطعنات »

توقفت لأرتب أفكارى ثم قلت وقد تذكرتُ شيئاً مهماً:

- «في حاجة تانية مهمة، القاتل أشول، اتجاه الطعنات

بتقول إن صاحبها بيستخدم إيدته الشمال بشكل شبه دائم،

لأنه متمكن من التحكم فيها، وعمق الطعنات بيقول إن قوته

الجسمانية مش كبيرة.. آه، وفي احتمال مش صغير إنه يكون

في نفس طول الجثة، قصير يعني، ١٦٠ سم على أقصى تقدير،

بس ده مبني على الطعنة الأولى بس للأسف، لأن الطعنات الثانية

تمت والجثة على الأرض، وبالتالي الطول مالوش تأثير»

ظلمت أنظر له حتى أرى وقع ما قلته على وجهه.. لا شيء.. كان

ينظر لي كما لو كنت أخبره عن إصابتي بالمغص من جراء ما

التهمة اليوم على الغذاء.. ظلمت نظرته متركة عليّ حتى شعرت

بالحرج فههمت بقول شيء ما لكنه قال فجأة كأنما أفاق للتو

من غيبوبة:

- «كان لابس جوانتي، مش كده؟ مافيش بصمات يعني»

لم أكن قد أخبرته بتلك المعلومة بعد ، لا بد وأنه قد وضع  
يده على شيء ما لا أعرفه.. قلت وأنا أحاول معرفة ما يفكر فيه:  
- «فعلاً ، مافيش بصمات غريبة ، حتى البصمات اللي على  
الكمانجة أو العلبة كلها بتاعة (سارة)»

شعرت برجفة غريبة وأنا أنطق اسمها.. فكرة أن تسمي جثة  
باسم هو شيء مقبض من الأساس.. قلت وأنا أشاركه أفكاره  
دون أن أدري سبباً لذلك:

- «عارف يا (سيف) بك إني ساعات لما...»

قاطعني وهو يتمعن في ملامح وجهها ويحرك أصابعه أمامه  
كأنما يرسم شيء ما في الهواء:

- «حد عايز ينتقم منها ، مش كده؟ اللي يضربها بالسكينة  
في آآآ يعني ، يبقى بيكره إنها أنثى.. رأيي إنه واحد كان بيعبها  
وهي حلقتله ، أو آآآ ممكن يكون مريض نفسي وبيكره  
الستات ، شاف أمه بتخون أبوه بقى أو واحدة عملت معاه حاجة  
شبه كدا ، إيه رأيك؟»

قالها والتفت إليّ ، ذهب سريعاً شعوري بالغيظ من مقاطعته  
لي وقلت وأنا أفكر فيما يقول:

- «طريقة الطعنات بتبين إن في غل أكيد ، لكن أنا معنديش  
خبرة كافية زيك إني يعني أ...»

قاطعني مرة ثانية :

- «أنا بسألك رأيك ، رأيك الشخصي يا دكتور ، أنا عارف  
إنك بتاع تشريح مش بتاع علم نفس وجريمة ، بس ده ما يمنعش

إني عايز أسمع رأيك»

شعرت بالضيق من وصفه لي كـ«بتاع تشريح»، أمكث في تلك الغرفة التي طُليت جدرانها باللون الأبيض في محاولة منهم لتقليل الكآبة لساعات، كراسي معدنية، مناضد معدنية، ثلاثيات كالأدراج تحوي جثثاً انتهينا من تشريحها، كل هذا ليتم تلقياً بـ«بتاع تشريح»، لكنني تناسيت ذلك الشعور بسخافة الاسم وقلت وأنا أدعو الله أن تنتهي هذه المناقشة سريعاً:

- «رأيت إنه الاتنين: حد بينتقم، بس ده ما يمنعش إنه مريض

نفسى برضو»

أوماً برأسه وهو يتأملها مرة أخرى ثم اتجه للباب دون أن يتكلم، تابعتة وهو يهم بفتح الباب ثم توقف فجأة والتفت إليّ وهو عاقد الحاجبين وبدا عليه كأنما يفكر في قول شيء ما، ثم فتح الباب بالفعل وغادر دون أن يقول أي شيء آخر، تاركاً إيّاي مع جثة الفتاة..

كنت أتمنى ألا أقولها، لكنني للأسف صرت أرى أن (سيف) صار ينتمي هو الآخر إلى عالم ذلك القاتل الذي كنا نتحدث عنه لتوّنّا..

صار مريضاً نفسياً..



## «وليد»

لا بد وأن (أدهم) معدوم الإحساس تماماً كي لا يشعر بنظرات  
(كارما) له..

كان صوت مزاحنا عال فعلاً ، من الجيد أنه لم يتحمس أحد  
الأساتذة المارين بالصدفة حتى الآن ويطلب منّا أن نتأدب قليلاً  
ونحترم حرم الجامعة ، ووسط كل هذا الصخب والضوضاء  
كانت عيونها العاشقة تكاد تحتضنان وجهه وهو جالس وسط  
الجمع دون أن يلتفت إليها أو حتى يلحظ وجودها..

(مي) تتحدث ، تحكي عن موقف ما حدث معها ، ترى هل  
يرون مثلي أنه لا يخرج سوى التفاهات من ذلك الفم الجميل؟..  
أعتقد أنه لا ، فالجميع ينظر إليها في فضول غير عادي في حين  
تكمل هي حديثها في اهتمام كما لو كانت تتحدث عن نهاية  
الكوكب ، الكل ، عداي..

وعدا (كارما)..

تأملت عيونها السوداء الواسعة ووجهها الشبيه بشكل القلب  
والذي تشعر أنه يضيء من تلقاء نفسه وشعرها الأسود الطويل  
الذي تتسدل خصلاتها الناعمة على وجهها ثم التفت إلى (أدهم)  
وأنا أشعر بالغيظ يتملكني..

لماذا تعجب به فتاة مثلها؟ وأنا الذي صارت ملامح وجهها  
محفورة في ذهني وأكاد ألتهمها بعيني لا تكاد حتى تشعر

بوجودي؟.. صحيح أنني لا أعرف عنها أي شيء سوى أنها معنا في نفس الجامعة وأنها تصغرني أنا و(أدهم) بعامين، مثلها مثل (مي)، وأنا وجدناها فجأة بيننا بعد أن أتت مرة مع إحدى زميلات (مي) ثم صارت تأتي بين المحاضرات لتقف معنا، إلا أنها -لسببٍ لا أعرفه سوى أنها جميلة- جعلتني أتلفت حولي دائماً وأنا أجلس مع تلك المجموعة السخيفة في انتظار أن تأتي.. لم تكن تتحدث كثيراً، كانت تكتفي بالوقوف والابتسام، والضحك أحياناً، لم نسمع صوتها إلا نادراً، إلا أنني لا أنكر أنها دخلت عقلي ولم تخرج منذ اليوم الأول لرؤيتي لها، صحيح أن مستوى الجمال في دفعتها مرتفع، من الممكن أنه لهذا السبب لم تلفت الأنظار إليها، إلا أنني أجدها جذابة جداً..

ثم تذكرت أنني أذوب عشقاً في أي أنثى أياً من كانت، فيما عدا السّمجات منهن، فأنا لا أسامح أبداً في ثقل الظل، فأدرت بصري للجهة الأخرى وحاولت تناسي أنها هنا من الأساس..

تعالت أصوات ضحكاتهم مرة أخرى، لا بد وأن (مي) قالت شيئاً ما غير سمج على غير العادة.. تلك السخيفة صارت خفيفة الظل فجأة؟! يجب أن أبحث عن مجموعة أخرى أمضي معها وقت ما بين المحاضرات، وإلا سأضطر يوماً ما إلى أن أقول لها شيئاً على غرار «يا لسخافة والدتك» فيما يستمعون هم في استمتاع إلى ما تقول.. لا داعي لهذا، سأتركهم فحسب، هذا أقل الخسائر الممكنة..

نظر (أدهم) للناحية الأخرى وهو يبتسم فوقعت عيناه على (كارما) التي تنظر له، تلاققت عينيها لثوانٍ دون أن تفارق

وجهه الابتسامة ، لمحت حاجبها يرتفعان قليلاً وشعرت للحظة أنها توقفت عن التنفس ثم عاد حاجباها يهبطان وصدرها يتحرك وإن اختفى البريق فيهما بعد أن أدار (أدهم) رأسه مرة أخرى إلى (مي) دون أن يبدو عليه أنه رآها من الأساس..  
ثم التفتت إليّ..

شعرت بالارتباك للحظة ثم ابتسمتُ لها.. يبدو أن ابتسامتي بدت مواسية بشكل أو بآخر؛ لأنني لمحت الحزن يتكون في عينيها ، لا بد وأنها شعرت أنني لاحظت نظراتها ل(أدهم).. شعرتُ بالاستياء من نفسي وقلت محاولاً أن أخفف عنها ولو قليلاً:

- «أنا مش مركز خالص في اللي بتقوله (مي) ، ساعات بتبقى سخيفة ، مش كده؟»

ابتسمتُ وإن احتفظت عينيها بنفس الحزن ، فقلت بسرعة:  
- «الحقيقة هي مش ساعات ، هي على طول سخيفة ، وهما ما شاء الله هُبل ، بيضحكوا على أي حاجة تقولها ، تحسيهم متخلفين شوية ، صح؟»

ضحكت هذه المرة بصوت عال نسبياً ووضعت يدها على فمها ، التفت إلينا الجميع هذه المرة ، يبدو أن (مي) قد انتهت من ملحمتها «الأوديسية» التي تحكي فيها عن صعوبة اختيارها للحذاء الذي يناسب حقيبتها القرمزية ، وقال أحد زملائنا الواقفين مازحاً:

- «في موضوع ثاني هنا يا جماعة ، (كارما) بتضحك مع (وليد) ، لازم تحكي لنا يا عم (وليد) قلت إيه ل(كارما) عشان

تضحك كذا؟ إحنا أول مرة نسمع صوتها»

نظرت لـ (كارما) التي احمر وجهها وبدا عليها الحرج ونظرت نظرة جانبية إلى (أدهم) الذي كان يتابع ما يحدث دون اهتمام، ثم التفتُ إلى زميلنا السخيف وقلت بهدوء محاولاً ألا تفضحني قدمي التي صرت أهزها الآن بشدة:

- «طبيعي إنها تضحك يا معلم، أصلي كنت بقول عليكم إنكم متخلفين»

احمر وجهه وقال بغضبٍ طفولي:

- «إيه متخلفين دي؟ إيه الهبل اللي بتقوله ده يا (وليد)؟»

نظرت لها (مي) من أسفل إلى أعلى ثم التفتت إلى (أدهم) الذي قال ببساطة:

- «زعلان ليه بس؟ أنا ساعات بحس فعلاً إننا متخلفين»

نظرت له (مي) في استتكار، التفتت إلى (كارما) فوجدتها تنظر له بامتنانٍ زائد عن الحد، يبدو أن العالم صار يدور حول (أدهم) الآن بشكلٍ أو بآخر.. شعرت بغصة في حلقي، قامت (مي) واقفة وقالت وهي تنظر إلى (أدهم) في غضب:

- «طيب، بما إننا متخلفين بقى فأنا حمشي عشان ماتضطرش تقعد مع متخلفين.. سلام»

ثم نظرت إلى (كارما) مرة أخرى من أسفل إلى أعلى وابتعدت في خطوات سريعة..

ظل (أدهم) يتابعها وبدا كأنما يهتم بالمضي خلفها، مدت (كارما) يدها أمام عيني الحاقدين ووضعت يدها على رسغ

---

(أدهم)، التفت لها (أدهم) والحيرة بادية على وجهه كأنما تركته أمه وحده في مكان لا يعرفه ورحلت، فقالت هي بصوت رقيق والحب يقطر من كلماتها:

- «شكرا يا (أدهم)»

نظر لها (أدهم) للحظات دون أن يبدو عليه أنه سمعها، ثم قام بسرعة ليلحق ب(مي)..

كان وجه (كارما) يشي بأنها موشكة على البكاء.. التفتُ إلى صديقنا الذي كان لا يزال هناك، ينظر إلى (كارما) ووجهه تعلقه ابتسامة ساخرة، ثم التفتَ إليّ وفي عينيه نفس النظرة، ثم قام واتجه بعيداً هو الآخر..

شعرتُ للحظة أنني لا أدري ماذا يجب عليّ أن أفعل، اقتربت بجسدي من (كارما) وفتحت فمي لأقول أي شيء لكنها قامت فجأة واتجهت في خطوات سريعة نحو المدرج.. تابعتها ببصري ثم تذكرت فجأة أن محاضرتي بدأت منذ دقائق بالفعل فأخذت حقيبتي واتجهت إلى المدرج أنا الآخر في خطوات أقرب إلى العدو..

فإن كان قد كتب عليّ أن أكون فاشلاً في علاقتي بالجنس الآخر، فعلى الأقل يجب أن أنجح في شيء..  
أي شيء..



## «ليلي»

- «أنا عايزه أتكلم النهارده شوية»

ظل يتطلع إليّ بعدما قلتها بتلك الطريقة التي أشعر معها أن نظراته تخترقني.. كعادته كان يبدو هادئاً وإن كنت لاحظت أنه يفلت منه بين الحين والآخر نظرة خاطفة إلى جسدي.. لا أستغرب هذا كثيراً، كونت فكري منذ فترة طويلة أن كل الرجال متحرشون حتى يثبت العكس، هو أثبت فقط أن القاعدة سارية ولم يكسرهما هو على سبيل التغيير.. لكن ذلك لم يغير من الأمر في شيء.. أنا أريد أن أحكي له، حتى نظراته تلك لم تضايقني كثيراً، بل أشعررتني بأنوثتي بشكل أو بآخر، أنا أنثى، أنا مرغوبة، تلك الغريزة للسعي نحو أن نبذو في أعين من حولنا أكثر جمالاً، ذلك الوازع الأبله الذي خُلِقنا جميعاً كنساء لنجده جزء لا يتجزأ من وجداننا جعل نظرات مثل نظرات دكتور (حسين) تشعرنني بالكمال، لا بالنقص..

قال وهو يعدل المنظار على أنفه ليبدو أكثر حكمة مما

يبدو:

- «إيه بقى اللي انتِ عايزة تحكيه النهارده؟»

نظرت بتلقائية إلى لوحة تشريح الرأس البشري التي يعلقها على الحائط.. كانت جدران الغرفة المطلية باللون الأسود، الأثاث والأبواب تم اختيارهما بعناية بلونهما البندقي المتماثل..

أرضية الحجرة الرخامية ذات اللونين الأبيض والأسود كجلد النمر أعطيا تباين رائع، أضف إلى هذا المكتبة الضخمة التي تقف راسخة خلف مكتبه الذي نجلس أمامه على كرسيين متقابلين، والتي ملأها كتب زاهية الألوان، مراجع تتحدث عن علم النفس بالتأكيد، وأضافت تلك الإضاءة غير المباشرة والتي ترميها عدة أباجورات باللون الأسود أيضاً موزعة بعناية في عدة أماكن حول الغرفة شعوراً عجبياً بالراحة، كأنك تود أن تظل هنا للأبد..

فقط لوحة التشريح هي ما لم يكن ينمتي لديكور المكان، لكن لم يكن هذا السبب في أنها جذبت انتباهي.. أحياناً أود أن يفعل أحدهم شيئاً كهذا، أن يأخذ رأسي ويشرحه ويريني ما بداخله..

التفتُ إليه لأجد عينيه البُنيَّين مثبتتين على قدمي اليمنى، لا بد وأن خلخالي الجديد يعجبه، هو متحرش بالفعل وإن كان بالنظر فقط، تأملت ملامحه، وجهه المستدير وبشرته الوردية المشربة بالحمرة، شعره الكستنائي الناعم الذي لم يفعل فيه الشيب فعلته رغم عمره الذي أعلم أنه يقترب من الخمسين على ما أعتقد، حاجبيه الكثيّن وعينيه الضيقتين وذقنه الخفيفة التي تحوي مناطق لا ينمو فيها الشعر من الأساس، ملامح طفولية إلى حدٍ كبير، كان الجاكت القصير الذي يرتديه فوق البلوثر والقميص الذي ترك آخر زر فقط فيه لم يغلق جعلني أشعر أن أمه هي من ألبسته صباحاً قبل أن ينزل من البيت كي لا يصاب بالبرد، هو طفلٌ كبيرٌ حقاً، لكنه وسيم، مراهق ظل

عند عمر السادسة عشر ولم يغادره، رفع عينيه ونظر لي، لم يلحظ الأحمق أنني لاحظت نظراته، أحمق آخر، كل الرجال حمقى، وهذه هي نظرتي الثانية..

قلت له وأنا أنظر إليه مباشرة:

- «انتَ مش سألتني المرة اللي فاتت إن كان عندي علاقات جنسية ولا لأ؟»

لوهلة بدا عليه أنه فوجئ بما قلته ثم عاد الهدوء إلى وجهه ذو البشرة الحمراء قليلاً وقال:

- «جميل إن انتِ عايزة تحكي، اتفضلي يا (أروى)، أنا سامعك»

نظرت للأرض وأنا أحاول أن أرتب أفكاري ثم نظرت إليه مرة أخرى وقلت:

- «أنا عايزة أكلّمك عن واحدة صاحبتني»

ضيقٌ حدقتيه قليلاً كأنما فوجئ بحديثي عن فتاة وليس شاب مثلما توقع، صمتُ لبعض الوقت وشعرت باستمتاع حقيقي وأنا أشاهد اللهفة التي يحاول أن يخفيها في عينيه، ثم قلت:

- «اسمها (بيري)، وآآآ أنا بحبها»

رفع حاجبيه ثم خفضهما بسرعة، كان يبدو على وجهه الإحباط، لكنه أخفى شعوره بسرعة ورفع يديه إلى رأسه لتتخلل أصابعه شعره وسأل:

- «وهي؟ بتحبك برضو؟»

أومأت برأسي دون أن أرد، نظرتُ مرة أخرى للوحة التشريح

ثم قلت دون أن أتلفت له :

- «بقالنا فترة كبيرة مع بعض، كنا صحاب في الأول  
وبعدين لقينا نفسنا بنتشد لبعض واحدة واحدة.. بس هي بتتترفز  
عليا، وبتبقى عنيفة في أوقات كثير، بس أنا بحبها»

قلتها ثم التفتُ إليه لأجد وجنتيه قد صارتا بلون الدم، لا بد  
وأنه يتخيلنا الآن أنا وهي في أوضاع مشينة، ظللت أنظر له وأنا  
أشعر باستمتاع غريب بكل تغير يعتريه، يا لك من مراهق كبير،  
مراهق يعرف كيف يسيطر على كلماته وأفعاله، لكنك لن  
تستطع أن تسيطر على وجهك الذي يضحك.. عدل منظاره الأنيق  
فوق أنفه مرة ثانية، وقال بصوتٍ نجح في أن يجعله ثابتاً:

- «بتبقى عنيفة وبتتترفز عليك في العادي، ولا وانتوا،  
يعني آآ مع بعض؟»

نظرت للسقف لأتركه يتأملني بحرية ثم نظرت إليه فجأة  
لعلي ألمح خائنة عينيه، لكنه كان لا يزال يتطلع إلى وجهي  
فقلت:

- «الأتين»

مد يده وأمسك بنوتة صغيرة موضوعة على المكتب، ثم قال  
وهو يخط فيها شيئاً ما :

- «يعني أنت ال safe target ليها»

لم أفهم ما قاله، قطبت حاجبي ونظرت له متسائلة فقال  
ببطء، وكأنما قد راق له أن يلعب دور العالم ببواطن الأمور:

- «Safe target دي معناها حد في حياتك تقدري تطلعي

غضبك وكتبك عليه من غير ما تبقي خايفة إنه يزعل أو إنه يتغير معاكى، حاجة كده زي ال sand bag بتاعة الملاكمة، مهما تضربي فيها حتفضل ترجع للوضع اللي كانت عليه، مش حتمشى، ومش حتزعل»

فكرت فيما يقول.. أنا بالفعل لم أفكر قط في الابتعاد عنها، لم أشعر حتى بالغضب منها، لسبب أو لآخر شعرت أنني أستحق ما تفعله بي، بل أحياناً كنت أشعر بشيء من المتعة فيما تفعله..  
- «أروى!»

أفقتُ على ندائه، لا بد وأنني غرقت في أفكاري، التفتُ إليه فقال:

- «عايز أعرف سرحتي في إيه دلوقتي؟ إيه اللي انتِ كنت بتفكري فيه؟»  
ترددت قليلاً ثم قلت:

- «ساعات بحس إنى أستاهل كل اللي هي بتعمله فيا»  
ظلمت أنظر في عينيه دون ان أدير بصري عنه، ظل متماسكاً.. ثم رأيت وجنتيه يصطبغان بالأحمر الداكن وأدار عينيه فجأة إلى النوتة الصغيرة كأنما يقرأ ما بها، ابتسمت، لماذا أفوز دائماً في اختبار قوة العينين هذا؟ قال دون أن ينظر إليّ:

- «(أروى)، أنا مش حقدر ألومك ولو حاجة بسيطة على اللي انتِ حاساه ده، لو أنا مكانك كنت حسيت بكده برضو»

شعرتُ بالدم يصعد إلى رأسي.. ما هذا الغباء؟ قلت له بعصية:  
- «مش حتقدر تلومني؟ انتِ مين أصلاً عشان تلومني؟ ثم أنهى

إحساس ده اللي حتحسه لو انتَ مكاني؟ مكاني إزاي؟»  
لا بد وأن عيناى كانتا تشتعلان؛ لأنى لاحظت شرخ في جدار  
تماسكه ، تتحنح وقال:

- «أنا قصدي بس إن...»

قاطعته بعصبية أكبر:

- «انتَ عمرك ما حتبقى مكاني!»

ثم التقطتُ حقيبتي في عصبية وأخرجت علبة سجائري  
وأشعلت سيجارة بيد مرتجفة من شدة العصبية وأخذت منها  
نفساً عميقاً كنت أحتاجه بشدة وأغمضت عيني وأنا أشعر  
بالدخان يتسلل إلى كل خلية من خلاياي ثم فتحت عيني لأجده  
ينتظرنى حتى أنتهي فشعرت بالعصبية تعتريني بشكل أكبر  
وقلت له بصوت عال:

- «انتَ أصلاً تعرف إيه عنى غير اللي بحكيهولك؟ مش  
ممكّن كل اللي بحكيه ده يبقى بلح؟ ما يكونش حقيقي  
أصلاً؟»

شعرت بالتردد في عينيه ، كأنما يريد أن يقول شيئاً ما ولا  
يدري إن كان من الصواب أن يقوله أم لا ، ثم قال أخيراً بصوته  
الهادئ الذي بدأ يستفزني:

- «إن اسمك مش (أروى) ، وإن صاحبك ماسمهاش (بيرى)»

أجفلت.. كيف عرف؟ ثم خمّنت أن هناك شخص ما يعرفني  
ويعرفه في الوقت نفسه فتضاعفت عصبيتي وقلت:

- «انتَ عرفت منين؟ ها ، مين اللي قالك؟»

ظل ينظر لي بهدوئه المستفز ثم قال بصوته الهادئ الأكثر استفزازاً:

- «أنا خمنت، والحمد لله، تخميني طلع في محله»

نظرت إليه في شك وأنا أحاول سبر أغواره، يبدو أنني قد تعاملت معه باستخفاف أكثر من اللزوم.. قال وكأنما لا يريد أن يفقد مبادرة الهجوم الآن:

- «انتِ الموضوع ده ابتدى معاكي من امتي؟ امتي حسيتي أول مرة إنك ممكن تتشدي لواحدة؟»

قلت وأنا أحاول أن أتذكر وقد أخافني أنه أذهب عصبيتي في لحظة بجعل عقلي يحاول أن يبحث عن المعلومة في ثناياه:

- «مش فاكرة، كان في واحدة صاحبتني و... لأ، مش فاكرة»

قال دون أن يترك لي مساحة للتفكير:

- «حرج تاني أسألك عن علاقتك بأمك»

لم أرد.. أخذت نفساً عميقاً من السيجارة حتى شعرت أنني سأنهيها كلها في هذا النفس فقط وشعرت بآلم في صدري فسعلت بشدة، انتظر هو حتى انتهت ثم قال لي كأنما لم يكن ينتظر مني إجابة من الأساس:

- «(أروى)، أو whatever انتِ اسمك إيه، انتِ طول عمرك، من وانتِ صغيرة، كنتي دايماً حاسة إن مافيش حد بيقدرك في البيت، كل اللي بيعملوه إنهم يضغطوا عليك، يعاملوكي وحش، بالذات أمك، بس من غير اهتمام، زي ما يكونوا

بينكدوا عليكى لما يكونوا فاضيين. حتى أبوكى زي ما اتفقنا المرة اللي فاتت إنه ماكانش بيدافع عنك ، ماكانش شايفك أصلاً أو حاسس بوجودك. وفي وقت ما انتِ كنتي حاسة إنك بتكبري ، بتسيبي الطفولة وتروحي للمراهقة ، انتِ كنتي برضو لوحدهك.. ابتديتي تدخل في علاقات ، مش بس عشان تحسي إنك كبرتِي ، لأ ، عشان إنك عندك أمل إنك بالطريقة دي ، حتوصلي لوضع حتحسي فيه بالتقدير وإنك في وسط مركز انتباه أي حد ، تحسي بالإهتمام ، حتى لو الإهتمام ده كان من واحدة ، أو بالذات لو كان من واحدة ، عشان ساعتها حتحسي إنها مكان أمك ، اللي ما عملتش كده معاكى في وقت ما كنتي محتاجها إنها تعمل كده ، وعشان كان كل اللي بتعمله أمك إنها تضغط عليكى نفسياً ، اتكون عندك شعور إن هوده اللي انتِ تستاهليه ، أكيد هي بتعمل كده عشان مصلحتي ، أكيد ما بتكرهنيش.. وعشان انتِ جواكي حاسة إنك بتعملي حاجة غلط ، حاسة إن صاحبك لما بتبقى عنيفة معاكى أو تزعلك فهي كده بتديكي العقاب اللي انتِ تستاهليه ، فبتحسي إنك أريح ، على الأقل بتعاقبي نفسك بوجودك معاها.. علاقة متكاملة.. بتكلم صح ولا بلح زي ما بتحبي تقولي؟»

تباً ، تباً ، تباً.. لا أحب أن أتعرى أمام شخص ما بهذا الشكل.. ما يقوله كان وصفاً دقيقاً لكل ما حدث ويحدث معي.. أو مأت برأسي معلنةً أن ما يقوله صحيح ، قال دون أن يمنحني فرصة ليعمل عقلي:

- «وأبوكى؟»

تذكرت تلك الفترة السيئة في حياتي فقطبت حاجبي وشعرت

بضربات قلبي تزداد وقلت:

- «ده بقى اللي كان بلح بجد ، ماكنتش بشوفه ، في الشغل ،  
على طول برة ، ببيجي بالليل ، ماكونتش بشوف غيرها تقريباً ،  
وكانت مكرهاني في عيشتي زي ما انت بتقول بالضبط»  
غرقت في ذكريات لم أكن أريد أن أتذكرها من الأساس..  
- «(أروى)!»

التفتُ إليه ونظرت له في حدّة ، يبدو أن نظراتي كانت  
قاسية؛ لأنه بدا مهزوزاً لوهلة ثم قال بسرعة:

- «غريبة إنك ما اتكلمتيش عن الأحلام المرة دي»  
سرني أنه غير دفة الحديث فقلت وأنا أشعل سيجارة أخرى:  
- «نفس الحلم اتكرر من كام يوم ، وبقالي يومين ما بحلمش»  
أوماً برأسه متفهماً رغم أنني لا أعرف ما الذي فهمه بالضبط  
من توقف أحلامي في تلك الفترة ، راقبته فقال فجأة كأنما قد  
تذكر شيئاً ما لتوّه:

- «هو ده كل اللي كنتي عايزة تحكيهولي ، ولا في حاجة تانية»  
نظرت إليه باستغراب ، إما أنني كنت غبية عندما ظننت أنني  
أستطيع أن أخفي مشاعري عمّن حولي ، أو إنه فعلاً يعرف ما  
يفعله جيداً.. قال بعد أن طال صمتي:

- «(أروى) ، في إيه؟»

قلت ما جئت اليوم لأقوله بالذات بعد أن كنت قد صرفت  
النظر عن أن أحكيه عندما تحدثنا عني:

- «في واحدة صاحبتني ماتت»

قال بسرعة:

- «ماتت؟»

ترددت قليلاً ثم قلت ما كنت أخشى أن أقوله منذ أتيت:

- «اتقتلت»

ظل ينظر إليّ دون أن يبدو عليه أنه قد تأثر.. تبّاً لك، أنا  
أخبرك أن صديقتي قد قُتلت، فتتنظر إليّ بهذه النظرة المتخلفة؟  
سألني بنفس الصوت الرتيب:

- «اسمها إيه صاحبتك؟»

ترددت ثم قلت له بعصية:

- «(سارة)، اسمها (سارة)»

قال على الفور:

- «صاحبتك زي (بيري) كده؟»

كان مخي الآن يعمل بسرعه القصوى.. هل أخبره الآن؟ ثم  
قلت وقد فكرت ألا أخبره بمعلومة أخرى اليوم:

- «لأ، دي حاجة تانية، أعرّفها من زمان»

ظل ينظر لي، لماذا أشعر في عينيه بشكّ مما أقوله له؟  
شعرت بعصبيتي تزداد وأطفأت السيارة بعنف في المطفأة  
وأخذت واحدة أخرى لأشعلها فقال:

- «أنا آسف إنها ماتت»

صحتُ فيه وقد شعرت بالكلمة تضغط على أعصابي وتحيل

ما بقي من سلامي النفسي - إذا كان عندي واحداً من الأساس -  
إلى جحيمٍ مستعرٍ:

- «بقولك اتقتلت!»

قال على الفور وهو يرفع يديه معتذراً:

- «انتِ اتعصبتى ليه؟ أنا آسف، أكيد مش قصدي أزعلك»

قلت وأنا ألتقط حقيبتى:

- «أنا لازم أمشي»

- «بس احنا ما كملناش»

- «أنا لازم أمشي!»

لم يرد بعد أن قلت الجملة الأخيرة بعصبية شديدة، شعرت بيدي ترتجف فالتقطت حقيبتى وقمت واقفة واتجهت إلى الباب في خطوات سريعة وأنا أشعر بجدران المكان تجثم على صدري وتمنع عني الهواء..

- «انتِ مش حتقوليلي اسمك على الأقل؟»

توقفت وأنا أشعر بالتردد فعلاً، هل أخبره الآن؟ كل خيار يشعرني بضغط نفسي هائل، لماذا يجب علي أن أختار من الأساس؟ فليحدث ما يحدث، سأمتُ من كل هذا التفكير الذي لا يفضي لشيء.. هممت بفتح الباب والخروج تاركة إياه دون أن يتلقى رداً إلا أنني وجدنتي أقول فجأة كأنما أزيح حملاً عن كاهلي:

- «(ليلي)»

ثم غادرت مسرعة وأغلقت الباب خلفي في عنف..



## «أدهم»

لم أكن أستمع لما يقوله (وليد) من الأساس..  
خمسة أيام كاملة مرت ولم ترد على مكالماتي.. هي حتى  
لم تأتِ إلى الجامعة، ولم تظهر في النادي في السابعة مساءً  
كعادتها كل يوم..

خمسة أيام ولم أرها..

هل تشك فعلاً في أنني قد قتلت (سارة)؟

ردود فعلي كانت سيئة، كنت شديد الغباء يومها وفقدت  
قدرتي تماماً على التركيز بعد ذكرها ل(سارة).

- «وطبعاً مش حينفع تسأل أمها أو تروح لهم البيت مثلاً»

التفتُ إلى (وليد) بعد أن نجحت جملة الأخيرة في أن تنتزعي  
قليلاً من أفكار التي غرقت فيها.. هزرت رأسي وأنا شارد الذهن  
ولم أرد.. سرحت قليلاً في المياه التي تتدفق من النافورة التي نجلس  
أمامها على أحد المصاطب الرخامية التي تحيط بها والتي بنيت  
خصيصاً لرواد السينما التي تقع أمامها. نأتِ أنا و(وليد) لنجلس  
هنا بين الحين والآخر، حتى لو لم نكن ننوي أن ندخل السينما،  
الإضاءة الخافتة وصوت تدفق مياه النافورة كافيان تماماً لبعث  
ولو القليل من الراحة النفسية التي أفتقدها بعنف..

- «ماشى، زي القمر وجميلة ورقيقة وكل الهبل اللي انت  
بتقوله ده، بس أنا مابتزليش الحقيقة، دمها واقف قوي، وأمها

بقي دمها خفيف فشخ هي كمان، زبيق مش دم»

ابتسمتُ ابتسامة واهنة ولم أرد، لسبب ما لم أستطع طوال عمري أن أشعر بالضيق من أي شيء يقوله (وليد)، حتى لو كان على (مي)، أشعر كثيراً بصدق ما يقول أياً كان، كما أحتاج من وقت لآخر إلى مرآة أرى فيها نفسي وأعرف إن كنت أتصرف بعقلي أم بقلبي، وعادةً أتصرف بشكل خاطئ في الحاليتين.. لكن ذكره لأم (مي) أعاد إليّ شرود ذهني مرة أخرى..

ترى ماذا قالت عني تلك اللعينة يومها بعد أن تركتهم مع (كريم)؟ هي تكرهني لسبب لا أعلمه، ثم إن لديها من الذكاء ما يجعلها تشعر بالتوتر الحادث بيننا لحظتها، لا بد وأن (مي) قد خضعت لجلسة استجواب يومها شبيهة بتلك التي تحدث في أفلام الجاسوسية، ثم لماذا تحتاج إلى الاستجواب من الأساس؟ أنا واثق تماماً أن (مي) تحكي لها كل شيء بأريحية تامة، يكفي أن تقول لها «مالك؟» لتحكي لها عمّا حدث بيننا، ناهيك عن إخبارها بعدد المرات التي أمسكت فيها بيدها!

- «بص بقي يا معلم، أنا عارف إن انتَ فنان وكدا وحتب الأفكار التافهة دي.. بص، انتَ تروح عند أي واحد بتاع ورد، تزوق العربية، وتروح لها تحت البلكونة بتاعتها، وت...».

قطع كلامه فجأة وهو يتطلع بعينين جاحظتين إلى شيء ما خلفي، قطبت حاجبي والتفتُ بسرعة أنا الآخر.. وتوقف قلبي للحظة..

كانوا على الجهة الأخرى من النافورة، لكنني لاحظتهم

كما لاحظهم (وليد)، كان يمشي عن يسارها بينما تمشي  
أمها على الجهة الأخرى، وكان ممسكًا بيدها ويتجهون إلى  
السينما التي على يميننا أمام النافورة التي نجلس أمامها..  
(مي) و(كريم) وأمها..

لم أفهم المشهد في البداية، ظننت أنني أتوهم، أن هذا لا  
يحدث، أردت أن أركض لأسألها، أن أجذبها من شعرها لتفسر  
لي ذلك المشهد الذي أراه، لكنني فقط تسمرت مكاني ولم  
أفعل أي شيء.. أفاقني أخيرًا صوت (وليد) وهو يصيح:

- «إيه الهبل ده؟ أنت شايف؟ ده ماسك إيديها وأمها ماشية  
جنبهم، هو في إيه؟ إيه ولاد الو.....ة دول؟»

لم أرد، كنت غارقًا في أفكار السوداء، أتخيلني أقتها  
بطرق شتى، أراني وأنا أعذبهم كما لم يُعذب أحد من قبل..

- «هي عشان كدا ما كانتش بترد عليك في التليفون؟  
يكونوش اتخط...؟»

لم يكمل الجملة، اندفع إلى حيث اختفوا داخل السينما  
تاركًا إياي لا أعرف ماذا أفعل..

صداع غريب شعرت به يكاد يمزق رأسي..  
ماذا يحدث؟

- «أهو (كريم) يا (أدهم)، بيقول إنه ماشافناش واحنا  
قاعدين هنا وجبته مخصوص عشان يسلم عليك»

أخرجني صوت (وليد) من شرودي فالتفت إليه ورأيت  
(كريم) يقف بجانبه.. كان الصداع يسيطر على كياني كله،

الألم الذي أشعر به جعلني أتصور أنني لست هنا ، (كريم) ليس هنا ، (وليد) هو الآخر ، (مي) ، أمها ، كل هذا لا يحدث ، هو كابوس فحسب ، سأفوق منه على صوتها الرقيق وهي تخبرني أنها تحبني..

لكن ملامح وجهه (كريم) كانت تقول غير ذلك..

ولأول مرة منذ أن عرفته ، اختفت الابتسامة السمجة من على وجهه وحل محلها نظرة توتر..

توتر لم أره في عينيه من قبل..

والأدهى أنه كان يتصبب عرقاً..

رفع يداً مرتجفة مررها على شعره وقال بصوت مهزوز:

- «آآ إزيك يا (أدهم) ، أنا فعلاً ماخدتش بالي إنكم قاعدين هنا ، فرصة إنكم تبقوا أول ناس تعرفوا.. أنا و(مي) اتخطبنا امبارح ، يعني ، قراية فاتحة بس دلوقتي لغاية ما نخلص كلية ، معلش ماجتش فرصة عشان نعزمكم ، الموضوع حصل امبارح في الفيلا عندهم وماحدث كان موجود غير أهلنا ولسا ما قلناش لحد»

نظر (وليد) لي ، ثم التفتُ إليه وقال بصوتٍ حاد :

- «نعم يا روح أمك؟»

- «إيه يا (وليد) اللي بتقوله ده؟ ده بدل ما تقولي مبروك؟»

اقترب منه (وليد) ومدَّ يده وأمسكه من ياقة قميصه ، وقال واللغاب يتطاير من فمه ليرتطم بوجهه (كريم):

- «مبروك مين يا روح أمك؟ مبروك ده اللي بي....»

قلتُ مقاطعاً إيَّاه وأنا أشعر بالصداع يكاد يفتك بجمجمتي:

- «سببه يمشي يا (وليد)»

نظر لي (وليد) غير مصدقاً لما قلته ولم يترك ياقة قميصه ، حاول (كريم) أن يفلت ياقته من يدي (وليد) إلا أن خوفه البادي وارتعاد يديه حالاً بينه وبين أن يقدر على ذلك ، كنت أشعر بأن دماغى سينفجر ، لا أريد أن أراه أمامي ، لا أريد أن أعرف ماذا حدث من الأساس ، قلت :

- «امشي يا (كريم) ، روح لهم ، هم أكيد مستيينك»

وكانما أنقذته كلماتي مما يشعر به الآن ، أفلت (وليد) ياقته ، فرفع يديه ليعدل من هندامه ثم نظر لنا في كرهٍ واندفع في خطوات هي أقرب إلى العدو نحو السينما..

- «انت سبيته يمشي؟ ده كان لازم يتضرب علقه عشان يعرف

إن الله حق»

ضغطت بيدي اليمنى على رأسي وأغمضت عيني والألم يعتريني.. أريده أن يتوقف عن الكلام.. رن هاتف (وليد) لحظتها ليزيل عني الحرج ، أخرج هاتفه ورد كما لو كان يفرغ عصبيته في الطالب:

- «أيوا يا (إيهاب) ، إيه عايز إيه؟ مافيش ، بقولك مافيش ،

خارجين؟ مين اللي جاية ، لا ماشي ، أنا جي أنا و(أدهم) ، سلام»  
كنت استمع لما يقوله (وليد) وعقلي يرفض استيعاب الكلمات ، أي كلمات ، هل يريدني بالفعل أن أذهب إلى مكان ما الآن؟.. لكنني لم أقل شيء ، الألم الذي أشعر به في رأسي

يمنعني من التفكير من الأساس، أنهى (وليد) المكالمة ثم التفت إليّ وزفر وقال :

- «ده (إيهاب)، (إيهاب) الجيتاريسست، عايزنا نقابله، لما قلت له إنك معايا قالي هاته وش عشان في مفاجأة، يلاً ولا إيه»  
لم أرد، اقترب هو مني وقال بعصبية:

- «انت حتفضل سلبي كده لغاية امتى؟ حتى لو كنتم مش مخطوبين، انتم المفروض كنتم بتحبوا بعض، زعق، اتخانق، اخبط إيدك في الحيطه، هاتها من شعرها، اعمل أي حاجة بدل مانت قاعد ماسك دماغك زي خيبتها كده»  
لم أرد أيضاً، هو لا يعرف ما أشعر به الآن، فقط لا يعرف، وإن كان معه حق في كل ما قاله..

وكأنما شعر بقسوة كلماته، اقترب مني ووضع يده على كتفي وقال بصوت خافت:

- «أنا آسف يا (أدهم)، أنا عارف إنك حتحمل نفسك ذنب أكثر من الحقيقي، فعايزك تطلع اللي جواك ده عاللي يستاهل، مش تكتمه جواك زي ما بتعمل دايمًا.. (كريم) اللي عمل كده وهو عارف إنك بتحبها، و(مي) اللي كل الفترة دي كانت بتسلي وقتها معاك لغاية ما يجيلها عريس جاهز زي (كريم)، وأمها اللي أنا واثق إنها العقل المدبر للخطوبة دي، وعارف يا (أدهم)، غلطتك إنك اعتبرت إن ده حب من الأساس.. (أدهم) انت كنت بتحاول تنسى (سارة) ب(مي)، مع إني متأكد إن لا ده كان حب، ولا ده كان حب»

شعرت بقشعريرة غريبة تتابني عند ذكره ل(سارة)، لكن ما أشعر به من صداع أنقذني من التفكير فيها ثانية..

- «(أدهم)، تعالاً معايًا دلوقتي، الخروج دي حتتسيك كل الهبل ده، ما تبصليش كده، أيوا ده هبل وكنت بتشتغل نفسك.. يلا، (إيهاب) ده مسخرة السنين أصلاً، ده كان بيفشخني ضحك أيام الامتحانات، تعالاً نقعد معاه، قعدته حلوة وحينسيك المزة، على الأقل النهارده»

لم أرد أيضاً، لا يمكن أن يفهمني، (مي) لم تكن «مزة» فحسب، هناك أشياء لا يمكن التعبير عنها بكلمات، أشياء غير مادية ستحولها للمادية بتحويلها لشيء ملموس.. أنا أتفه إنسان على وجه الأرض، ليس كما يقول هو، كل هذا حدث بسببي، (مي) تركتني لأنني لا أستحقها، وأمها لديها كل الحق في أن تخاف على ابنتها من شخص مثلي، و(كريم)، أنا لم أفعل ما يبقي (مي) بجانبني، فلماذا ينتظر هو حتى تذهب لآخر غيري وغيره؟.. ذلك الصداع الذي يكاد يمزق جمجمتي الآن صار فوق احتمالي.. تركت (وليد) يسوقني من يدي وهو يقول:

- «يلا بس، ونشوف مفاجأة إيه اللي محضرها لنا دي، انت مش حتعرف تسوق كدا، يلا بدل ما نلبس في حاجة، مش حيبقى فركشة وخراب ديار، أنا معايًا أوفر، حطلب أوبر، بلاش (كريم) أحسن تزعل»

سرت معه بلا مقاومة، المهم أن يتوقف عن الكلام..

لا أريد أي شيء الآن سوى أن يذهب هذا الشعور..

شعور أن كل هذا كان بسببي..

كم أكره هذا الشعور، كما أكره من رسّخه في داخلي  
منذ أن كنت طفلاً حتى صرت مسؤولاً عن أي شيء حدث، حتى  
لو لم أكن هناك..

حتى لو لم يكن لي أي صلة به..

أين أنت الآن من كل هذا؟..

أين أنت؟..



## «وليد»

كان المكان مزدحم تماماً عندما وصلنا..

الإضاءة الخافتة والموسيقى التي تشعر أنها تتبعك من كل مكان جعلتني أشعر براحة نفسية لم أشعر بها منذ فترة، وبالطبع يوجد فتيات، الكثير منهن في الواقع، لذا قررت أن هذا المكان هو الأجمل على الإطلاق على هذا الكوكب، ولسوف أحطمن رأس من يرى عكس ذلك..

يجب أن أعترف أن هذه إحدى نقاط ضعفي التي ستودي بي يوماً ما.. إذا قالت إحداهن «صباح الخير» سأقول لها على الفور، بلا تردد، وبكل أريحية «وأنا كمان بحبك»..

تلقت حولي في محاولة للبحث عن (إيهاب)، وإن كنت في الحقيقة ألمي عيني من هؤلاء الجميلات المنتشرات في كل مكان.. (أدهم) شارد الذهن تماماً، يبدو أن ما حدث مع (مي) قد جرحه بالفعل، سينسى، آجلاً أم عاجلاً سيفعل، (أدهم) كتوم بطبعه، لكنه كان يتحدث كثيراً عن (مي) في الآونة الأخيرة، معي أنا بالذات بصفتنا أصدقاء، لكن في الطبيعي لم يكن يتحدث تقريباً، لذا لم أكن أشعر بغرابة شديدة لكونه صامتاً الآن، فلتذهب (مي) إلى الجحيم، على الأقل عاد (أدهم) إلى ما كان عليه قبل أن يقابلها..

أنا أعلم أن ما كان بينهما ليس حباً، لم يكن سوى ناقوس

يدق ليشعرك أن لك قلب تنبض، أن هناك شيء ما هنا بين الضلوع له وظيفة أخرى غير ضخ الدم والإصابة بالجلطات، ثم تنتهي علاقتك بذلك الشخص وتزوج بآخر فيتبدد لديك شعور الحب من الأساس.. رأيت هذا مع أبي وأمي، أختي وزوجها، وكل من أعرفهم تقريباً.. كان يجب على (مي) و(أدهم) أن يتزوجا، عندما تشعر أنك تحب شخص ما تزوجه على الفور، فتلك هي الطريقة الوحيدة كي تتوقف عن حبه!..

لمحتُ أخيراً يد تشاور لي وسط الزحام ولمحت (إيهاب)، فدفعت (أدهم) دفعاً نحو المنضدة التي يجلس عليها.

- «في waiting list يا فندم، ممكن حضرتك تسبب اسمك وتفضل تستنى لغاية ما..»

قاطعه (إيهاب) بصوت عالٍ:

- «اخلع يا سخيف، معايا الناس دول، روح ظيط على حد تاني  
اللَّهُ يكرمك»

ابتسم النادل ابتسامة صفراء ونظر لنا، بادلته بابتسامة ساخرة تحمل الكثير من (مؤخرتك حمراء تماماً)، ثم اتجهنا نحو (إيهاب) الذي وقف فاتحاً ذراعيه بمبالغة كعادته، ثم مدَّ يده إلى (أدهم) الذي كان من الواضح أنه في مكان آخر الآن يتخيل (مي) في أحضان (كريم)..

- «(أدهم)، (إيهاب)، انتوا شفتوا بعض قبل كده تقريباً»

- «مرة واحدة حسب ما أنا فاكِر، بس الباشا صيته مسمع من غير ما أقابله حتى، ده أحسن بيانست في اسكندرية»

---

مد (أدهم) يده ليمسك برأسه ويفمض عينيه ، نظر له (إيهاب) باستغراب ، ثم التفت لي وقال :

- «دي حركات عشان الشهرة دي ولا إيه؟»

خبطت على كتف (إيهاب) وقلت وأنا أنظر إلى (أدهم) محاولاً إعادته إلى أرض الواقع :

- «(أدهم) عنده صداع من الصبح ، هو لما يركز في المزز اللي حوالينا بس الصداع حيروح بإذن الله»

ضحك (إيهاب) في سخرية ثم أشار لما خلفنا وقال :

- «وعلى ذكر المزز ، آدي أمز واحدة في العالم جاية أهى عشان تقعد معنا»

التفتُ على الفور حتى كادت رقبتى تتخلع من مكانها ثم رأيت أنه لم يجانبه الصواب بالتأكيد عندما لقبها بالمززة..

خمرية البشرة كانت ، شعر أسود فاحم قصير جداً ، لكنك لا يمكنك أن تخطئ وتحسب أنها ذكر ، لا ، بل زادتها طريقة قص شعرها الذكوري تلك أنوثة إلى أنوثتها وأظهرت جمال وجهها الذي يماثل شكل القلب.. كانت ترتدي جاكت جلدي أسود مما يرتديه سائقي الدراجات النارية ، وبنطال جينز ضيق للغاية ، وبوت طويل يصل إلى ما فوق ركبتها ، وكانت تقترب منّا في خطوات عملية سريعة ، وإن كان جسدها الرياضي يتمايل من تلقاء نفسه دون أن تبذل هي أي مجهود.. وما أن وصلت حتى وقف (إيهاب) فاتحاً ذراعيه فعانقته عناقاً طويلاً ، يبدو أنهما متحابين ، إذن فلماذا يلقبها (إيهاب) بالمززة؟ ألا يحترم

فتاته قليلاً؟.. لا أفهم شيئاً ، تلفتُ حولي كي أرى إن كان هناك من شعر بغرابة الموقف ، لا ، كلُّ في دنياه ، ألم أقل لكم أنه مكان ظريف؟.. كنت أود أن تكون معي الآن صديقة لأعانقها ها هنا بما أن المكان يسمح بهذا بل ويرحب به على ما أعتقد ، إلا أنه كما تعرفون ، ليس لدي واحدة ، لكنني على أمل أن أخرج بواحدة من هذا المكان الليلة بإذن الله!..

انتهياً أخيراً من المعانقة وكثير من الـ (عاملة إليه ، واحشني ، ...) والتفتوا إلينا وقال (إيهاب) بحماس لا أدري سببه:  
- «أعرّفكم ، (ياسمين لطفي) ، أحسن فوكال في اسكندرية تقريباً ، وبتعزف جيتار زي حالاتي ، بس أحسن مني طبعاً ، هي اللي عاملة الباند اللي بنعزف مع بعض فيه ، (وليد سليمان) ، مش بتاع الأهلي ، he's an old friend ، و(أدهم الكحكي) ، دكتور وأحسن بيانست في اسكندرية ، تخيلي؟»

مددت يدي إلى (ياسمين) لكنها مدت يدها إلى (أدهم) الذي كان ينظر إليها بنظرة خاوية ، سأقل من نزولي معه في وجود فتيات إذا استمر الأمر هكذا ، مد هو يده وسلم عليها ، قالت بحماس هي الأخرى:

- «أهلاً يا دكتور ، سمعت عنك طبعاً ، أي حد في الـ field ده سمع عنك»

ظلمت واقفاً ويدي ممدودة للأمام كالأبله في انتظار أن تنتهي من التهامها لـ(أدهم) وتلفتت إلى العبد الفقير إلى الله ، التفتت

إليّ أخيراً وسلمت عليّ دون أن تقول أي شيء ، بل اكتفت بهزة من رأسها ، يبدو أنني لا أستحق أكثر من هذا من فاتنة مثلها.. تأملت عينيها العسليتين اللتان يحيط بهما كحل كثيف واللتان تعكسان بريق الأضواء الخافتة للمكان فيجعلها تضيء من تلقاء نفسها ، ثم تركت يدها كارهاً ونظرت إلى (إيهاب) وأنا أحاول فهم كيف تكون هذه الجميلة صديقة هذا التافه الذي أعرفه..

جلست هي برشاقة ووضعت ساقاً فوق الأخرى ، وقالت لـ(أدهم):

- «إيه يا دكتور ، ما بتفكرش ترجع تعزف تاني؟ أنا كنت سمعت إنك بطلت من فترة»

- «إيه يا دكتور؟ محسساني إن عندك كشف ، طمني يا دكتور ، عندها إيه؟»

ضحكتُ ، وابتسم (أدهم) فقط ، في حين نظرت هي في غضب إلى (إيهاب) وقالت بصوت عالٍ وبعصبية شديدة:  
- «نبطل سخافة قُلنا»

رفع (إيهاب) يده معتذراً وإن لم تفارق وجهه الابتسامة ، علاقة غريبة فعلاً! ظلت تنظر له لثوانٍ في غضب ثم التفتت لـ(أدهم) وقالت بهدوء وبنفس الابتسامة السابقة كأنما لم تنهر (إيهاب) منذ ثوانٍ:

- «المزيكا دي في الدم ، ما ينفعش تبقى بتعزف أو بتغني وتبطل وتقول مش حالعَب تاني»

أمال (أدهم) رأسه وأسندها على أطراف أصابع يده وأغمض عينيه في ألم لثوانٍ، ثم قال لـ (ياسمين) التي كانت تنظر إليه باستغراب:

- «يعني، أنا فجأة لقيتتي مش طايق ألمس صوابع البيانو حتى، مش عارف، ممكن شوية وأرجع، ممكن لأ، مش عارف فعلاً»

نظرت (ياسمين) لـ (إيهاب) ثم إلى (أدهم) مرة أخرى وقالت:

- «انتَ كويس؟»

ابتسم (أدهم) ابتسامة خفيفة وأوماً برأسه دون أن يعدلها، ثم اعتدل فجأة ونظر في ساعته والتفتَ إليّ وفتح فمه كأنما يهم بقول شيء ما.. توقعت بالطبع إنه سيقول أنه سيرحل الآن.. لن أغادر هذا المكان وتلك المنضدة التي تجلس عليها تلك الفاتنة وأرحل.. سأخرج بفتاة من هنا، هذا قرار قد اتخذته ولن أراجع عنه..

- «أنا عايزاك معايا في الباند»

التفتَ لها (أدهم) ولم يرد.. ظلوا ينظرون لبعضهم البعض لوهلة فقال (إيهاب) ضاحكاً:

- «السكوت علامة الرضا، يبقى نقول ألف مبروك»

رمقته (ياسمين) بنظرة نارية فمط شفثيه وأشار بسبابته وإبهامه كناية عن أن فمه قد أُغلق، التفتت هي مرة أخرى إلى (أدهم) الذي كان ينظر إلى الجانب الآخر دون أن ينظر لشيء معين وكان مقطباً حاجبيه والحزن بادٍ على وجهه،

---

مطّت (ياسمين) شفيتها وهي تنظر إليه في استغراب، ثم رفعت حاجبها وقالت:

- «انتَ في حاجة مضايك؟»

رفع (أدهم) عينيه إليها وظل ينظر إليها لوهلة ثم قال بصوت خافت:

- «الموضوع مش زي ما انتِ فاهمة»

رفعت حاجبها أكثر ثم خفضتهما ومطّت زاوية فمها وهي تبسم ابتسامة ساخرة:

- «طب فهمني، أنا ماورايش حاجة»

دخلوا في حوار بيزنطي عن الموسيقى لم أهتم به كثيراً، (أدهم) يتحاشى أن يقول السبب الحقيقي لتركه للعزف ويرد بإجابات ليست ذات معنى، التفتُّ إلى (إيهاب) الذي كان يتابع ما يقولون بابتسامة بلهاء، لكزته في كتفه فتأوّه ونظر لي في استغراب، أشرت إليه أن يقترب ثم سألته:

- «هي الأستاذة اللي زي القمر دي تبعك؟»

ضحك في سخرية بصوت عالٍ ثم هز رأسه وقال:

- «لأ، إحنا مع بعض في الباند، بس خلاص»

شعرت بشيءٍ من الأمل فيما يقول فنظرت نظرة جانبية إلى (ياسمين) وقلت:

- «طب إيه؟»

ضحك بسخرية أكبر وقال:



---

قالتها (ياسمين) فالتفت إليها (إيهاب) ثم إلى (أدهم) وقال:  
- «أهو يا عم أهو ، ثلاثة ياس ، عشان ما تحرمش نفسك من  
حاجة»

- «سخيف»

قالتها (ياسمين) وهي تضحك ثم قالت بابتسامة عذبة شعرت  
معها أني قد وقعت في الحب ، كعادتي كلما رأيت فتاة تبسم  
ابتسامة عذبة أو غير عذبة:

- «أنا بقى حقولك brief سريع كده عن احنا بنعمل إيه  
بالضبط»

وبدأت تحكي وأنا أستمع إلى صوتها العذب وقلبي يدق  
بصوت يعلو على صخب المكان..  
كعادتي..



## «أدهم»

اقتربت منه ببطء وأنا لا أعرف إن كان ما أنا مقدم عليه  
صواب أم خطأ..

لم أوقد الأنوار، فأنا أعرف طريقي جيداً داخل تلك الحجرة  
بالذات..

وقفت بجانبه ووضعت يدي فوقه.. ملمس الأبانوس هذا الذي  
يظهر من خلال القماش المهترئ، ترددت للحظة ثم مددت يدي  
أخيراً وأزلت الغطاء عنه..

وها هو البيانو يتجسد أمامي مرة أخرى..

مهيّباً، شامخاً، لست أعرف من اخترع البيانو لأول مرة  
لكنه كان على صواب تماماً عندما اختار له اللون الأسود،  
فلا أذكر أنني قد رأيت شيئاً في مثل فخامته من قبل، بالنسبة  
لي على الأقل.. تأملت.. يا للعجب من كون إنسان يستطيع أن  
يخرج من هذا الجسد المصمت أصواتاً ساحرة، حياة كاملة  
تساب من أوتاره وتتسلل داخل رأسك لتحملك إلى آفاق بعيدة،  
ترى بأعين من عزفها، تشعر كما كان يشعر هو به وقت أن  
ألّفها، كلما سمعت آلات أخرى كلما ارتبطت أكثر بهذه الآلة  
الموسيقية، من يعزف أو هو مستمع جيد للموسيقى يعرف أنه هو  
الآلة الوحيدة التي يمكنك من استخدام أصابع يدك العشرة مرة  
واحدة، لتحدث ذلك التناغم، وبالسحر، تنقل أصبع واحد فقط

فيتغير كل شيء.. كم أعشق التفاصيل، ويا لكم التفاصيل  
في تلك الآلة الساحرة..

جلستُ على الكرسي الذي لم أجلس عليه منذ عام كامل، ثم  
مددت يدي ورفعت غطاء الأصابع.. وها هما اللونان المتناقضان،  
الأبيض والأسود، وضعت يدي لألمس الأصابع البيضاء العاجية،  
ثم السوداء الأبانوسية.. قشعريرة غريبة سرت في جسدي  
كله، يا الله، كم كنت أفتقدك، كنت أهرب أحياناً في  
تلك الأصابع، أعزف، أتوه حتى أصحو وقد فرغت كل طاقتي  
السلبية، أو معظمها فلا يوجد شيء قادر على إذهابها تماماً..  
لم أستطع أن أتريث أكثر من ذلك، كوّرتُ يدي قليلاً، ثم  
بدأت أعزف على الفور..

لم أدرك مرّ من الوقت، كانت مقطوعة Dance Macabre  
لـ«Camille Saint-Saëns»- هي ما اختارت يداي أن تعزفه،  
فنادراً ما أجلس على البيانو وأقرر ما أعزفه.. لا أدري لماذا  
تذكرت (سارة) الآن، (سارة) التي كانت تمثل لي كل شيء  
قبل أن أقابل (مي).. شعرتُ بالاختناق، لقد أتيت هنا كي  
أنسى، كي أفرغ كل ما أشعر به، لا لكي أتذكر الآن كل  
شيء، أنا..

- «أدهم!»-

أجفلت، وتوقفت عن العزف ونظرت للخلف لأجد أمي تقف  
عند الباب وعلى وجهها نظرة مذعورة.

- «ازيك يا ماما، انت واقفة من بدري؟»-

قلتها بلهجة أحادية التُّون دون أن يحمل صوتي أي مشاعر،  
 ظلت ترمقني بتلك النظرة المذعورة ثم قالت بلهجة حادة لا تنتمي  
 بصلة لتلك النظرة على وجهها:

- «انتَ رجعت تعزف تاني إمتي؟»

ظللت أتطلع إلى عينيها المذعورتين ثم قلت:

- «في باند، حرجع أعزف معاهم، كنت عايز أشوف لسا

بعرف أعزف ولا لأ»

ظللت واقفة، لم تغير من نظرتها، ولم ترد، نظرتُ إلى الأرض  
 لوهلة ثم قلت دون أن أنظر إليها:

- «بتسألني ليه؟»

ابتلعت ريقها بصوت مسموع وقالت وهي تشير للبيانو:

- «انتَ كنت بتعزف نفس اللي انتَ كنت بتعزفه يوم ما...»

لم تكمل جملتها، شعرت بالدم يصعد إلى رأسي وقلت وقد

بدأت العصبية تظهر في صوتي:

- «بتسألني ليه برضو؟»

نظرتُ إليَّ وظهر الأسى على ملامحها.. كم أكره تلك  
 الانطباعات التي تتكون على وجهها كلما تراني أعزف، لحسن  
 الحظ لم أرَ تلك الانطباعات منذ عام كامل، لكن يبدو أنني  
 سأعود لأراها من جديد.. قالت:

- «أنا بس آآآ.. انتَ عارف، أنا قلبي بيتقبض لما بسمعك

بتعزف المقطوعة اللي انتَ كنت بتعزفها دلوقتي دي»

زفرتُ وقلتُ في نفاذِ صبر:

- «خلاص يا ماما ، ما تبقيش تسمعيها ، لما أعزفها ابقي  
اقفلي الباب عليكي»

ظلت واقفة ولم ترد ، درتُ تجاه البيانو ولم أعزف ، انتظرت  
قليلاً حتى سمعت الباب يغلق وصوت خطواتها وهي تبتعد في  
بطء.. ظللت كما أنا لوهلة ثم كورت يدي مرة أخرى وبدأت  
أعزف من جديد.

نفس المقطوعة..

ازدادت حدة ضربات أصابعي على البيانو ، فقط لأتناسى ما  
ذكرتني هي به الآن ، لكن هيهات..

تركت الذكريات تتساب داخل رأسي وتركت أصابعي  
تحاول أن تتسيني كل شيء؟

لكني أعلم أن هذا غير ممكن..

فما حدث لا يمكن نسيانه بأي حال من الأحوال..

لماذا لم يكتشف أحدهم إلى الآن شيء يمحي الذاكرة  
ويريح الجميع من عذاب الذكريات؟..

لماذا؟..



## «ياسمين»

- «تاني يا (ندى)، صوتك مش عاجبني النهارده، فيه إيه؟»  
نظرت (ندى) لـ(أدهم) ثم نظرت لي بغضب ومطت شفيتها  
ثم أشاحت بوجهها ولم ترد.. لسبب ما يريد الجميع أن يظهر  
وا بمظهر جيد أمامه، صحيح أن هذا أول يوم له في البروفات  
وبالطبع يريد كل منهم أن يترك انطباع أنه أهم من بالفرقة  
لدى القادم الجديد، إلا أنهم اليوم يثيرون أعصابي لدرجة تفوق  
الوصف..

- «من الأول يا جماعة، نركز شوية، معايا يا (أدهم) زي ما  
اتفقنا»

ثلاث ضربات بعصا الدرامز ثم في الرابعة «انتر» بسيطة، ثم  
بدأت الأغنية، هذا أفضل كثيرًا، الحقيقة أن (أدهم) أفضلهم  
حتى الآن مع أن هذا يومه الأول، كم أريد أن أحظى بمثل موهبته  
في كل الآلات، بدأت أتمايل مع الموسيقى بالفعل مع الإيقاع،  
ثم انتهت المقدمة وها قد حان دوري، أخذت نفسًا عميقًا ثم  
بدأت في الغناء:

موال، ترحال وكل يوم سؤال

الدنيا ديا، كتير عليا، مش لاقية راحة البال

يمكن من جوا أنا فيا حاجات كتيرة، عايزة أتغير أنا

أنا عايزة أثور أكيد وأروح بعيد، بس باين له هروب مُحال

نظرتُ إلى (ليلي) كعادتي كلما اندمجتُ في الغناء فوجدتها  
لا تنظر إليّ كما تعودتُ أن تفعل..

كانت تنظر لـ (أدهم)..

أنا أعرف (ليلي) جيداً ، أعرفها كظهر يدي في الواقع ،  
ليست هذه نظرة استكشاف للوافد الجديد ، (ليلي) عيناها  
تلمعان وتعديل من خصلات شعرها من وقت لآخر ، بل وتنفس  
دخان سيجارتها تجاهه ، هي تفعل هذه الحركة معي فقط ،  
تقول لي أنها تحبني أن أستنشق الهواء الذي يخرج من صدرها ،  
بدأت أشعر بالعصبية وبدأ صوتي يخرج عن التون..

- «Stop!»

توقفوا عن العزف فجأة ونظروا جميعاً إليّ في عدم فهم ،  
أشرت بيدي في الهواء وقلت:

- «كلنا محتاجين نريح شوية ، خلينا ناخذ بريك»

- «(ياسمين) ، صوتك مش عاجبني النهارده ، في إيه؟»

التفتُ إلى (أدهم) الذي قالها مقلداً لهجتي في التحدث ،  
ضحك الجميع بالطبع عداي ، لم يظهر للحظة واحدة من قبل  
أنه يعرف كيف يمزح أو أنه يفهم الدعابات من الأساس.. التفتُ  
إلى (ندى) فوجدتها تضحك بشدة وترفع إصبعها الإبهام عالياً  
نحو (أدهم) لتخبره أن دعابته قد راقته لها ، ولدهشتي ، كانت  
(ليلي) أيضاً تضحك وتعض بأسنانها على شفتها السفلى.. شعرتُ  
بالغيظ مما يحدث لكنني لم أود أن أقول ما يغضب (أدهم) ،  
فأنا قد وجدت عازف مثله أخيراً ولن أغامر بأن يتركنا.

- «بريبيك»

قلتها واتجهت للباب، سأحتاج أن أشرب بعض القهوة حتى  
أهدأ قليلاً، التفتُ إلى (ليلي) لأخبرها بعينيَّ أنني غاضبة منها  
فوجدتها تنظر إلى (أدهم) الذي كان قد ترك الأورج ويتجه هو  
الآخر نحو الباب..

وفجأة، وجدته يتعثر ويكاد يسقط على الأرض لولا أن  
استندَ في اللحظة الأخيرة على أحد المقاعد بجانب (ليلي)،  
نظرت فوجدت قدم (ليلي) ممدودة للأمام.. تبًا، لقد فعلت تلك  
المجنونة إحدى حركاتها السخيفة معه.. التفتُ هو إليها ورأى  
قدمها التي كانت تسحبها هي للخلف في تلك اللحظة، وظلت  
تنظر إلى ملامحه الغاضبة رافعة حاجبيها إلى الأعلى راسمة  
ابتسامة مشاكسة على وجهها الذي أعشقه..

- «أنتِ هبلة؟»

تغيرت على الفور ملامح (ليلي) وظهر الغضب جلياً على وجهها  
وقامت من مقعدها وصاحت فيه:

- «مين دي اللي هبلة يا متخلف انت؟»

وفجأة مدَّ (أدهم) يده وأمسكها من ذراعها ولواها مما  
أرغمها على أن تستدير فصرخت:

- «أنتِ يا حيوان، إيه اللي بتعمله ده»

- «مش أنا اللي يتهزر معاه الهزار ده، انتِ فاهمة ولا لأ؟»

اندفعتُ على الفور تجاههما بعد أن كنت قد تسمرت في  
مكاني وأنا أراقب هذا المشهد العجيب الذي اشتعل فجأة..

- «(ليلي)، (أدهم)، إيه اللي بتعملوه ده؟»
- «انتِ مش شايفة الحيوان ده لاوي إيدي ازاى؟ ده متخلف»
- ترك (أدهم) ذراعها فدارت على الفور ونظرت إليه بعينين تكادان تشتعلان من شدة الغضب ثم صرخت فيه:
- «فيه واحدة يتهزر معاها الهزار ده يا زبالة انتِ؟ إيه الخرا اللي بتعمله ده؟»
- صاح هو فيها:
- «أنا اللي هزرت معاكي يا مجنونة انتِ؟ مش عاجبك اللي أنا بعمله متهزريش معايا بعد كدا، بسيطة دي ولا صعبة؟»
- صحتُ فيهما:
- «إيه، في إيه؟ أنا حاسة إنني في حضانة مش مع ناس كبيرة، إيه الهبل اللي بتعملوه ده؟ (أدهم) بعد إذنك الهزار في حدود، وانتِ يا (ليلي)، ما تهزريش بعد كده مع حد من الفرقة لو سمحتي»
- نظرت (ليلي) لـ(أدهم) بغضب ثم أخذت حقيبتها واتجهت للباب في عصبية وهي تقول:
- «يلا، ابقِي خلي سي الفنان بتاعك ده ينفَعك، سلام»
- اندفعتُ خلفها وجذبتها من ذراعها، حاولت هي أن تجذب ذراعها من يدي إلا أنني جذبتها بقوة فنظرت إليّ وبدا الألم على وجهها، قلت بغضب دون أن أرفع صوتي:
- «مش حتمشي، فاهمة ولا لأ؟»

ظللنا ننظر لبعضنا البعض لوهلة ثم تركتُ يدها فاتجهت هي إلى مقعدها وجلست وأخرجت علبة سجائرهما وأشعلت سيجارة ونفستها في غضب وهي تهز قدمها بشدة.. التفتُ إلى (أدهم) فوجدته قد جلس أمام الأورج وهو عبوس الوجه، عاد الجميع وبدأ كلُّ منهم يجلس في مكانه ويمسك بآلته الموسيقية، تذكرت أنني لم أشرب القهوة التي كنت أريدها، تبأ لهما معاً.. أخذت نفساً عميقاً ثم قلت بصوتٍ حاولت أن أجعله هادئاً:

- «يلا بقى، وروني البريك عمل إيه.. درامز، يلا ابدأ»



## «ليلي»

- «ماشي يا جماعة، الله ينور، كنتوا هايلين، بعد بكره، ماتسوش».

لم ألتفت إلى (ياسمين)، كنت أنظر لـ(أدهم) وهو يللمم أشياء ويستعد للرحيل، لا أنكر أنني ما زلت أشعر بغضبٍ عارم مما فعله، لكن شيئاً ما فيما حدث بيننا جعلني أشعر برجولته، هو لم يرضَ بأن أمزح معه بتلك الطريقة، بل كان رد فعله عنيفاً أيضاً وهو يحافظ على كرامته، لا أنكر أنه لفت انتباهي أول ما رأيته في البروقا، كنت قد رأيته عدة مرات في حفلات كان يعزف هو فيها، لم يلفت انتباهي وقتها قط، لا أدري ماذا جدَّ عليّ، لكن ما فعله جعلني أفكر فيه أكثر..

- «بصراحة، أنتِ زي القمر النهارده»

التفتُ لأجد (ندی) تنظر لي بابتسامتها المرحّة، طالما أعجبتني (ندی)، روحها خفيفة ودائماً ما تنشر البهجة في المكان الذي تتواجد فيه، ابتسمت لها وقلت:

- «ميرسي يا (ندی) أنتِ اللي قمر والله»

اقتربت مني وقالت:

- «لأبجد، أنتِ شيك أوي النهارده، كل يوم بتبقي شيك، بس النهارده زيادة الصراحة، الفستان واو، أول مرة اشوفك لابسة فساتين، والصندل، تحفة، حتى الـ accessories، الخاتم والخلخال

في رجليكي تحفة، أنتِ جايباهم منين؟ أنا كنت بدور على خلخال  
شيك كده من فترة ولفيت قد ما لفيت وما لقيتش برضو»

ضحكتُ وأنا أمسك بيدها، دائماً ما تجعل من أمامها يظن  
أنه أفضل وأجمل وأظرف إنسان في الوجود، من الجميل أن  
يتواجد في حياتك شخص مثل (ندى).

- «(ليلي)!»

التفتنا جميعاً إلى (ياسمين) التي صعد صوتها فجأة باسمي،  
نظرتُ إليها باستغراب فصاحت:

- «هو احنا مش قلنا ما فيش هزار خلاص مع حد من الباندي؟»

شعرتُ بحرج شديد، ونظرتُ إلى (ندى) فوجدت وجنتيها  
قد صارتا بلون الدم، تركتني (ندى) واتجهت إلى الباب، ظل  
الجميع واقفين يتابعون الموقف ثم اتجهوا إلى الباب دون أن يقول  
أحدهم أي شيء..

أخرجتُ سيجارة وأشعلتها ونفثت دخانها وأنا أنظر للجهة  
الأخرى، سمعت خطوات (ياسمين) تقترب، لم أتلفت لها، فجأة  
وجدت يدها تجذبني من ذقني وتجبرني على النظر إليها، نظرتُ  
إليها لثانية ثم أدت وجهي مرة أخرى، جذبتني من ذراعي في عنفٍ  
فنظرتُ لها، كنت أشعر بألم شديد لكنني لم أقل شيئاً، اقتربت  
بوجهها مني حتى شعرت بأنفاسها على وجهي، كانت نظراتها  
تشتعل غضباً، ظلت تنظر إلى عيني عبر تلك المسافة القصيرة ثم  
قالت بصوتٍ خافت لكنه يحمل الكثير من العصبية:

- «أنتِ شوية ت flirt على (أدهم)، وشوية على (ندى)، في إيه

ما تظبطي كده»

ظلمت أنظر إليها دون أن أرد ، كانت قدمي تهتز رغماً عني  
كعاداتي كلما شعرت بالعصبية ، جذبتني هي فجأة وقبلتني..  
قبلة طويلة ، رفعت سيجارتي عالياً خشية أن تصيبها ، لم أندمج في  
البداية ثم بادلتها بالتقبيل حتى شعرتُ بحرارة جسدي كله ترتفع..  
ابتعدت عني أخيراً ثم قالت بصوتٍ خافتٍ لكن برفقة هذه المرة:  
- «انتِ عارفة أنا ممكن أعمل إيه لو عرفت إن أي حاجة من  
الحاجات دي جد؟»

لم أرد ، وإن كنت بدأت أشعر ببعض الخوف من طريقة  
كلامها.

- «(ليلي) ، أنا ممكن أقتل ، عارفة يعني إيه أقتل؟»  
شعرت برعشة خفيفة تجتاحني وبالجلد على ظهر ساعدي  
يصير كجلد الإوز ، ظلمت تنظر في عيني ثم أمسكت بيدي  
وضغطتها بقوة وقالت:

- «(ليلي) ، انتِ بتاعتي ، بتاعتي أنا بس»  
قالتها ثم جذبتني مرة أخرى نحوها وقبلتني ، وما أن انتهينا  
حتى نظرت في عيني وقالت:

- «يلا ، عايزين نخرج خروجة حلوة عشان ننسى الخرا اللي  
حصل النهارده ده»

لم أرد أن أذهب معها لكني لم أجرؤ أن أرفض ، تركتها تلملم  
أشياءها وتستعد وبقيتُ أنا مع سيجارتي ينفث كلُّ منَّا الآخر..



## «وليد»

- «انتَ خدت بالك من (ياسمين) و(ليلي)؟»

نظر لي باستغراب، أحياناً تدهشني سذاجته، قلت:

- «انتَ ماخدتش بالك من حوار (ندی) ده؟»

- «(ندی) إيه؟»

شعرت بالدم يصعد إلى رأسي..

- «آه، مانتَ كنت نجم القعدة، تصدق ماحدث خد باله

أساساً إني كنت قاعد معاكم في البروفة؟ (ياسمين) زعقت

ل(ليلي) عشان كانت بتهزر معاها، كانوا بيعملوا حركات

بنات بقى، انتِ زي القمر، لأ انتِ اللي فشيخة، ف(ياسمين)

ماعجبهاش بقى إن (ليلي) تبقى بتهزر مع حد ثاني»

- «انتَ أوفر والله يا (وليد)، هي كانت عايزة البروفة تمشي

كويس بس، هي كانت قالت ل(ليلي) إنها ما تهزرش مع حد من

الفرقة ساعة ما اتخانقت معاها»

نظرت له باستغراب:

- «لأ ثواني كدا.. انتَ اتخانقت مع (ليلي)؟»

حكى لي (أدهم) سريعاً ما حدث بينه وبين (ليلي)، يبدو

أنني كنت في الخارج وقتها.. لم أفهم أي شيء، ما يقوله يوحى

بشيء أو بآخر بأن (ليلي) تحاول التقرب من (أدهم) بطريقتها،

وما فهمته اليوم يقول أن (ليلي) و(ياسمين) على علاقة ببعضهما البعض.. هززت رأسي وقلت لـ(أدهم):

- «أنا مش فاهم حاجة»

- «انت بس دماغك تعباك، ريحها شوية يا (ول)»

نظرت إليه وأنا أتساءل عمًا يعتمل في داخله، بالأمس كان يشعر بالأسى مما حدث مع (مي)، والآن هو يعبث في هاتفه ويبتسم، قلت وقد قررت أن ما يحدث لـ(أدهم) يحدث له فقط ولن يحدث لأي شخص آخر، بالذات أنا:

- «ماشي يا عم، (ياسمين) المزة عايزاك معاها في الفرقة،

وزعقت لـ(ليلي) المزة برضو عشان خاطرک، و(كارما) المزة هي كمان بتكراش عليك»

نظر لي فجأة وقال باستغراب:

- «(كارما)!»

قلت بغيظ:

- «(أدهم)، انت حمار يا ابني، حمار وماتستحقش أي

واحدة من النسوان اللي حواليك دول، أو تقريبًا عشان انت ماتستاهلمش فهمما بيجولك، مش عارف، في حكمة ورا الموضوع ده أنا مش فاهمها، انت ماخدتش بالك قبل كدا من (كارما) وهي بتبصلك؟ ده كل الناس خدت بالها يا ابني!»

شرد (أدهم) ببصره وقال:

- «أنا ماخدتش بالي قبل كده، بس أنا فعلاً ما فيش أي

حاجة من نحيتي خالص»

- «ماهي هي دي المشكلة ، أنت مافيش حاجة من ناحيتك ،  
وبيبصولك أنت وبيحلقولي أنا ، كأني شجرة مزروعة جنبكم  
مثلاً»

كان شاردًا ولم يلتفت لما قلت لحسن الحظ ، أحياناً كثيرة  
أقول أشياء ثم أندم عليها لاحقاً ، لا أريده أن يشعر أنني أشعر  
نحوه بالحد ، ليس هذا ما أشعر به فعلاً ، أنا أريد أن أكون  
مثله ليس أكثر.. قلت:

- «عمومًا مش لازم يكون في حاجة من ناحيتك ، مش لازم  
يكون في مسمى للعلاقة من الأساس ، اضحك ، وانبسط ،  
وصاحب ، عندك جوز الصواريخ (ليلي) و(ياسمين) ، لو ماطلعوش  
زي ما في دماغي ، خدلك واحدة وأنا أخدلي واحدة»  
- «مين الصواريخ (ليلي) و(ياسمين) دول؟»

التفتنا أنا و(أدهم) لنجد (كارما) خلفنا ، أجملت ، ترى ماذا  
سمعت؟ قلت:

- «مافيش يا ستي ، (أدهم) رجع يعزف في باند فيه اتنين قطط  
كده بس كويسين الحقيقة ، لو شفتيهم حتفهمي قصدي ، وأنا  
بروح أقعد معاهم كدا ، أهو كأني الفواحة اللي في العربية  
مثلاً»

نظرت لـ(أدهم) و بدا عليها أنها مصدومة بشكل ما وقالت:  
- «رجعت تعزف؟»

نظر لها (أدهم) باستغراب وقال:

- «أه ، إيه المشكلة؟ ثم أنت تعرفي أصلاً إني كنت بعزف؟»

احمر وجهها قليلاً وقالت:

- «يعني أنا سمعتهم مرة بيتكلموا على إنك كنت بتعزف،  
ثم أنت خلاص قدامك سنة وتخرج وتبقى دكتور، فقلت يعني  
أكيد مش حتفكر ترجع»  
قال (أدهم) فجأةً بجدة:

- «وانت مالِك أبقى دكتور ولا مش دكتور؟ أنا المفروض  
أعمل اللي أنا عايزه مش اللي الناس شايفاه صح»  
نظرتُ له بغيظ، (أدهم) يتصرف بغرابة هذه الفترة، يضحك  
فجأةً وتفلت أعصابه فجأةً، نظرتُ لـ(كارما) فوجدت الحزن  
على وجهها، لم تتعصب، لم تغضب، يا لرقتها، أنت صديقي  
لكنك لا تستحقها يا رجل، ولدهشتي قالت هي بصوتٍ خافت  
أقرب للبكاء:

«أنا آسفة يا (أدهم)، ماكانش قصدي إني أضايك، أنا بس قصدي...»  
وقطعت كلامها عندما التفت إليها (أدهم) ورمقها بنظرة  
نارية، وضعت أصابع مرتجفة على فمها، لقد أخافها اللعين  
بنظرته تلك، هممت بقول شيء ما لأصلح ما فعله لكنه قال  
فجأةً بصوتٍ هادئ:

- «أنا اللي آسف يا (كارما)، أنا بس مش مضبوط شوية  
الفترة دي»

لانت ملامح (كارما) على الفور واقتربت منه وجلست بجانبه  
ووضعت يدها على ركبته أمامي أنا الذي دائماً ما يعاملني الناس  
كأني شيء ما في خلفية مشاهد حياتهم وقالت بصوتٍ خافت:

- «إيه اللي حصل يا (أدهم) إحكي لي، أنا سامعك»  
التفت لها (أدهم) وظلَّ ينظر كل منهما في عيني الآخر، شعرت  
بالدم يصعد إلى رأسي وقلت محاولاً إفساد هذا المشهد الرومانسي:  
- «ما فيش يا ستي، (أدهم) و(مي) سابوا بعض»  
قالت لـ(أدهم) دون أن تنظر إليّ كأنه -ذلك التعس- هو من  
تحدث وليس أنا:

- «أيه ده بجد؟ ده إمتى الكلام ده؟»  
لم أرد هذه المرة، قال (أدهم) وقد عاد الحزن إليه:  
- «من يومين، عادي، إنسي»  
قالت وقد بدت سعادة لم تستطع أن تخفيها في عينيها:  
- «وعشان كده بقي رجعت للمزيكا وبتشوف مزز وصوراين  
وكده؟»

ابتسم لقلوها، كانت هذه أطول محادثة أراها تقوم بها..  
ابتسمت أنا الآخر، بشكل ما لا يمكنك ألا تشعر براحة  
تعتريك عندما تجد السعادة تشع من عيني تلك الفتاة، قالت دون  
أن تفارق وجهها الابتسامة:

- «طب خدوني معاكم عشان أقولكم رأيي إذا كانوا مزز  
فعلاً ولا ده cheerleader effect وخلص»  
- «شيرمين يا حاجة؟»

ضحكت والتفتت إليّ أخيراً وقالت:  
- «cheerleader effect ده لما تشوف كذا بنت مع بعض،

---

فيهم حد حلو وحد وحش، فعينك بتشوف الـ average، يعني  
بتشوفهم كلهم حلوين حتى لو فيهم وحشين»

قلت وقد أبهرني ذكائها:

- «ما شاء الله، هي بقى ليها مصطلح كمان؟ عمومًا همًا  
مرز فعلاً، يعني الـ average بتاعهم حيديكي نفس الرقم بتاع  
كل واحدة فيهم»

ضحكت، يا لجمال ورقة ضحكتها، لماذا أشعر أن الشمس  
تزداد إشراقًا وأن الخضرة حولنا تستقيم درجة خضرتها عندما  
تضحك هي؟ توقفت أخيرًا عن الضحك فعادت السماء للونها  
الأصلي وقالت بابتسامة:

- «خلاص، يبقى آجي معاكم وأقولكم رأيي بنفسي»

- «أنا عايزك فعلاً تيجي معايا المرة الجاية»

التفتت لـ (أدهم) وتهللت أساريرها وقالت بفرحة عارمة:

- «بجد يا (أدهم)؟ عايزني آجي معاك؟»

ابتسم هو ابتسامة خفيفة وأومأ برأسه، مدت هي يدها  
وأمسكت بيده وضغطتها.. فجأة تحول الموضوع من أن تأت  
«معنا» إلى أن تأت «معه»، قلت وقد شعرت أن وجودي صار فعلاً  
غير مرغوب فيه:

- «يلا، أنا حروح ألعب مع الأسد، أشوفكم بالليل بقى»

وتركت المكان وأنا أشعر بصدري يضيق حتى كاد لا يسع  
روحي من الأساس..



## «ليلي»

«التملُّق هو أن تخبر الطرف الآخر بما يظنه تماماً عن نفسه»  
عدت أقرأ الجملة الأخيرة لعدة مرات ثم توقفت عن القراءة  
وأنا أفكر في معناها..

أنا أفعل هذا الآن مع (ياسمين)، (ياسمين) تريد أن تكون  
قوية، أن تكون مسيطرة، أن تمتلكني، وأنا أخبرها أنها  
قوية وأتصرف لأظهر لها أنها مسيطرة وأدعها تظن تماماً أنني  
ملكها، فهل أنا أتملقها؟ وإن كنت أفعل، فهل أفعله خوفاً  
منها.. أم لكي لا تتركني؟ ثم ماذا عن (أدهم)؟.. تباً، سأحتاج  
الذهاب إلى دكتور (حسين) في أقرب وقت ممكن..  
- «إيه ده، كتاب علم نفس؟»

رفعتُ عيني إلى الصوت لأجد المتحدث إحدى زميلاتنا، وهي  
بالمناسبة أسخف من التحق بكلية تجارة منذ أن تم افتتاحها..  
خفضتُ عيني إلى الكتاب مرة أخرى، لست في مزاج الآن  
للتحدث مع تلك السخيفة.. استمررت في القراءة لعلني أجد جملة  
أخرى أتناقش فيها مع (حسين) عندما أراه.

- «مش بكلمك يا زفتة انت؟»

رفعتُ عيني إليها وخفضت الكتاب ثم قلت بعصية:

- «أيوا كتاب خرا على دماغك، عايزة حاجة؟»

ابتسمت ابتسامة ساخرة ونظرت لي من أسفل إلى أعلى وقالت:

- «ليلي) انت بتروحي لدكتور نفساني؟»

تسمرت فجأة، يبدو أن الكلمة قد فاجأتني لأنني ظللت لوهلة  
لا أجد رداً وشعرت بوجنتي تشتعلان، يبدو أن لونهما قد قارب  
على الأرجواني وليس الأحمر، سألتها بصوتٍ مبجوح:

- «وحروح لدكتور نفساني ليه؟»

قلتها ثم نهزتُ نفسي على الإجابة التي تثبت أنني أذهب بالفعل  
إلى طبيب نفسي، شعرت بالحنق من نفسي ومنها لكنني حاولت  
كتمانها قدر المستطاع، قالت هي بنفس طريقتها الساخرة:

- «يعني عشان تتعالجي من اللي أنت فيه»

ظللت أنظر إليها غير مستوعبة ما تقول ثم قلت بنفس الصوت المبجوح:

- «هو إيه اللي أنا فيه؟»

ضحكت ضحكة طويلة مفتعلة بالطبع ثم قالت بتهمك:

- «ابقي خدي معاكي (ياسمين) هي كمان، مش هي عندها

نفس اللي عندك برضو؟»

لم أستطع الانتظار أكثر من هذا، طالما تمنيت أن أضرب  
تلك الفتاة، وها هي الفرصة سانحة، وضعت الكتاب جانباً في  
هدوء لا أعرف سببه، ثم قمت واقفة بهدوء أيضاً، ثم مددت يدي  
وأمسكتها من شعرها..

واشتعل كل شيء فجأة..

صراخ وصفعات ولكمات وسباب، لم أميز من يفعل ماذا، ميزت

أصواتاً أخرى، يبدو أن عدد من الطلاب قد أتوا ليخلصوا بيننا.

- «بتضربيني؟ ده أنا حفضحك في كل حنة أكثر ما أنت

مفضوحة.. يا ليسيبان يا بنت الو\*\*ة»

كنت أشعر بأيادي تحتك بجسدي، بدفعة من هنا ومن

هناك، لا أذكر أنني بكيت، كل ما أذكره أن تلك الكلمة  
صارت تتردد في مخي وتعيد نفسها مرات ومرات..  
أنا لست فتاة جيدة، أنا مكروهة في كل مكان أذهب إليه..  
(ياسمين) هي الوحيدة التي لا أجد عندها ما أشعر به في  
كل مكان..

كم أفقدها الآن، كانت ستعرف كيف تتصرف كانت س...  
- «إيه اللي بيحصل ده؟ دي كلية ولا سوق خضار؟ ناديلي  
الأمن يا ابني»

أعادتني الجملة إلى الواقع على نحو ما، يبدو أن أحد الأساتذة  
قد رأى ما حدث وقرر أن يمارس وظيفته في الحفاظ على نظافة  
الكلية من أمثالي.. وبالفعل ظهر فردين من الأمن كأنهما كانا  
ينتظران بفارغ الصبر أن يُبينَا أنهما يستحقان المبلغ التافه الذي  
يتقاضاه، أشارا إلينا لنسير أمامهما إلى مكتب الأمن، لم أقل  
شيئاً، سرتُ أمامهما بالفعل دون أن أتحدث وسط صرخات تلك  
العاهرة التي كانت تلقي باللوم عليّ بالتأكد..

لكنتي لم أفعل..

كل ما أردته أن ينتهي كل شيء الآن لأذهب إلى (حسين)  
لأحكي له ما حدث وما أشعر به ثم أعود بعدها إلى (ياسمين)..  
لأرتمي في حضنها..

وأبكي..

دون أن أقول كلمة واحدة..



## «سيف»

- «هاتلي قهوة يا ابني، عايز تشرب حاجة؟»

هز رأسه نفيًا، التوترباد تمامًا على وجهه، هذا جيد،  
من الجميل أن يظلوا متوترين هكذا حتى تضعف مقاومتهم  
ويخبروني بكل شيء..

- «هاتله ليمون»

سيزيد من توتره أنني قد قررت أن يشرب شيئًا ما دون أن  
يطلبه، من الممكن جدًا أن يكون يكره الليمون مثلًا، هذا  
جيد بشكل أكبر، أريده ألا يشعر بالراحة، فالقلق دائمًا ما  
يأتي بنتائج جيدة.

- «ها يا عم (أدهم)، قلت لي كانت علاقتك إيه ب(سارة)؟»

كان يتحاشى النظر في عيني، هذا جميل، كل من  
يتحاشون النظر إلى عينيك يكذبون في المجمل، سأنتظر تلك  
الكذبة التي ستخرج من فمه الآن:

- «كنا نعرف بعض، يعني كنا آآآ»

لم يكمل الجملة.. ظلمت أنظر إليه دون أن أرد، شعرت بتوتره  
يزداد، نادرًا ما يتحمل أحدهم أن تظل تنظر إليه هكذا دون أن  
تتحدث.

- «كنا متصاحبين»



- «أنا ما قتلت...»

قاطعته بإشارة من يدي وقلت:

- «حنعرف، لو قتلتها حنعرف، اشرب بس الليمون وسيبني  
أكمل، اشرب».

ظل متردداً ثم اقترب من المكتب ومد يده وأمسك بالكوب.  
- «انتَ يا ابني واقف ليه من ساعة ما دخلت؟ أقعد يا حبيبي،  
استريح»

تردد قليلاً، يبدو أنه شعر أنه هناك خدعة ما، ثم جلس أخيراً  
وأمسك بكوب العصير بكلتا يديه كأنما يستمد منه الأمان  
بشكل أو بآخر.. تراجع في كرسيّ وقلت وأنا أشعر بالنشوة  
مما أقوله:

- «إحنا عملنا تحرياتنا، (سارة) كان ليها صحاب كثير،  
بس علاقتها بيهم كانت عادية، مافيش دراما يعني، أكثر  
اتنين كانت قريبة منهم كنت انتَ و(ليلي)، (ليلي) صاحبة  
(ياسمين)، مانتَ عارفهم، مش دول اللي معاك في الباند اللي  
انتَ لسا منضم له جديد؟ شفت بقى، أهو، كلكم صحاب في  
بعض، يعني من الآخر واحد منكم اللي قتلها»

بدت الحيرة على وجهه وقطب حاجبيه بشدة، لا أعرف إن  
كان حدسي هذه المرة سليماً أم لا، لكن يبدو أنه لا يعرف أن  
(سارة) كانت تعرف كلاً من (ليلي) و(ياسمين)، فكرت أنها  
فرصة جيدة يجب أن أنتهزها.

- «انتَ تعرف إن (ليلي) و(ياسمين) يعرفوا (سارة)؟»

هز رأسه وإن بقي على شروده كأنما حاول التفكير في شيء ما ، قال أخيراً دون أن يلتفت إليّ:

- «لأ ، ماكنتش أعرف ، بس (سارة) كانت بتعزف كمانجة ، آآآ ممكن تكون كانت تعرف (ياسمين) بس عمرها ما حكيتلي عليهم»

- «ممم ، عمرها ما حكيتك عليهم ، ها طب أديك قابلتهم أهو ، إيه رأيك فيهم بقي؟»

رفع كتفيه لأعلى وخفضهم ثم قال:

- «عادي ، زي كل البنات اللي قابلتهم في المزيكا»

- «وعاملين ازاي بقي البنات اللي قابلتهم في المزيكا دول؟»

بدا عليه التفكير العميق مرة أخرى وشرد ببصره ثم نظر إليّ وقال:

- «ممكن يعملوا أي حاجة»

لم أفهم ما يقول في البداية ، ثم فطنت أنه يشير إلى أن من قتل (سارة) لا بد وأنه إحدى الفتاتين ، لأنهما على حد قوله يمكن أن يفعلن أي شيء ، وأي شيء هذه قد تتضمن القتل.. حيلة «أنا لم أقتله ، بل هو» هذه من أقدم الحيل التي يلجأ إليها المجرمون غير المتمرسون في الإجرام ، يبدو أن (أدهم) هذا يخفي وراءه الكثير.. قلت:

- «عموماً هو اللي قتلها له علاقة بالمزيكا»

نظر لي باستغراب محاولاً أن يستشف ما أعنيه ، لم نعلن بالطبع أن الكمان الذي كان معها تم تحطيمه ، هذه من

---

الأشياء التي نعرف بها المجرم، كنت أنتظر أن يقول لي شيئاً على غرار «تقول هذا لأن الكمان تم كسره؟»، لكنه لم يقل هذا للأسف، هو حتى لم يسأل لماذا قلت له ذلك.. هو لا يريد أن يتحدث ولا يريد أن يعرف، تصرف غريب حقاً.. من يشتبه فيه في جريمة قتل يجب أن يسأل ليعرف أكثر عن المصيبة التي هو فيها، لكن يبدو أنه لا يكثر، إما لأنه لم يقتل فعلاً ويعرف تماماً أنه لا علاقة له بما حدث -وهو ما لا أستسيغه- أو هو يعلم تماماً ماذا حدث في مسرح الجريمة ولا يريد أن يدخل معي في نقاش كي لا يقع في قول شيء ما يؤكد اقترافه للجريمة..

حسناً، أنت أردت هذا..

اعتدلت في كرسيي، ثم قلت له وأنا آخذ رشفة أخرى من القهوة التي فقدت مذاقها:

- «ها بقي، من الأول كده وواحدة واحدة، سيببتوا بعض ليه أنت و(سارة)؟»



## «حسين»

- «شكلك النهارده غير كل مرة»

نظرت لي بعينين اختلط فيهما الحزن بالحيرة، لفت انتباهي أن وجهها به بعض الكدمات، لم تكن واضحة للغاية لكنني صرت أحفظ وجهها كما كنت سأحفظ وجه أبنائي، لو كنت قد رزقت بهم.. شعرت بغصة وأنا أراها بهذا الشكل، فقلت لها وأنا بداخلي أود أن أقتل مَنْ فعل بها هذا:

- «بيري) اللي عملت فيكي كده؟»

التفتت إليّ أخيراً وقالت دون أن تفارقها تلك النظرة:

- «اسمها (ياسمين) على فكرة»

سرّني أنها بدأت تثق بي شيئاً فشيئاً، قالت فجأة:

- «بس مش هي اللي عملت كده»

- «أمال مين؟ واحدة تانية اتعرفتي عليها؟»

هزت رأسها بسرعة وعضت شفرتها السفلى، خفق قلبي، كل ما تفعله يعجبني، تدير عينيها لليمين فأراها جميلة، تعض شفرتها فأراها جميلة، أعلم ما بها لكنها ما زالت في نظري.. جميلة.. إذا لم يكن هذا حباً فماذا يكون إذن؟

- «طيب ممكن تحكي لي؟»

أشعلت سيجارة بهدوء شديد ونفستها ببطء، وظلت صامته

---

لفترة وجيزة، احترمت صمتها حتى نظرت إليّ وقالت:  
- «كنت في الكلية، قاعدة لوحدي وبقرا كتاب عن علم النفس»

ابتسمتُ، هي أيضاً أصبحت تشاركني ما أعشق.. تجسدت صورتنا أمامي، أنا وهي، نستلقي على الفراش، في يد كل منا كتاب، نقرأ ثم نتبادل نظرة، نبسم لبعضنا البعض، ثم نعود لنكمل القراءة..

- «كنت بحسبك حتسألني بقرا ليه عن علم النفس»  
أفقتُ من خيالاتي على صوتها، وجدتها تنظر لي والغضب مرتسم على وجهها، شعرت بالحرر للحظة ثم هممت بسؤالها فقالت هي:

- «أنا عايزة أتعلم إزاي أفهم نفسي، عايزة أعرفني أكثر، أنا بحاول أتعلم منك، انت فاهمني؟»  
أومأت برأسي وهممت بالكلام فقالت فجأة:  
- «دكتور، هو أنا bi sexual؟»

رفعت حاجبي للحظة، لم أتوقع السؤال، هل هي فعلاً تسأل إن كان بإمكانها أن تتجذب للجنس الآخر أم لا؟ ما معنى هذا؟ قلت:

- «كونك بتميلي لنفس الجنس دي حاجة نفسية مش عضوية، يعني، ممكن طبعاً تميلي للجنس الثاني عادي جداً، انت بتسألني ليه؟ انت قابلتي راجل عجبك؟»

بيدو أنها فوجئت بالسؤال؛ لأنها باعدت بين شفيتها ونظرت لي

رافعة حاجبها إلى أعلى ولم تتحدث، يبدو أنني على حق، هناك شخص آخر بالفعل، رجل، لوهلة تمنيت أن تقول «نعم، أنت»، لكن كعادة الدنيا، نادراً ما يحدث ما نتمناه، بل يحدث دائماً العكس تماماً.. قالت وهي ممسكة بالسيجارة رافعة إياها بجوار رأسها:

- «(ياسمين) صاحبتني دي بتعزف جيتار وبتغني، عندها باند كده بيعزفوا الأغاني بتاعتهم، هي اللي بتكتب وبتلحن mainly، في واحد جديد لسا جي الباند معاهم، اسمه (أدهم)، من ساعة ما دخل وأنا مش عارفة أنزل عيني من عليه، مش عارفة ليه، وبعد كده حصل حاجة غريبة.. حاولت أهزر معاه، أنا عارفة إن اللي عملته ده أوفر، بس في ولاد كثير بتقبله عادي، كلهم بيقبلوا هزاري أصلاً، حتى لو سخيّف.. أنا كعبلته وهو ماشي، كان حيقع بس لحق نفسه، لف وزعق فيّا، ولوالي دراعي ورا ضهري وقال لي مش أنا اللي يتهزر معاه الهزار ده»

- «وبعدين؟»

- «وبعدين (ياسمين) جات وخلصت ما بينا»

فهمت إلى حد ما ما يحدث معها.. خطيت بعض النقاط في النوتة الصغيرة التي خصصتها لها وصرت أحتفظ بها في جيب البالطو الذي تعودت أن أرتديه بمجرد وصولي إلى العيادة، لا أعرف سبباً لفعلي هذا سوى إنني اعتبرت أن تلك الحالة تخصني وحدي، ثم إنني أحياناً -ولا أخفي عليكم- صرت أتلمس النوتة في جيبي بين الحين والآخر فأشعر أنها لا تزال معي ولم ترحل عائدة إلى عالمها الذي صرت أعرف عنه شيئاً فشيئاً كل يوم.. سألتها:

- «انتِ مش شايفة حاجة مشتركة بينه وبين (ياسمين)؟»

نظرت لي في حيرة ولم ترد ، قلت محاولاً ترتيب أفكارى:

- «أدهم) لما هزرتي معاه الهزار اللي بهزريه مع كل الناس

مارضاش ، دي أول حاجة ، ولوى إيدك ورا ضهرك ، عاملك

بطريقة مافيش حد غير (ياسمين) بيعاملك بيها ، إحنا اتفقنا

قبل كده إنك ساعات بتحسي إنك تستاهلي اللي بتعمله فيكي

(ياسمين) ، وأكد حسيتي إنك برضو تستاهلي اللي عمله

فيكي (أدهم) ، ده لو جئنا الانجذاب الشكلي اللي حصل في

الأول ، وده أنا رأيي إنه ممكن يكون سببه فتور في علاقتك

ب(ياسمين) وإن مافيش بنات حواليك دلوقتي ممكن تقولي

إنك منجذبة ليهم ، ده غير طبعاً إنك أكيد خايفة من (ياسمين)

إنها تعمل مصيبة لو انتِ عملتي حاجة زي كده »

ظلت تنظر لي لفترة طويلة دون أن تتحدث ، كانت تدخن

وتتفرس في ملامحي كما لو كانت ترى شيئاً ليس على ما يرام

في ملامح وجهي.. شعرت ببعض الارتباك وهممتُ بقول شيء ما

لكنها قالت فجأة:

- «دكتور ، انتِ بتقرا الأفكار؟»

شعرت براحة فجأة وابتسمت ، ثم تحولت ابتسامتي إلى

ضحكة ، يا إلهي لكم أسعدني ما قالته..

- «لأ طبعاً ، بس اللي انتِ بتحكيه هو اللي بيخليني أعرف»

رَفَعْتِ حاجباً واحداً وقالت دون أن تفارق عيناها عيني:

- «لأ بس واو الحقيقة ، انتِ قلت كل حاجة صح»

شعرت بقلبي يخفق، لا شيء مثل كلمات الإطراء ممن تحب  
قادرة على جعلك سعيداً، مهما قيل لي أنني طبيب جيد، لم أشعر  
أبداً بمثل ما شعرت الآن..

تغير وجهها فجأة واختفت ابتسامتها وشردت بعيداً وبدى على  
وجهها الأسى.. سألتها:

- «(ليلي)، إيه اللي افكرتیه دلوقتي خلاكي اتغيرتي كده؟»

نظرت لي بعينين شاردين تماماً وقالت:

- «افتكرت (سارة)»

تذكرت، (سارة) صديقتها التي قُتلت.. تعجبت من تذكرها  
لها الآن.. قالت:

- «ساعات بسأل نفسي إذا كانت اتعذبت وهي بتموت.. حست  
بإيه؟ حست بإيه وهي عارفة إن دلوقتي خلاص، بح، مش حتصحى  
بكره تروح الكلية، مش حتشوف حد تاني، حتقعد في حفرة  
صغيرة يدوب على قدها، ضلمة.. تفكر حسّت بإيه يا دكتور؟»  
تعجبتُ من معرفتها الضئيلة بالدين وبما يحدث بعد الموت،  
يبدو أن أبويها فعلاً لم يستثمرا وقتها في إخبارها بأي شيء..

- «أنا ساعات بحس إن ضميري بيوجعني لما بفتكرها»

ظلمت أنظر إليها وعقلي يعمل بسرعة جهنمية الآن.. لماذا  
تشعر بوخز في ضميرها عندما تتذكر شخصاً ما قُتل؟ سألتها  
وقد بدأت أشعر ببعض الارتياح:

- «انتِ في حاجة عن (سارة) ماقلتيتها ليش؟»

ظلمت تنظر لي لوهلة ثم مدت يدها وأطفأت سيجارتها في

المطفأة ثم أخذت حقيبتها وقالت بعصبية:

- «مش انت بتقرا الأفكار يا دكتور؟ ابقى اعرف لوحديك  
بقى إيه اللي أنا ما قلتهاوش»

ثم اتجهت للباب في خطوات سريعة.. شعرت بالدم يصعد إلى  
رأسي فصحت:

- «استني!»

التفتت لي ونظرت لي بحدة فقلت بعصبية لم أستطع منعها:  
- «أنا مقولتش إني بقرا الأفكار، قلتلك إن ما فيش حد  
بيقرا الأفكار، وقتلتك برضو إن كل حاجة بوصلها بيبقى من  
الكلام اللي انت بتقوليه، مش عايزة تحكي ليه يا (ليلي)؟ إيه  
الحاجة اللي مخلياكي حاسة بالذنب من ناحية (سارة)؟»  
ظلت تتطلع إلي وقد تكوّنت في عينيها نظرة نارية، ثم فتحت  
الباب وغادرت وأغلقت خلفها في عنف..

شعرت كأنما قد صفعني أحدهم على وجهي.. لماذا لا يكف  
النساء عن أن يتصرفن كالمجانين؟..

التعامل مع النساء ليس بالأمر السهل، سواء كانت مريضة  
نفسية أم لا..

ولن تعرف أبداً إن كن كذلك فعلاً..

لكن السؤال ظل يدور في رأسي فلم يدع مجالاً لأي شيءٍ آخر..  
ترى ما الذي تخفيه (ليلي) عني؟.. ما الذي لم تحكه عن (سارة)؟..



## «أدهم»

- «بريك يا جماعة، هايل، كنتوا أحسن من كل مرة،  
وانت، اضبط ال violin عشان out of tune سيكا»

هز عازف الكمان رأسه فابتسمتُ في مرارة، لم تكن  
الكمان تحتاج إلى ضبط، لكن (ياسمين) هي تحتاج من وقت  
لآخر أن تثبت أنها مسيطرة..

ما زلت أشعر بصداغ شديد منذ أن كنت عند ذلك الضابط  
الذي يتصرف كما لو كان يعرف كل شيء مسبقاً.. أمضيت  
معه ساعات عديدة، يسأل سؤال ثم يعود ليسأل نفس السؤال،  
أعتقد أنه يفعل ذلك بحثاً عن اختلاف ما، شيء ما سأقوله ثم  
سأسرده بطريقة مختلفة، يبحث عن شرخ في جدار ما أحكيه،  
ولن يجد..

ماذا يعرف هو عن أي شيء؟..

(ليلي) و(ياسمين) أيضاً، لو كنت أعرف منذ البداية أنهم  
على علاقة بـ(سارة) ما كنت لأقبل أن أنضم للفرقة، لكنني  
عرفت من (سيف)، وسيشك بالتأكيد إذا تركتهم الآن..

أعلم أن ما قلته له عن أنهما على استعداد لفعل أي شيء  
سيجعله يشك فيهما.. لم أكن أقصد هذا، ما قصدته هو ما  
وصلت إليه أخيراً بناءً على تجربة عملية عشتها وخرجت منها  
باستنتاج لن أقبل أن يناقشني أحدهم فيه..

النساء يستطعن فعل أي شيء ، بالذات هؤلاء من نوعية (سارة)  
و(ليلي) و(ياسمين)..و... و(مي)  
ويستحقون القتل..  
كلهن..

نظرت لـ(كارما) فوجدتها تنظر إليّ بابتسامة عذبة.. ظللنا  
نتبادل النظرات طوال العزف في محاولة مني لتأثيراً أغرق في  
أفكار السوء التي ستأخذني إلى الأكتئاب كما فعلت من  
قبل ، لا ، لن تسيطر عليّ هذه المرة.. كيف لم ألاحظ نظرات  
(كارما) من قبل؟ أنا غبي فعلاً كما يقول (وليد) ، لا يهم أن  
يكون هناك مسمى للعلاقة.. أحياناً يقول أشياء لا يقولها غيره..  
(وليد).. أشعر بالشفقة نحوه هو الآخر في أوقات كثيرة ، هو  
لا يعلم أهميته في حياة كل من يعرفه ، لكنه ينظر للأمر فقط  
من وجهة النظر الأنثوية: إن لم يكن مهماً في حياة أنثى ما ،  
فليذهب كل من يعرفه إلى الجحيم ، لكنه لم يمر بما مررت  
أنا به ، ويعتبر أن مجرد عدم وجود أنثى في حياته مشكلة تجعل  
حياته لا تطلق..

ماذا يعرف هو الآخر عن الحياة؟..

جميعهم لا يعرفون ما أمرُّ به الآن.. الموضوع أعقد مما  
يتخيلون..

هزرت رأسي لأنفص تلك الأفكار ، وهممت بالذهاب إلى  
(كارما) ، لكنني وجدت فجأة من تقف أمامي وتضع يداً على  
خصرها ويدها الأخرى التي لا يوجد بها إصبع بدون خاتم واحد

على الأقل ممسكة بسيجارة ترفعها بجانب وجهها..

(ليلي)..

لم أتوقع أن تتحدث معي مجدداً ، فما فعلته أنا في المرة السابقة كان سخيماً إلى حد كبير ، صحيح أنني صرت أؤمن تماماً أنهم -الفتيات- يستحقن تماماً أن يعاملن بهذه الطريقة ، لكنني لم أتوقع أن أجدها تقف أمامي الآن.

نظرت إليها لوهلة ثم تصنعت أنني أعبت بأحد أزوار الأورج لعلها تتصرف..

- «مش حتتأسفلي؟»

التفت لها ورفعت حاجبي لأعلى ، لن تتوقف عن إبهاري بتصرفاتها الغريبة ، ضحكت في سري في مرارة لكنني لم أبدها لها ، عدت أعبت في لوحة المفاتيح لثوانٍ ثم نظرت إليها وقلت:

- «أتأسفلك على إيه؟»

عبثت بلسانها داخل فمها ثم عضت زاوية شفرتها السفلى وقالت:

- «مافيش حد يعامل بنت بالطريقة اللي انت عملتها دي»

فكرت أن أقول لها وأنا أيضاً لا أظن أن هناك فتاة تحترم نفسها تعرقل الفتيان كنوع من المزاح ، لكنني آثرت ألا أفعل ، الحديث معها لن يوصل إلى شيء ، سأجعلها تتصرف ثم سأذهب ل(كارما).

- «خلاص يا ستي ، أنا آسف»

قلتها وهممت بالنهوض فوجدتها تمد يدها وتضعها فوق يدي  
الموضوعة على الأورج وتقول بصوتٍ خافت وهي تنظر في عيني مباشرة:  
- «أنا كمان آسفة، اللي عملته ده كان سخييف برضو.. أنت  
ماكانش ينفع إنني أهزر معاك كده، وكان عندك حق في اللي  
أنت عملته، لو ماكنتش عملت كده ماكنتش حتبقى راجل بجد»  
نظرت ليدها الموضوعة على يدي ثم رفعت عيني إليها في  
استغراب.. تعريفها لكلمة «رجل» غريب نوعاً، هل لأنني رفضت  
أن تمزح معي هكذا أصير في عينيها رجلاً مكتمل الرجولة؟  
هزرت رأسي وسحبت يدي من يدها وهممت بالذهاب مرة أخرى  
لكنها مدت يدها إليّ وقالت بابتسامة واسعة:

- «على فكرة إحنا كل ده ما اتعرفناش بجد.. أنا (ليلي)،  
صاحبة (ياسمين)، في رابعة تجارة، ما بعزفش بس بحب  
المزيكا»

نظرت ليدها الممدودة ولم أجد بُداً غير أن التقطها في يدي وقلت:  
- «أنا...»

قاطعتني قائلة:

- «أنا عارفة، أنت (أدهم)، (أدهم الكحكي)، حضرت لك  
حفلة أو حفلتين تقريباً قبل كده، أنت بتعزف حلو أوي، غريبة  
إنك دخلت طب»

كانت يدها لا تزال في يدي، لسبب ما لم أردّها أن تسحب  
يدها، ولم تفعل هي في الواقع.

- «أنا خدت بالي إنك وانت بتعزف ساعات كثير بيبقى

ملامح وشك زي ماتكون بتتألم، زي ما يكون في حاجة انت حاسس بيها غير اللي بيحصل حواليك»

نظرت إليها في استغراب.. لم يجانبها الصواب فيما قالتة.

- «انت عارف، أكثر وقت انت بتعزف حلو فيه بيبقى الوقت اللي بيبقى شكلك كده؟ انت عارف إن دا كدا ال defensive mechanism بتاعك؟ انت بتحول الطاقة السلبية لإبداع»

لم أرد.. كنت قد قرأت من قبل عن موضوع ال defensive mechanism هذا وأعلم تماماً ما تتحدث عنه، تذكرت مقولة there's more about here than meets the eye.. تبدو فتاة مجتمع موسيقي، تقليدية، من مدعي الثقافة ومحبي التشبه بالجانب المظلم من الغرب، شاربات الخمر والسجائر وما بينهما، لكن يبدو أنها تختلف بشكلٍ أو بآخر..

- «وانت بقى تجارة قسم علم نفس ولا بتحبي تعرفي ال defensive mechanism بتاع الناس في وقت فراغك؟»

ضحكت وهي ترجع بجزعها إلى الوراء ثم تعود ثانية، تمايلها وهي تضحك يمكن أن يوضع في أحد المراجع الطبية تحت شعار «هكذا تضحك الأنثى»، قالت أخيراً بعد أن فرغت من الضحك:

- «وده بقى ال defensive mechanism الثاني بتاعك، انت بتألس وتتريق على كل حاجة، وأولهم نفسك، بتهرب من الواقع بالطريقة عليه، كأنه مش بجد، كأن كل اللي بيحصل ده هزار».

هذه المرة أخافتني فعلاً.. ما تقوله حقيقي إلى حد لا يوصف.. تأملتها، هي أيضاً خلف جمالها يوجد شخص آخر يخبئ، إذن

فلنبدأ المباراة..

- «وانت بتضحكي بس من غير عينيكي ما تضحك، زاوية عينيكي زي ما هي، مابتتكرمش وانت بتضحكي.. يعني، إلى حدّ ما، بعرف أفرق ما بين اللي اتعلم يضحك عشان يخبي اللي جواه، وبين اللي بيضحك فعلاً.. من قلبه »

ظلّ كلّ منّا ينظر في عيني الآخر لوهلة، لا أنكر أن كل ما فيها جميل، ولا أنكر أيضاً أنه، لأشياء ليس لها علاقة بجمالها، شعرت أنني أنجذب إليها رويداً رويداً..

- «انت موضوع علم النفس ده هواية ولا بتغيري career وكده؟»  
ضحكت مرة أخرى ثم قالت:

- «لأ، بحب أقرا، يعني، أفهم الناس، أفهمني mainly»  
- «وانت مش فاهمة نفسك؟»

- «إيه مش واخدين بالكم إن البريك خلص ولا إيه؟»

التفتنا نحن الاثنان إلى (ياسمين) التي وقفت بجانبنا وعلى وجهها ابتسامة صفراء ويبدو من جسدها الذي كان يهتز أنها كانت تهز قدمها في عصبية، كانت تنقل بصرها بيننا ثم تطيل النظر إلى (ليلى).. قلت وأنا أحاول أن ألطف من غضبها الواضح والذي لا أعرف له سبباً من الأساس:

- «أنا already ماطلعناش برة الاستوديو يا (ياسمين)،

عايزة نبتدي يلا»

ظلت تنظر لي لوهلة بعصبية ثم لان وجهها قليلاً وابتسمت ابتسامة أكثر صفاراً مما سبقتها، ثم قالت بحماس مزعوم:

- «استعدوا بقي عشان حفلة الساقية كمان يومين، عايزين  
نطول في البروقات شوية النهارده وبكره»

- «هو أنا ممكن آجي معاكم؟»

التفتا جميعاً إلى (كارما) التي احمر وجهها بشدة وقالت  
بصوت متلجلج:

- «آآ آنا ممكن أطلع وراكم بعرييتي، أنا بس عاجبني اللي  
انتوا بتعملوه وكنت آآ»

قالت (ياسمين) على الفور:

- «لأ يا حبيبتي طبعاً، انتِ حتيجي معانا في ال bus، أكيد  
(أدهم) حيحب إنك تبقي معانا»

قالتها ونظرت إليّ، ضيقتُ حدقتي رغماً عني وأنا أنظر  
إليها كأنما أحاول أن أرى ما وراء ما قالتها، تصرف غريب  
من (ياسمين)، لا أنكر أنها استقبلت (كارما) بحفاوة عندما  
حضرت معي إلى البروفة في بداية اليوم..

هل هي تغير على (ليلي) حقاً؟..

من المرات القليلة التي تمنيت ألا يكون (وليد) محقاً، نظرت  
إلى (كارما) فوجدت السعادة تطل من وجهها كالنور، نظرت  
إلى (ياسمين) مرة أخرى وابتسمتُ لها شاكرًا في محاولة ألا  
تبدو ابتسامتي صفراء للغاية مثل ابتسامتها..

- «ياللا يا جماعة كل واحد مكانه.. حنبدأ حالاً، عايزاها  
تبقى أحلى مرة عزفنا فيها الأغنية دي»



## «إبراهيم»

- «ها يا (ابراهيم)، جبتي اللي قلتك عليه؟»  
وضعتُ الملف أمامه على المكتب ثم قلت بأدب:  
- «زي ما سيادتك طلبت يا (سيف) بك، تحركات العيال  
المشتبه فيهم في قضية القتل يا فندم»  
ظل ينظر للملف الموضوع أمامه ولم يمد يده إليه، لم يتحرك  
في الواقع أو يقل أي شيء، ظل على هذا الوضع قرابة الدقيقة،  
كنت قد تعودت على شرود ذهنه الشديد وأفكاره الغريبة عن  
القضايا التي أعمل معه فيها، الفترة التي تليت انفصالي عن  
زوجته كانت سيئة، لكن هذه الفترة كانت أغرب من أي فترة  
أخرى..

قال أخيراً وهو يشير إلى الملف دون أن ينظر إليّ:  
- «أنت آآ شفت الواد اللي اسمه آآ هاهاها، مش عارف ليه  
افتكرت الأغنية بتاعة شفت الواد اللي اسمه علي جه الدكتور  
وعمله إيه، هاهاها.. آآ (أدهم)، الدكتور ده اللي في طب،  
كان بيروح فين الفترة اللي فاتت دي؟»

هذا الرجل فقد عقله تماماً! يتذكر أغنية أطفال وهو يتابع  
ملف قضية قتل؟.. قلت محاولاً أن أفكر في القضية فقط كي  
لا أجن مثله:

- «المعتاد يا باشا، البروفة مع الفرقة اللي فيها البنيتين اللي

اسمهم (ليلي) و(ياسمين)، النادي، والبيت، بيقعد كثير في البيت سيادتك، آه نسيت أقول لسيادتك حاجة كمان، أول مرة في البروفات راح ومعاه واحد اسمه (وليد)، صاحبه، في واحدة اسمها (كارما) راحت معاهم مرة واحدة بس، هي معاهم في نفس الكلية برضو، بس المعلومة اللي عندي إنها ما لهاش أي صلة بأي حد في الفرقة غير (أدهم) و(وليد)، يعني أعتقد ممكن نستبعدها من لسته المشتبه فيهم»

ظل صامتاً وهو ينظر إلى ركن الغرفة، وبدا شارداً الذهن كالعادة، دائماً ما يطلب مني أن أعيد ما قلته أو يسأل أسئلة تدل أنه لم يستمع لأي شيء مما أقول.. التفت إليّ أخيراً وقال فجأة:

- «تفتكر بيعمل إيه في البيت يا (ابراهيم)؟»

نظرت له في عدم فهم.. أحكي له كل هذا، ويسألني هو عمّا يفعله (أدهم) هذا في المنزل.

- «معرفش يا باشا»

تراجع في كرسيه وضحك في عصبية وهو يحك جانب رقبته الأيسر بيده اليمنى ثم أشار لي وقال:

- «عارف يا (ابراهيم)، كل الأماكن اللي بيروحها دي

عادية، ولا البروفة، ولا النادي، البيت يا (ابراهيم)، اللي خلاه يقتل، لو هو اللي قتل فعلاً زي ما أنا متخيل، هو البيت، السر في البيت يا (ابراهيم)»

لم أفهم أيضاً ما يرمي إليه لكنني صمتُ تماماً، ليس احتراماً له، ولكن لأنني لا أجد ما يقال فعلاً، شرد ببصره مرة أخرى ثم

نظر لي وقال:

- «هو طبعاً احنا ما معناش أدلة كافية عشان نجيب إذن نيابة  
نفتش بيه بيته، صح؟»  
هززت رأسي وقلت:

- «لأ يا باشا، مافيش بصمات، سلاح الجريمة مختفي،  
وكمان علاقته بالقتيلة انتهت من فترة، ودي صحوبية يعني مش  
متجوزين ولا حاجة عشان نلبسهاله»

ضحك كأنما أخبرته بدعابة جيدة وقال وسط ضحكاته:  
- «فعلاً، لو كان جوزها كانت تبقى أحسن بكثير، على  
الأقل كانت تبقى تستاهل»

واستمر في الضحك لفترة وأنا أنظر إليه ولا أجرؤ على  
التحدث، توقف أخيراً عن الضحك ثم قال وهو يفتح الملف  
أمامه:

- «ماشي يا (ابراهيم)، سيبي الملف واتكل انت على  
الله، وخليك حاطط العيال دي كلهم تحت المراقبة برضو.. آه  
صحيح، عايز شوية معلومات كده عن بقية صحاب (سارة)،  
يعني، أدينا بننفخ في الزبادي»  
أومأت برأسي ثم اتجهت للباب بسرعة قبل أن يطلب شيئاً  
آخر..

لقد أدركت تماماً الآن أنني صرت أعمل تحت إمرة شخص  
مختل عقلياً..

مختل عقلياً تماماً..

## «ليلي»

- «إنّ عارفة إنك وحشتيني بجد؟»

قلتها وأنا أعني بها فعلاً، لم أرها منذ ما يزيد عن الشهرين  
لكننا كعادتنا ما أن نلتقي حتى نشعر أننا رأينا بعضنا البعض  
أمس فقط، أو هكذا ما أشعر به، وإن كنت واثقة تماماً أنها  
تُكن لي نفس الشعور..

فهكذا هي (مايا).. الصديقة الحقيقية الوحيدة في حياتي  
البائسة..

- «إنّ كمان وحشتيني يا (ليلي)، بقالنا كثير ماشفناش  
بعض، يلا، إحكي لي على كل حاجة، إنّ عارفاني بجب أسمع  
حكاياتك»

وهذه كانت الميزة الأخرى في (مايا)، أو هي أفضل ميزاتها  
على الإطلاق.. (مايا) تستمع فعلاً لما أقول، تستمع بكيانها  
كله، لم أعرف لماذا كنت أشعر بالراحة دائماً عندما كنت  
أتكلم معها، إلا بعد أن بدأت أقرأ في علم النفس.. تنظر في  
عينيّ دائماً ولا تفارقهما، تومئ برأسها، تبتسم، تقطب، تتسع  
عينها في دهشة، تضيق لتحاول الفهم، يتغير الانطباع على  
وجهها وفي عينيها مع ما أقول، كما لو كنّا نتدرب على كيفية  
رسم الانطباعات على الوجوه أثناء الكلام..

الخلاصة أنني أحبها وكفى، كصديقة فقط، إن كان

رأسك قد ذهب لاتجاه آخر..

والأجمل من ذلك أنها تعرف كل شيء عني.. لكنها للأسف ذهبت لتعمل في أحد الفنادق في (شرم الشيخ) بعد تخرجها ، فهي تكبرني بعامين ، لذا لا أراها إلا قليلاً ، ولذلك كان وجود (حسين) مهمًا في حياتي في هذا الوقت..

- «حكيتك بس واحنا بنشرب الـ American Coffee بتاعتنا

زي زمان»

وطوال ما يزيد عن الساعة ظللت أخبرها بكل شيء ، كأن فيضاً خرج من روحي بعد أن فاضت ليستقبله صدرها الرطب.. عدلت من نظارتها الطبية والتي -مع حاجبيها الرفيعين- تزيد من غموض عينيها الخضراوين ، ثم أزاحت شعرها الأسود الناعم ذو الخصلات الكستنائية عن عينيها وقالت:

- «بصي يا (ليلي) ، إنت محتاجة اللي ترتبطني بيه ده يبقى شخصية قوية ، إنت تباني للي ما يعرفكيش إنك قوية ومسيطرة و **strong independent** وكل الهبل ده ، بس انت ضعيفة يا (ليلي) ، وما ينفعش تتسندي على حد ضعيف برضو»

لا أفهم ما تقول ، أنا أخبرها عن (أدهم) فتخبرني أنني بحاجة إلى شخص قوي؟ وما هو إذن إن لم يكن قوي؟ قلت:

- «أنا مش عارفة انت بتقولي كدا ليه ، أنا حكيتك هو

عمل إيه معايا»

- «(ليلي) ، إنت مفتقدة راجل في حياتك ، ومعتقدش إن

(ياسمين) عارفة تملى الفراغ ده مع كل اللي هي بتعمله»

قالتها بصوت عال نسبياً ، يبدو أنها رأت الحزن في عينيّ لأنها  
مدت يدها وأمسكت يدي وضغطتها في رفقٍ في يدها وقالت  
وهي تمسح بيدها على شعري:

- «(ليلي)، إنكِ رقيقة وجميلة، بس ضعيفة، إنكِ عديتي  
بحجات كثير أنا عارفها كويس، أنا بس مش عايزاكي  
تتسرعي، إنكِ مش حمل حاجة تانية تحصلك، ممكن بس  
تعرفي (أدهم) ده أكثر شوية وبعدين تقرري؟»

نظرت في عينيها.. كم كنت أفتقد إحساس الحنان هذا  
الذي لا يعطني إيّاه إلا هي، كم أتمنى أن أذهب بعد التخرج إلى  
العمل معها، على الأقل ستصير بجانبني دائماً.. أومأت برأسي  
وابتسمت وأنا أشعر بالدموع تتكون في عينيّ..

- «يا حبيبتي، إنكِ بتعيطي، تعالي، تعالي»  
وسحبتي إليها برفق وضممتني إلى صدرها، وهنا، ومع هذا  
الحنان الغامر الذي كنت أتوق إليه كما لم أتوق إلى شيء آخر  
من قبل، وجدت دموعي التي لم تتهمر منذ فترة طويلة تسيل  
كالشلال على خديّ..

لم أدرك مرّ من الوقت، كنت أشعر بيدها تربتُ على ظهري  
وتمسح على شعري، أحسستُ أنني لا أريدها أن تتركني، أريد  
أن أظل هنا للأبد، بين أحضانها، ستحميني بكل تأكيد من  
العالم، من كل شيء..

هدأت أخيراً ورفعت رأسي ونظرت إليها، وجدت أنها هي الأخرى  
عيناها ممتلئة بالدموع، مسحت دموعها بيدي وقلت:

- «حُضْنِك حَلْو»

ابتسمت، تذكرت شيئاً ما أشعرتني بالقلق بعد أن كنت قد نسيت كل شيء في حضنها فقلت:

- «تفتكري (ياسمين) حتعمل إيه لو عرفت؟ دي قالتلي إنها ممكن تقتل عشاني»

أجفَلتُ، يبدو أنها تفاجأت بما تسمعه مني، نظرت للجهة الأخرى وبدا عليها التفكير، ثم التفتت إليّ وقالت بهدوء وإن لم تستطع تماماً إخفاء توترها:

- «سيبي موضوع (ياسمين) دا دلوقتي، حنكر فيه بعدين، ده لو اتأكدتي فعلاً إنتِ عايزة مين فيهم»

فتحتُ فمي لأقول ما أشعر به لكنني لم أفعل.. أنا غير متأكدة فعلاً من أي شيء.. قلت لها:

- «(مايا)، إحنا طالعين بكرة القاهرة، أنا عارفة إنك قاعدة لغاية يوم الحد، أنا عايزاكي تطلعي معانا، تتعرفي على (أدهم)، عايزاكي تشوفي كل اللي بحكيك عليه ده بعينيك وتقوليلي رأيك»

بدا عليها التردد، يبدو أنني سأثقل عليها بطلبي هذا.. أعلم تماماً أن (مايا) و(ياسمين) ليسا على وفاق مع بعضهما البعض وكل منهما تتمنى للأخرى أن تذهب إلى الجحيم.. لكنني أريدها فعلاً أن تأت..

- «آآ مش عارفة يا (ليلي)، أنا بس آآآ أنا مش عايزة أشوف (ياسمين)»

قلت على الفور:

- «إنّ مش حتتعاملني معاها تقريبًا ، أنا وانتِ حنفضل قاعدين مع بعض ، هي حتبقى بتفكر في الحفلة ومش حتبقى فايقة أصلاً ، وحخليكي تتكلمي مع (أدهم) عشان تقوليلي رأيك فيه ، ها؟ قولي موافقة ، عشان خاطري ، عشان خاطري»

مطت شفيتها وابتسمت ثم زفرت أخيراً وقالت:

- «ماشي يا ست (ليلي) ، عشان خاطرك»

ضممتها في سعادة ثم قلت لها في فرح:

- «حتبقى رحلة مش حتسيها.. وحفرك»



## «أدهم»

- «إحنا أول مرة نتكلم كل ده، مش كدا؟»

رفعت كتفيها إلى أعلى وأخذت نفساً عميقاً وهي تنظر إليّ  
رافعة حاجبيها قليلاً.. وأومأت برأسها دون أن ترد..

يا لي من معدوم الإحساس فعلاً.. كيف لم أفطن لهذا وكل  
ما في ملامحها وإيماءاتها ونظراتها يشي بالإعجاب، إن لم يكن  
بالحب؟..

لكني للأسف لم أشعر نحوها سوى بالشفقة، فقط الشفقة..  
أنا أعرف تماماً كيف يكون شعور أن تحب شخصاً ما ثم لا يعد  
هناك.. لا أعرف من قائل عبارة: «فاقد الشيء لا يعطيه»، أعتقد  
أن العكس تماماً هو الصحيح، فاقد الشيء يعرف تماماً مرارة  
فقدته ويحاول جاهداً ألا يكون سبباً في أن يشعر شخص آخر  
بهذا الفقد، لهذا السبب لا أريدها أن تشعر بما أشعر به الآن  
وأنا أتذكر كل ما مررت به.. أدت عيني في المكان محاولاً  
تحاشي نظراتها حتى توقفت عيناى على ذلك البيانو الموضوع  
في الركن.. منذ أن وصلنا هنا وأنا ألقى عليه نظرة بين الحين  
والآخر، لا أستطيع رؤية هذا الجسد الأسود المهيب دون أن  
تتوقف عيناى عنده لبعض الوقت، بل إنني اخترت هذا الكافيه  
بالذات لأنني لا أعرف مكاناً آخر به بيانو ويقع على مقربة من  
الاستوديو في منطقة (كفر عبود) كلها..

- «للدرجة دي بتحب البيانو؟»

التفت إليها فوجدتها تنظر هي الأخرى إلى البيانو، ابتسمت ولم أرد، ظلت هي تنظر إليه لبعض الوقت، ثم التفتت إلي وقالت:  
- «إنت عارف إننا كان عندنا بيانو قد ده تقريباً في البيت وأنا صغيرة؟»

التفت مرة أخرى للبيانو، ثم عدت ألتفت إليها وأنا أتعجب مما تقول.. بيانو بهذا الحجم لا يمكن أن يتواجد في بيت عادي، لن يدخل من الباب من الأساس.. الأمر يحتاج إلى فيلا كبيرة نوعاً.. لم ألحظ عليها إطلاقاً ما يشي بأنها على قدر من الثراء، ملابسها عادية جداً، منمقة ومختارة بعناية إلا أنها بسيطة، كما أنني لم أرَ منها ما يدل على أنها من مدعيات الثراء.. الحقيقة أنني اكتشفت الآن أنني لا أعرف عنها أي شيء على الإطلاق.. إلا أنني لا أريد أن أبدي اهتماماً زائداً بها حتى لا تفهم اهتمامي هذا بشكل خاطئ، يكفي أننا هنا الآن بمفردنا، في هذا الكافييه الرومانسي.. لكنني ما أن سمعت أنه كان لديها بيانو في منزلها وأنا لدي شغف في أن أعرف تفاصيل أكثر.. قلت لها وأنا أستند بمرفقي على المنضدة وأسند رأسي على كفي المضمومتين:

- «(كارما) أنتِ ما حكي تليش أي حاجة عنك، كل كلامنا كان علياً أنا، أنا معرفش باباكي بيشتغل إيه، مامتك، أنا معرفش حتى أنتِ ساكنة فين لغاية دلوقتي، متخيلة؟»

ابتسمت وهي تنظر للبيانو مرة أخرى ثم قالت دون أن تنظر إلي:

- «إنتَ عارف، أنا بفكر في حاجة واحدة بس دلوقتي»

ثم التفتت إليّ بعينين لامعتين وقالت في جدل:

- «إنك تعزفلي، عالبيانو ده»

رفعت حاجبيّ لأعلي وتراجعت في مقعدي وقلت:

- «مش يا بنتي كنا لسا في البروفة وسمعتيني وأنا بعزف

تقريباً أربع ساعات ورا بعض؟ إيه، ما زهقتيش؟»

مالت إلى الأمام وارتسمت ابتسامة عذبة على وجهها وقالت

برقة:

- «أنا عمري ما بزهب وأنا بسمعك بتعزف، بالعكس يبقى

مستمعة جداً»

ظللنا نتبادل النظرات لوهلة.. لا تتماذي أرجوك، دعينا لا نضع لافتة لتلك العلاقة وقد كتب عليها مسمى لن يتحقق فنضطر إلى نزعه والابتعاد.. لا يوجد سوى حل واحد كي أتحاشى نظراتها تلك.. وأمام عينيها الجدلتين، قمت واقفاً واتجهت إلى البيانو، صَفَّقت هي بكفيها بفرح طفولي، وصلت للبيانو ومددت يدي نحو سطحه الأملس وشعرت بقشعريرة غريبة وأنا أمرر يدي عليه حتى وصلت إلى المقعد فجلست، لم أنظر إليها، كنت كمن وجد نصفه الآخر ولم يعد في الكون كله من أحدٍ حولهما.. كورت يديّ وبدأت أعزف..

وجدت أصابعي تعزف مقطوعة A Night on the Bare

Mountain ل Modest Mussorgsky، شعرت أنني أحلق بروحي

فوق المكان، فوق الموجودين، هناك شيء ما ينساب من البيانو

إلى أصابعي، ثم يسري في جسدي كله حتى يلتحم بروحي، أنا ذلك الشيء، أنا لست مادة، أنا شيء آخر، شيء أكثر رقي من المادة تلك التي تفتنى أو تتعضن حسب مكوناتها، أنا...

ثم ارتعدت وتوقفت عن العزف فجأة عندنا لامست تلك اليد كتفي.. نظرت إلى يساري بعينين متسعيتين، فوجدت من يقف هناك ويبدو عليه الإحراج..

- «أنا آسف يا باشا، بس الناس تقريبا يعني... خايفة من اللي انت بتعزفه، الله ينور وكل حاجة، بس حضرتك بص وشوشهم عاملة ازاي؟»

ظللت أنظر له بنفس العينين المتسعيتين كما لو كان قد أيقظني من حلم ما، ثم أدرت وجهي والتفتُ إلى الجالسين..

لم أدرِ إلا الآن أن الصمت قد عمَّ المكان تماماً، الكل ينظر تجاهي، عيونهم هي خليط من عدم الفهم والتوتر والخوف، يبدو أنني قد اندمجت بالفعل فلم ألحظ إنني كنت أهتز وأغمض عيني وأتحرك بعصبية وأنا أعزف تلك المقطوعة، ألا تفهمون يا أغبياء، لا بد أن تُعزف هكذا، لا يمكنها أن تلامس روحك إلا لو انغمست فيها بكل جوارحك.. نظرت إلى (كارما) فوجدتها -على عكس كل الجالسين- تنظر لي بسعادة غامرة وهي تضم كفيها أمام صدرها كطفلة عاد أبيها من الخارج وأحضر لها الحلوى التي تعشقها.. التفت للنادل مرة أخرى وأومأت برأسي وأنا أقوم من على الكرسي وأتجهُ بسرعة إلى حيث تجلس (كارما)، لم أدرِ أنني عبوس الوجه وأن حاجبي مقطبين إلا

عندما وجدت النادل يقف بجانبى ويقول:

- «باشا، أنا آسف لو كنت ضايقتك، أنا شايف حضرتك مكشر، أنا بعذر فعلاً، أنا بس آ...»

قاطعته بلهجة حادة:

- «الشيك بعد إذنك»

ابتلع ريقه وفرك كفيه أمام صدره وهو يقول:

- «يا فندم واللّه مش قصدي، ما ينفعش إن حضرتك تمشي وابت زعلان، ممكن حضرتك تكمل عزف لو...»

ثم قطع كلامه فجأة وبدا في عينيه التوتر وهو ينظر إلى عيني مباشرة، لا بد أن شيئاً ما في نظراتي أصابه بذلك؛ لأنه قال على الفور وهو يومئ برأسه في تهذيب مبالغ فيه:

- «حالاً يا فندم حجيب لحضرتك الشيك»

ثم ابتعد في خطواتٍ سريعة..

- «هو قالك إيه عشان يضايقك كده؟»

قالتها (كارما) بعصبية والغضب بادٍ على وجهها، ابتسمت لها ابتساماً واهنة نجحت بصعوبة في رسمها على وجهي، ثم نظرت للجهة الأخرى..

- «إنت عايز نمشي ليه؟ أنا مبسوطه يا (أدهم) وأنا معاك، ممكن تقولي إيه اللي مضايقك؟»

زفرتُ بعمق وقلت محاولاً إنهاء تساؤلاتها:

- «مافيش يا (كارما)، الناس ما عجبهاش بس اللي كنت

بعزفه وهو قالي أعزف حاجة تانية، هو كان ذوق الحقيقة، ما قالش حاجة تضايقني، أنا بس تعبان شوية وعاييز أمشي فعلاً، كدا كدا عندنا سفر بكرة القاهرة»

مدت يدها ووضعها على يدي، لم أبعد يدي هذه المرة، كنت بحاجة فعلاً للمسمة احتواء تبيد تلك الغصة التي تعصر قلبي.. نظرتُ هي في عينيَّ وقالت بصوتٍ خافت:

- «أنا مش هاممني إنهم ما عجبهمش اللي انت كنت بتعزفه، أنا كنت فعلاً مستمتعة وأنا بسمعك بتعزف، ودلوقتي وأنا بسمعك بتتكلم، (أدهم) أنا كل حاجة انت بتعملها أنا بحبها»  
قالتها وضغطت على يدي كأنما تريد لكفيننا أن يلتحما فيشعر كلُّ منا بنبض الآخر..

- «إحم»

رفعت عيني إلى الصوت لأجد النادل يقف في إحراج ويمد يده إليّ بالظرف الجلدي الذي يحوي بين شقيه ورقة الحساب، تناولته منه فأسرع مبتعداً، وضعت النقود بهدوء استغربت أنا شخصياً منه ثم قمت واقفاً وابتسمت لـ(كارما) التي اتجهت نحوي ووقفت تنظر لي بعينيها الرقيقتين..

وكما لو أننا قد اتفقنا مسبقاً على ذلك، تعانق كفاًنا، ثم اتجهنا سوياً إلى باب المكان ونحن نسترق النظر بين الحين والآخر إلى بعضنا البعض..



## «وليد»

نظرتُ إلى (إيهاب) الذي يجلس بجانبى بجوار الشباك ويبتسم ابتسامة بلهاء وهو يضع سماعاته في أذنيه وأنا ألعن حظي الذي لا يريد بتأتاً أن يتغير..

(أدهم) يجلس بجوار (كارما) أمامي على اليمين، أمامي بعدة مقاعد على اليسار تجلس (ليلي) بجوار (مايا) صديقتها التي اكتشفت عندما رأيتها أن النساء الجميلات يختفين ولا يظهرن إلا في مناسبات مثل تلك، انتشر باقي الفرقة في الأوتوبيس بدون ترتيب معين، (ياسمين) جلست وحدها في الأمام، كانت تبدو غاضبة من وجود (مايا)، كانت تنظر لها بغلٍ مبالغ فيه عندما رأتها وقد وصلت هي و(ليلي)، يبدو أنني على حق فعلاً في موضوع (ليلي) و(ياسمين) هذا، (ندی) تجلس خلف (ياسمين) بعدة مقاعد، أنا لا أعرفها لذا أعتقد أنني لن أستطيع أن أذهب إليها الآن وأقدم لها نفسي وأطلب الجلوس بجانبها، سأكون سخيفاً بعض الشيء، أليس كذلك؟

نظرت مرة أخرى لـ(إيهاب) ثم نظرت أمامي وهزرت رأسي وأنا لا أعرف لماذا يحدث لي ما يحدث..

كان (أدهم) يضع السماعات في أذنيه ويبدو شارداً، (كارما) تنظر له بين الحين والآخر ثم تدير رأسها للجهة الأخرى.. لن يكف عمّا يفعله ذلك التّعس.. قام من مجلسه فجأة ثم اتجه إلى

حيث تجلس (ندى)، التفتت إليه وابتسمت، أعطاهما السماعات وقال لها شيئاً ما لم أسمعهُ عبر تلك المسافة، أمسكت هي بالسماعات، أخذ يعبث بهاتفه ثم نظر إليها وابتسم، نظرت هي بعيداً ثم نظرت إليه ثانية ورفعت حاجبيها وابتسمت هي الأخرى.. يبدو أنه يُسمعها صوت مُغنٍّ ما راق له.. لم أرهم يتحدثون كثيراً في البروفات لكنه دائماً ما يفعل نفس الشيء.. يسمع مقطوعة تُعزف بالكمان فيسمعها لعازف الكمان على سماعته تلك التي يحبها لسبب لا أدريه، قطعة من الجيتار تعجبه فيسمعها لعازفة الجيتار.. هو يرى دائماً أنه لن يفهم ما سمعه إلا عازف نفس الآلة.. تمنيت أنا الآخر أن أجد ولو أغنية لعبد المطلب لأسمعها ل(ندى) لعلني أجلس بجوارها قليلاً وتبادل الحديث، لكن ليست لي الكاريزما الموسيقية التي يتمتع بها (أدهم) بحكم صيته وليس لدي حتى كاريزما غير موسيقية على العموم!..

فرغت أخيراً من سماع الأغنية وكان يبدو عليها أنها أعجبتها فعلاً، تبادلاً بعض الكلمات ثم تركها (أدهم) ليعود إلى مقعده، وهنا أمسكت به (ليلي) من يده فتوقف والتفت إليها، لم يكونوا بعيدين جداً لذا كنت أسمع ما يقولون..

- «ماعرِّفتكش، (مايا)، أقرب صاحبة ليا في الدنيا كلها، ممكن تقول إنها صاحبتى الوحيدة»

حيّاها (أدهم) بابتسامة فقالت (ليلي):

- «(أدهم)، أحسن بيانست في اسكندرية إذا ماكانش في

مصر كلها يعني»

- «هاي إزيك يا (أدهم)»

ابتسم (أدهم) وقال:

- «ماتصدقيش (ليلي)، أنا بعزف على قدي جداً»

شعرت بالغيط، ليس هذا وقت تواضعك السخيف أيها الأبله..

- «(ليلي)!»

التفتنا جميعاً إلى الصوت العال لـ(ياسمين) التي كانت تنظر

لـ(ليلي) ثم قالت بلهجة أمرّة:

- «تعالى عايزاكي»

تبادلّت النظرات مع (مايا) ثم ابتسمت لـ(أدهم) الذي أفسح

لها الطريق واتجهت إلى مقدمة الأوتوبيس حيث (ياسمين)..

- «أقعد يا (أدهم)، عايزة أتكلم معاك شوية»

ابتسم (أدهم) وقطب حاجبيه في استغراب ثم جلس بجوار (مايا)..

- «(وليد)!»

التفتُ إلى الصوت فوجدت (كارما) تنظر إليّ ويبدو على وجهها

أنها على وشك البكاء.. فليذهب (أدهم) و(مايا) إلى الجحيم الآن..

هزرت رأسي وأنا أنظر لها متسائلاً فقالت بصوتٍ حزين:

- «مممكن تيجي تقعد جنبى؟»

صُعبت في البداية من الطلب، ثم عدت سريعاً إلى رشدي

وقلت لنفسى إنها بالتأكيد ستحدثني عن أفعال (أدهم) السخيفة

مثله.. غادرت مقعدي وجلست بجوارها، ازداد الحزن في عينيها

واغرورقت عيناها بالدموع ثم قالت:

- «إنتَ قاعد لوحديك ليه؟»

لم أحب في حياتي شعور أنني كنت مخطئاً مثلما شعرت في تلك اللحظة.. لكني، ولأنني لم أعتد أن تبتمس لي الحياة، قررت أن هناك خدعة ما لا أعرفها.. قلت:

- «لأ، أنا مش قاعد لوحدي، أنا جنبي (إيهاب)، وزى مانتِ شايفة هو قاعد بيسمع في السماعات وأنا عمال أكلم نفسي أهو»

ضحكت ثم أدارت وجهها ونظرت إلى أعلى وعضت على شفيتها السفلى، كانت الدموع تملأ عينيها بالفعل، وإن كان مظهر وجهها الآن بعينيها بشفتيها التي تعضها زادها حسناً إلى حسنها.. ترددت قليلاً ثم رفعت يدي، ثم خففتها، ثم قررت أنني لن أستطيع السيطرة على يدي أكثر من هذا فرفعتها ثانية ولمست ذقنها لأدير وجهها إليّ، نظرت لي فقلت بصوت خافت:

- «مممكن ماتعيطيش؟ ما فيش أي حد يستاهل دموعك دي»

نظرت مرة أخرى إلى أعلى ثم نظرت لي وقد ازدادت الدموع في عينيها ثم رسمت ابتسامة على وجهها وقالت وسط دموعها:

- «بجد؟»

ثم اختفت الابتسامة على وجهها وحلَّ محله بؤس جعل قلبي يدق، وانهمرت دموعها على وجهها ونظرت للناحية الأخرى كأنما تتحاشى أن تنظر في عينيّ، امتدت يدي رغماً عنيّ هذه المرة ومسحت على شعرها الأسود الناعم في رفق، التفتت إليّ ووجهها تفرقه الدموع، مددت يدي ومسحت دموعها من على وجنتيها، كنت أشعر بيدي ترتجف وأصابعي تلامس وجهها

الأملس، تلاقت أعيننا لثوانٍ ثم وجدتها تبتسم وتمد يدها وتمسك بيدي التي تسمح دموعها ثم تقربها أكثر من وجهها ثم أمالت وجهها ليستند على راحتي وقالت بصوتٍ خافت:

- «شكرًا يا (وليد)»

توقفت الدنيا من حولي تمامًا..

فجأة وجدت قلبي يخفق وأنا أشعر بشيء لم أشعر به من قبل..  
ضعف الأنثى هذا..

ذلك الضعف الذي يجعلك تشعر بأهميتك، بوجودك، بأنك وهي تكملان بعضكما البعض، لسنا أقوىاء على المطلق، لكننا نستمد قوتنا من ضعفهن، وبأسنا من حنانهن، هن الدنيا، هن كل شيء، ونحن نعيش فقط من أجل إسعادهن حتى نشعر بسعادتنا في أعينهن..

عدلت رأسها فجأة وخفضت يدها وتركت يدي في ارتباك، نظرت إليها في استغراب ثم التفتت إلى الجهة الأخرى فوجدت (أدهم) قد قام من مقعده بجانب (مايا) ويتجه إلينا.. قمت أنا الآخر من مقعدي وأنا أشعر بمزيج من الحنق والسعادة والاكتراب، ابتسم لي (أدهم) وأشار لي بيده محيياً ففعلت المثل وجلست في مقعدي مرة أخرى..

التفتتُ إلى (إيهاب) الذي ما زالت ابتسامته البلهاء مرتسمة على وجهه ثم نظرت أمامي وأنا أفكر..

لماذا أشعر أنني أحقد عليه الآن وهو جالس هكذا غير عابئ بكل ما يحدث حوله؟..

## «وليد»

كانت حفلة رائعة فعلاً..

صفقت لهم كثيراً جداً ، الحضور كانوا متجاوبون معهم للغاية ، (كارما) كانت بجانبني ، لم نتبادل مع بعضنا الحديث تقريباً ، حاولت لكن ردودها كانت مقتضبة ، لست أدري إن كان هذا من شيء فعلته أم لا ، المهم أنني كففت عن المحاولة واكتفيت بأن تكون بجانبني فقط..

على الأقل لن أشعر بالوحدة..

الكثير من العناق والتهاني ثم ها نحن مرة أخرى في الحافلة.. لفت انتباهي أنه عندما صعدت (كارما) إلى الحافلة لم تتحدث مع أحد ، اتجهت إلى المقعد الأخير وجلست ثم أسندت رأسها إلى الزجاج وأغمضت عينيها.. لست أدري إن كانت نائمة فعلاً أم لا لكنها إشارة إلى الجميع أنها غير متاحة الآن ، أو على الأقل لي ، إن كنت بالأهمية من الأساس أن ترسل لي إشارة ما.. المهم أنني احترمت ميلها إلى العزلة وجلست -كما تعرفون- بجانب (إيهاب)..

بالطبع جلس (أدهم) بجانب (ليلي) ، ليس احتراماً لعزلة (كارما) بالتأكيد ، لا أعتقد أنه لو تحرك الأوتوبيس بدون (كارما) كان (أدهم) سيلاحظ من الأساس ، لكن من أجل أن يجلس بجانب (ليلي).. ظننتُ هذا واضحاً..

(مايا) نامت هي الأخرى، جميع الفرقة تقريباً كانوا نياماً،  
لست أدري لكن يبدو أن الموسيقى مرهقة بشكل أو بآخر..  
لاحظت أن (ياسمين) -التي جلست في نفس مكانها السابق-  
تلتفت بين الحين والآخر للوراء لتنظر إلى (ليلي) و(أدهم).. أردت  
في البداية أن أسأل (أدهم) عما قالته له (مايا)، من باب الفضول  
ليس أكثر، ثم تراجع عن الفكرة، فليفعّل الجميع ما بدا  
لهم، فأنا بعد ما حدث مع (كارما) ليس لدي البال الرائق لأهتم  
بما حدث بين (أدهم) و(مايا)..

يبدو أنني نمت لفترة طويلة فعلاً، لأنني عندما أفقت وجدت  
الحافلة متوقفة والكل واقفاً يلتقط حقيبته من الأرفف التي  
فوقنا.. لقد وصلنا..

لم تكن معي حقيبة، لذا ألقيت نظرة على (كارما) التي  
كانت تتجه للباب، هممت بقول شيء ما لها على غرار (حمداً  
للّه على السلامة) ثم آثرت أن الصمت في بعض الأحيان قد  
يكون هو أفضل شيء يمكنك فعله..

هبطت من الحافلة وملاّت صدري بالهواء.. كان يجب أن  
أعرف فقط عند استنشاقني لذلك الهواء المليء باليود، والذي  
يختلف اختلافاً جذرياً عن هواء القاهرة المعبأ بالعوادم، أننا قد  
وصلنا إلى الإسكندرية..

يا إلهي، كم أعشقها..

يبدو أنني أعشق كل ما ينتهي اسمه بتاء تأنيث، فلماذا لا  
أعشق القاهرة إذن؟

بدأ الجميع في الكلام اللطيف الذي يعقب نهايات الرحلات،  
رأيت (مايا) تقترب من (أدهم) ثم أمام الجميع أمسكت بيده  
وقالت له وهي تسحبه بعيداً:

- «عايزاك»

سارَ معها بعيداً ثم توقفت أمامه وبدءاً يتبادلان الحديث..  
كان وجه (أدهم) يتغير من الابتسام إلى الاستغراب، ثم العبوس  
ثم الحنق، لا أعرف ماذا تقول له لكن يجب أن أعرف، فضولي  
هذه المرة أكبر من أي اعتبارات أخرى..

عادةً سوياً وإن كان بادٍ على (أدهم) الغضب المكتوم، لا  
أعرف إن كان أحدهم قد لاحظ هذا، أدت عيني في وجوههم،  
لا أحد يعبأ بأحد، هذا جيد.. اتجهت (ليلي) إلى (مايا) التي  
كانت تقف بجوارني تقريباً وقالت:

- «(مايا)، يلا عشان أوصلك، أنا معايا العربية، وعشان  
تحكي لي أنا مش فاهمة»

نظرت لي (مايا) لترى إن كنت قد سمعت ما قالتها (ليلي)  
أم لا لكنني تصنعت أنني أنظر إلى البحر بتركيز غير طبيعي  
كأنما قد رأيت لتوي تتينا يخرج منه..

- «لأ، أنا عايزة أتمشي شوية قبل ما أروح»

- «تتمشي دلوقتي؟ ما تيجي أوصلك يا بنتي»

ابتعدت عنها بالفعل وهي تلوح لها بيدها.. تابعتها بنظري وهي  
تمشي على طريق البحر لعدة أمتار ثم تختفي في شارع جانبي..  
درت للخلف فلم أجد أحداً.. لا (أدهم)، لا (كارما)، حتى

---

أعضاء الفرقة، يبدو أنني سرحت في حديث (ليلي) و(مايا) فلم أنتبه أنهم قد غادروا بالفعل..

ولم يتبقَّ إلا (ليلي)..

تبادلتُ معها نظرة كانت تحمل الكثير من «هل تظن أنني سأوصلك أيها البائس؟»، ابتسمتُ لها ابتسامة سمجة فبادلتني هي بمثلها ثم ركبت سيارتها وانطلقت وتركتني أبحث عن شيءٍ ما أعود به لبيتي البعيد في هذا الوقت..

نهاية جميلة لتلك الرحلة المشؤومة بالتأكيد.. أليس كذلك؟



## «سيف»

ظلت أنظر إليها وأنا أتساءل: لماذا لا يقابل المرء امرأة بمثل جمالها كل يوم؟..

ذلك الشعر الأسود الذي يتخلله خصلات كستنائية في تناسق غريب، والمسدل على جبينها المتعرق للأسف، وبشرتها الخمرية قليلاً، عيناها كانتا تحدقان للأعلى، عينان خضراوان لا بد وأنها قد سحرتنا أعين كثير من الرجال من قبل، ثم ذلك الجسد الذي يدل أن صحابته قد قضت أوقاتاً طوال في النوادي الرياضية وإن كانت لا تحرم نفسها من الطعام تماماً.. رأيت ذات مرة على انستاجرام عندما كنت أتابع إحدى القضايا المرتبطة ببعض الذين يطلقون على أنفسهم لفظة «influencer» فتاة وقد كتبت على صورتها «نحن نذهب إلى الجيم لنحصل على منحنيات، لا لنفقد الوزن»، ضحكت كثيراً وقتها على ما آل إليه تفكير الفتيات، لكن يبدو أن هذه الفتاة أمامي كانت تطبق هذه المقولة بحذافيرها..

تأملت وجهها مرة أخرى وتساءلت.. لماذا تكف النساء عن الاهتمام بمظهرهن بعد الزواج؟.. تشعر أحياناً أن الفتيات -في مصر فقط تقريباً- كن يخططن فقط حتى ليلة الزفاف ولا يعرفن أي شيء عمّا يلي ذلك، ثم تتفاجأ بأن لديها مسؤوليات، بيت وأولاد وأحياناً أب وأم يحتاجان إلى الرعاية هما أيضاً،

تأخذها الدوامه فتتسى أن لزوجها احتياجات هو الآخر، في حين أنني زرت عدة دول ورأيت المرأة الأجنبية تقديس الرياضة في الصباح حتى لو كانت حامل!، لكننا للأسف نترك الجيد لدى الغرب ونتشبت فقط بكل ما هو سيء..

- «نفس اللي حصل مع الجثة اللي فاتت تقريباً يا باشا، آثار طعنات في البطن وفي دم كثير ما بين الفخدين، بس ماكانش معاها آلة موسيقية زي البننت اللي فاتت»

تأملت جسد الفتاة مرة أخرى.. مَنْ يعرف؟ ربما لو عاشت وتزوجت لصارت زوجة مصرية أصيلة هي الأخرى ولتناسست كونها curvy كما يقولون. لمحت نظارة طبية مهشمة ملقاة بجانب رأسها فتخيلتها ترتديها فتبدو في عيني الرجال أكثر ثقافة وفهماً للحياة.. نحن تافهون حقاً، أليس كذلك؟..

- «عرفتم هياً مين؟»

- «آه يا باشا، اسمها (مايا محمود فرغلي)، خريجة تجارة وبتشتغل في فندق (... ) في شرم الشيخ، إحنا جبنا نمرتهم في بيت أهلها هنا في اسكندرية وكلمناهم، والدها متوفي، أمها ردت علينا، منهاره طبعا، قالت إنها كانت في رحلة للقاهرة مع واحدة صاحبها اسمها (ليلي)»

نظرت ل(إبراهيم) في استغراب وقلت:

- «(ليلي)؟ (ليلي) اللي هي...»

- «أيو يا باشا، كانت في رحلة مع نفس الشلة، إحنا أصلاً مراقبينهم، هما كان عندهم حفلة في القاهرة وكانوا طالعين

بأوتوبيس، تقريباً (مايا) دي كانت معاهم»

شعرت بالدم يصعد إلى رأسي.. هذه هي مشكلة العمل مع الأغباء.

- «تقريباً؟!»

بُهِتَ (إبراهيم) وقد فهم ما أعنيه وقال بسرعة:

- «سيادتك طلبت تعرف تحركاتهم، واحنا عرفنا إنهم طالعين القاهرة عشان الحفلة وفي ناس صحابهم طالعين معاهم، كده كده إحنا نسقنا مع مرور القاهرة عشان لو اتجاه الأوتوبيس اتغير و...»

صَحْتُ فِيهِ:

- «أتوبيس إيه وزفت إيه يا (إبراهيم)؟ ما دام في حد جديد ظهر معاهم تقولي يا (إبراهيم) على طول، وما كنتش تسببهم يغيبوا عن نظرك، آمال مراقبة إيه يا (إبراهيم) اللي أنا مكلفك بيها؟ مش محتاجة أقولك كل حاجة يا بني آدم»

قطب (إبراهيم) حاجبيه وبدا عليه الحنق، لم أكثرث له، فهناك جثة ممددة على الأرض الآن بسبب تفكيره الأحمق، نظرت لكوب القهوة في يدي، كنت قد نسيتته تماماً وقد برد الآن، أخذت منه رشفة وما أن وصل السائل البارد إلى فمي حتى بصقته مرة أخرى في الكوب.. لا أعرف لماذا لم أعد أطيع أشياء معينة لم أكن أدري أنني أكرهها..

- «أوامر معاليك يا باشا، سيادتك عايزنا نعمل إيه؟»

نظرت لكوب القهوة مرة أخرى ثم فكرت.. ولم لا؟.. قربتها

---

لفمي وأخذت رشفة كبيرة.. لئست سيئة فعلاً.. التفتُ لـ(إبراهيم)  
فوجدته ينظر إليّ كما لو كنت مجذوباً ، أطلت النظر إليه  
فعدت نظرته إلى طبيعتها ، قلت:

- «مش حنعمل حاجة ، حنستى تقرير الطيب الشرعي »

ثم عدت أنظر إلى الجثة.. لسبب ما تخيلت أني أزيل خصلة  
الشعر تلك عن جبينها ، قلت لـ(إبراهيم) دون أن ألتفت له:

- «مين عارف؟ مش ممكن نلاقي بصمات المرة دي أو آثار  
تحت ضوافرها أو آثار اغتصاب؟ إنت ماكلمتيش عن سلاح  
الجريمة عشان أكيد مش موجود ، فمافيش قدامنا غير إننا  
نستى التقرير»

لفت انتباهي فجأة وأنا أنظر إليها أنها تضع طلاء أظافر  
أبيض ووردي بالتبادل على أناملها ، تأملتها للحظة ، الأذواق تتغير  
بسرعة هذه الأيام.. التفتُ إلى (إبراهيم) وقلت:

- «وبما إن دي ثاني حادثة قتل مع واحدة كانت تعرف نفس  
الشلة دي فدول بقوا بتوعي خلاص»

قلتها وألقيت نظرة طويلة على الفتاة أتأملها للمرة الأخيرة ثم  
درت واتجهت للسيارة وأنا أرتشف من كوب القهوة البارد في  
تلذذ.



## «حسين»

لا أدري إن كنت ستفهمني وأنا أقول لك أنني صرت أشعر بانقباض في صدري وأنا أدير المفتاح في قفل الباب وأتمنى أن تكون قد خلدت إلى النوم كي لا أراها..

ماذا حدث لنا؟ كنت أحبها بجنون، ثم بهدوء، ثم تسرب الملل إلى علاقتنا.. لم أعد أنتظر وقت انتهاء جلساتي لأذهب إلى البيت لألقاها، بل صرتُ أشعر بالخواء عندما يرحل آخر مريض لأفكر: هل أنا مضطر فعلاً إلى أن أعود إلى البيت؟..

ما أسوأ شعور ألا تجد سبباً ما لتعود لمنزلك في حين تجد ألف سبب لأن تبقى خارجه، أشعر أحياناً أنه صار قبراً، هنا دفن الحب الذي كان يجلب لنا الدفء، ولم يبقَ إلا ذلك البرد القارص الذي يُشعرك بانعدام الحياة، لسبب ما يذكرني هذا دائماً بالموت، نعم، فلم تعد الدماء تسري هنا في هذا البيت..

لم أجد فيمن قابلتهن من يشعرني بأني لم أدفن منذ فترة وأعيش بالقصور الذاتي، ذلك حتى رأيتها، ويا ليتني لم أفعل..  
(ليلي)..

حتى تكرار الاسم في مخيلتي يجعلني أسمع لحن غريب، كأن اسمها نغم في حد ذاته..

نفضت أفكاري عن رأسي وأدرت المفتاح وأنا أتمنى فعلاً ألا أقابلها..

- «أتأخرت النهارده»

كانت واقفة تتظرنني، بابتسامة رقيقة على وجهها، وترتدي  
ذلك الفستان الأحمر القصير الذي أحببته يوماً ما..  
الشُّغْفُ..

ما أن يذهب الشغف حتى تنتهي متعة الأشياء، وتصير كلها  
متمائلة، حتى الألوان، تصير حياتك فجأة كأنما قد انتقلت  
للعيش في تلك الفترة التي كنا نظن من الأفلام التي نشاهدها  
أن الحياة وقتها كانت فعلاً بالأبيض والأسود..  
عدا (ليلي)..

هل رأيت تلك اللوحات التي يكون كل شيء فيها بالأبيض  
والأسود عدى لون واحد، الأحمر أو الأصفر؟ هكذا هي دنياي،  
أبيض وأسود..

وهكذا هي (ليلي)..

اللون الوحيد في لوحة حياتي..

حاولت قدر المستطاع أن أرسم على وجهي ابتسامة صافية تليق  
بابتسامتها لكنني شعرت أنها بدت واهنة، خالية من المشاعر..

استجمعتُ كل ما أعرفه عن الثبات الانفعالي وقلت لها بلهجة هادئة:

- «أزيك يا (فاطمة)»

- «أنت وحشتني»

شعرتُ بغصة في حلقي وأنا أسمعها تقولها بتلك الطريقة التي  
تحمل بين طياتها الرجاء والحزن، كأنما ترجو ما لن يتحقق،  
وتأمل فيما ليس بممكن.. قلت وأنا أتحاشى النظر إلى عينيها:

- «وانتِ كمان»

- «بجد؟!»

قالتها بصوت موشك على البكاء، لم أرد، وحتى لو أردت  
فلم أكن لأستطيع، فما بداخلي لن يُفهم بالكلمات، ولست في  
مزاج الآن للكذب لأجيب عمّا تسأل هي عنه..

- «(حسين)، إحنا بقينا عاملين كده ليه؟»

قررت أن هذا هو الوقت الأمثل للانسحاب، اتجهت إلى غرفة  
مكتبي كأنما لا أسمعها من الأساس..

- «(حسين) ماتسبينيش وتمشي وبصلي وأنا بكلمك!»

توقفتُ ثم نظرت إليها، كم تغيرت ملامحها عبر الزمن، ما  
زالت جميلة، لكني لم أعد أرى ذلك الجمال.. تلك المرأة الواقفة  
أمامي لم أعد أعرفها.. شعور غريب أن تشعر أنك تبيتُ كل ليلة  
بجانِب شخص غريب عنك..

- «(حسين)، انتَ لسا بتحبني؟»

كدت أصرخ فيها أنه نعم، أحبك يا (ليلي)، لكنها ليست  
هي، ليست (ليلي) للأسف.. قلت لها وأنا أشعر بأن الغُصة في  
حلقي صارت تمنع حتى الهواء من الدخول لرتتي:

- «تصبحي على خير يا (فاطمة)»

وتركتها على وشك البكاء واتجهت أنا إلى غرفة مكتبي  
التي قررتُ أن أبيت فيها الليلة، لعلني أشعر ببعض الهواء..  
فكل ما شعرت به عند وصولي للبيت هو أنني أختق..  
وأموت..



## «أدهم»

- «هي (مايا) قالت لك إيه صحيح؟»

شعرت بمفاجأة السؤال.. هل أخبرها بالحقيقة؟ قلت وأنا أعبث بسلسلة مفاتيح متحاشياً النظر إلى عينيها ومحاولاً ألا يبدو عليّ الارتباك:

- «آآآ قالتلي خد بالك من (ليلي) آآآ عشان أنا بحبها وخايفة عليها»

ضحكت باستغراب، رفعتُ عيني إليها وشعرت بنظراتها تلتهم وجهي، حاولتُ قدر المستطاع ألا يبدو عليّ أي شيء، قالت هي أخيراً:

- «غريبة، مع إن ملامح وشك وقتها كانت بتقول غير كده، عموماً كده كده (مايا) حتقولي على كل حاجة و... إنت بتبص على رجلياً كتير ليه كده؟ عاجبينك أوي يعني؟»

ضحكتُ واحمر وجهي وأنا أنظر في عينيها التي لا أفهم إن كان فيهما سعادة أم حزن، يا لجرأتها!.. قلت:

- «وايه المشكلة؟»

ضحكتُ هي مرة أخرى وقالت:

- «يعني، كنت بحسب لما حقعد أنا وراجل لواحدا في مكان هادي ورومانسي كده حيبص في عينيها، مش لرجليها، إيه الرومانسية في الرجلين يعني أنا مش فاهمة؟»

اتسعت ابتسامتي، نفت انتباهي أنها تقول «رجل» وليس «ولد»  
 كما كانت تقول (مي)، يجب أن يكون من يستحق تلك الفتاة  
 رجل فعلاً وليس ولداً، شعرت بها جس غريب بداخلي، هل أنا  
 فعلاً أستحقها؟.. لكني أزحته عن رأسي وقلت لها محاولاً العودة  
 إلى تلك اللحظة الرائعة:

- «مش عارفة حتفهميني ولا لأ»

وضعت رسغها على المنضدة ثم استندت برأسها على قبضتها  
 المضمومتين أيضاً وقالت وهي ترفع حاجباً واحداً وتتنظر إليّ:

- «جربني»

فكرت فيما سأقوله لها ونظرت في عينيها الجميلتين واللتان  
 أعلم تماماً إنها ستفهمني فيما أقول.

- «انت عارفة إني بحب أقعد على البحر»

- («.....»)

- «وأنا قاعد عالبحر بفضل أبصله، شوية وبتعود على شكله  
 فببص عالرملة، شوية وبودّي عيني في حته تانية ألاقي شجرة  
 بعيدة، صخرة شكلها حلو.. وبعدين برجع أبص عالبحر تاني..  
 هوده بالضبط اللي بحس بيه وأنا معاكي.. كل حته فيكي  
 حلوة، بس مرة ببص عالبحر، ومرة عالرملة، ومرة عالشجرة»

أحمرّت وجنتيها وظلت تنظر لي بعينين لامعتين ثم أزاحت خصلة  
 شعر من على عينيها وتحسست وجنتيها وقالت وهي تبسم في رقّة:

- هو الجو بقى حر ولا اتهيألي؟»

لم أرد.. ظلت أعيننا تتحدث عنّا، عيناها ساحرتان فعلاً،

كانت على حق عندما تساءلت لماذا أترك هذين العيين التي  
يمكن أن تقوم حروب من أجلهما وأنظر إلى أي شيء آخر..

وكعادة تلك اللحظات الرومانسية ، رن جرس هاتفها ليخرجنا  
مما نحن فيه ، هادم اللذات الآخر في هذا العصر.. أخرجت  
حقيبتها ونظرت في الهاتف ثم تغير وجهها ليحمل الكثير من  
الحنق والتوتر ، ألقى نظرة على شاشة الهاتف فوجدت اسم  
الطالب هو (ماما للأسف).. استعجبت من الاسم ونظرت إلى  
(ليلي) مرة أخرى التي كانت لا تزال تنظر إلى الهاتف دون أن  
ترد ثم قبلت المكالمة أخيراً ووضعت الهاتف على أذنها..

تابعت وجهها وهي تستمع لأمها.. هل هي تكرهها فعلاً إلى  
درجة أن تضع مثل هذا الاسم لأمها على هاتفها؟ تذكرت أبي في  
تلك اللحظة ، يبدو أن هناك الكثير من الأشياء المشتركة بيننا..  
- «إيه؟ إزاي؟ لأ ، لأ إنتِ بتضحكي علياً مش كده؟»

قالتها بصوت أقرب للصراخ وبدأت الدموع فعلاً تنساب على  
وجهها.. نظرت إليها باستغراب وأشارت إليها كي تخبرني عمّا  
حدث ، وضعت الهاتف ببطء على المنضدة ونظرت لي بعينين مألّهما  
الدموع وبوجه يحمل أعتى أمارات الأسى وقالت وسط بكائها:

- «(مايا) اتقتلت»

ثم ارتمت في حضني وبكت..

أحطتها بذراعي وأنا لا أعرف ماذا أقول لها..

لا أعرف فعلاً..



## «ياسمين»

انتظرت على الباب فترة طويلة قبل أن أسمع صوت خطوات قادمة ثم انفتح الباب وظهرت (ليلي).. رمقتني بنظرة غريبة وهي تسد فتحة الباب بجسدها كما لو كانت تمنعني من الدخول.. نظرت إليها باستغراب وقلت بعصبية:

- «في إيه يا (ليلي)، مش عايزاني أدخل ولا إيه؟»

ظلت تتطلع إليّ بنفس النظرة الغريبة ثم أفسحت المجال وفتحت الباب أكثر دون أن تتكلم، دخلت وأنا أنظر داخل البيت كعادتي ثم قلت لها:

- «أمك مش هنا؟»

هزت رأسها دون أن ترد، كدت أصرح فيها أن تكف عن تلك الطريقة السخيفة، ثم تذكرت لم أتيت من الأساس فمددت يدي ومسحت على ذراعها، أجفلت قليلاً من لمسة يدي، غريب هذا.. قلت وأنا أنظر في عينيها:

- «البقية في حياتك، معلش»

تغيرت ملامح وجهها وبدا عليها الغضب الشديد فجأة وصاحت:

- «معلش؟ انت محسساني إن ضاع مني عشرين جنيه مش إن صاحبتني ماتت»

نظرتُ لها في حق.. لم تتحدث معي (ليلي) بتلك الطريقة من

قبل، أعلم ما تمر به لكن لم أعتد مثل هذا التصرف الغريب منها.. قلت في عصبية:

- «في إيه يا (ليلي)؟»

- «في إنك بتقولي معلىش، ما دام ماتعرفيش تتكلمي في المواقف اللي زي دي بيقى ماتتكلميش»

هممتُ بجذبها من شعرها لأعيدها لما كانت عليه لكنها صاحت فجأة:

- «(ياسمين)، إنتِ اللي قتلتني (مايا)؟»

نظرتُ إليها في عدم تصديق وأنا لا أعرف كيف فكرت في مثل هذا الشيء..

- «إنتِ ازاي تقولي كده؟»

صاحت بعصبية أكبر:

- «عشان انتِ قتيلتي إنك ممكن تقتلي عشان خاطري، (مايا) ماكانتش زيي أنا وانتِ، (مايا) كانت حاجة تانية، كانت صاحبتني بجد، (ياسمين)، أنا لو عرفت إنك انتِ اللي قتلتها أنا ممكن أموتك، إنتِ فاهمة؟»

جذبتها هذه المرة من شعرها فصرخت، وقربت وجهها إليّ وقلت بصوتٍ منخفضٍ لكن بعصبيةٍ شديدة:

- «أنا قتلتك إنني ممكن أعمل كدا فعلاً، بس مش مع (مايا).. أنا عارفة علاقتك ب(مايا) كويس، حتى لو أنا مابحبهاش، وده عشان مش عايزة أي حد يخذك مني، بس مش معنى كده إنني أقتلها»

جذبتها بشدة أكبر من شعرها فصرخت وانهمرت دموعها على خدها ، شعرت بالراحة قليلاً وأنا أستعيد السيطرة عليها وقلت وأنا أقترب منها أكثر حتى شعرت بعبطها يخترق أنفي ويصعد مباشرة إلى مخي:

- «ولو دماغك دي مش حتتعديل حكسر هالك ، عارفة إني أقدر أعمل كده ولا لأ؟ ردي؟»

لم ترد وانسابت دموعها كالشلال من عينيها.. آه ، كم أعشقها ، أنا على استعداد فعلاً لأفعل أي شيء من أجلها ، أي شيء.. كيف أقول لها الآن ما فعلت؟ كيف ستسامحني؟ اقتربتُ منها أكثر حتى لامست أنفها أنفي وباعدت بين شفتي قليلاً وأنا أهُم بأن أقبّلها..

وفجأة سمعت صوت قفل الباب يفتح فابتعدت عنها في سرعة ونظرت إلى الباب وقلبي يدق في عنف..

فُتِح باب المنزل فعلاً ودخلت أم (ليلي).. توقفت وأدارت عينيها في وجوهنا.. هل لاحظت شيء؟ قطبت حاجبيها في النهاية وقالت وهي تقترب منّا:

- «أزيك يا (ياسمين) ، شفتي اللي حصل لـ(مايا)؟»

نظرت إلى (ليلي) التي كانت تنظر إلى أمها في كُره واضح ، ثم اتجهتُ إلى أمها وعانقتها ، ثم قلت لها وأنا أنظر إلى (ليلي):

- «آه يا طنط عرفت ، وعشان كده أنا جيت النهارده عشان

أشوف (ليلي)»

رمقتُ هي (ليلي) بنظرة جانبية ثم قالت وهي تنظر إليها:

---

- «خديها يا (ياسمين)، اخرجوا شوية، هي في البيت من  
ساعة اللي حصل»

التفتُ إلى (ليلي) فوجدتها تنظر إلى أمها بمزيج من الغضب  
والكره اللذان لم أرهما في عينيها من قبل.. أمسكت (ليلي) من  
ذراعها ودفعتها نحو غرفتها وقلت:

- «خليها تلبس وحننزل مع بعض على طول دلوقتي»  
واتجهنا إلى غرفتها وأنا أُمْنِي نفسي برؤية جسد (ليلي) الذي  
لم أره منذ فترة..



## «ليلي»

جلست وحدي دون أن فعل أي شيء تقريباً..

الناس يمرون من أمامي لكنني لا أكاد أراهم.. أشعر الآن أنني فقدت كل شيء.. (مايا) كانت كل شيء، ومن بعدها الدنيا بلا طعم.. بلا روح، (مايا) كانت روحي بشكل أو بآخر، وصرت الآن جثة، جثة تتحرك وتمشي وتأكل، لكن دون أن تشعر ودون أن تعرف لماذا عليها أن تفعل ذلك من الأساس..

هل قتلتها (ياسمين) فعلاً؟.. لا أعرف، لم أعد متأكدة من أي شيء.. (ياسمين) قوية، عنيفة، أحياناً تجعلني أتألم عن قصد، لكن لا أعرف إن كانت فعلاً على استعداد للقتل أم لا، أعلم تماماً أنها تحبني بجنون، لكن هل لدرجة القتل؟..

- «آنسة (ليلي)»

التفت إلى الصوت لأجد ذلك الرجل الذي يبدو في منتصف الأربعينات يقف أمامي، لا أذكر أنني رأيته في الجامعة من قبل كما أنه لا يبدو كأحد أستاذة الجامعة بشعره المنكوش وجسده النحيل وتلك البدلة السوداء غير المهندمة التي يرتديها.. شعرت ببعض التوتر من نظراته التي تدل على أن صاحبها مضطرب نفسي قلت له دون أن أقف:

- «حضرتك مين؟»

- «آآ (سيف الأسيوطي)، مباحث»

قفزتُ واقفةً عندما سمعت كلمة مباحث.. هل علموا شيئاً  
عن مقتل (مايا)؟ سألته والتوتر يقطر من صوتي:

- «في حاجة عرفتها عن (مايا)؟»

ظل ينظر إليّ باستغراب ثم انفجر فجأة في الضحك، لم أفهم  
ماذا يحدث، شعرت بالغضب، لماذا يضحك هذا المعتوه؟.. ظل  
يضحك لهولة ثم قال أخيراً:

- «ولو اكتشفنا حاجة عن (مايا)، تفكري حبيبي ضابط  
مباحث الكلية عشان يقولك مخصوص؟ يعني آآ ماتمشيش  
أعتقد»

ازداد غضبي وقلت له محاولة ألا أنفجر في وجهه:

- «مممكن أعرف حضرتك عايز إيه؟»

ظل ينظر إليّ دون أن يتحدث، كانت نظراته غريبة، كما  
لو كان يشرد قليلاً ثم يعود ليراني، هممت بالانصراف لكنه  
قال فجأة:

- «عايز أعرف اللي حصل بالضبط في الرحلة بتاعة القاهرة  
اللي كانت (مايا) معاكوا فيها»

ابتلعْتُ ريقِي وأنا أنظر إليه وبدأت قدمي تهتز رغماً عني.. قلت  
له بعصية:

- «حضرتك عايز تعرف إيه بالضبط»

ضحك مرة أخرى بدون مبرر كأن ما قلته هو نكتة طريفة،  
ثم قال أخيراً بعدما فرغ من الضحك:

- «بصي يا (ليلي)، أنا كان مممكن جداً أبعث أجيبك

القسم، هناك بقى، كنتي حتحكي براحة راحتك، بس أنا مرتضتتش، عشان انت بنت ومايصحش، مش انت بنت برضو؟  
 آآآ قصدي مش مايصحش برضو ولا إيه رأيك؟»

بدأت يدي اليمنى في الارتعاد قليلاً.. أمسكتها بيدي الأخرى دون أن تفارق عيناى عينية، ثم قلت وأنا أشعر بصوتي يخرج مرتعداً:

- «آآآ حضرتك عايزني أحكي عن إيه بالضبط؟»  
 مطّ شفّتيه ونظر يمينه ويساره كأنما يبحث عن شيءٍ ما ثم سأل:

- «انتم عندكم كافيتيريا هنا؟»  
 فهمت ما يرمي إليه وقلت على الفور:  
 - «آه بس...»

- «إنت حتعزمني على فنجان قهوة وحتقدي تحكيلى كل اللي انت شفّتيه في الرحلة، من أول ما صحيتي يومها الصبح وفطرتي وكده لغاية ما قفلتي النور قبل ما تنامي»

شعرت بقلبي يهبط داخل صدري وبأطرافي تبرد قليلاً.. لا احتاج إلى المزيد من القيل والقال عني في الجامعة.. يكفي تلك الإشاعات عني أنا و(ياسمين)، لا احتاج أن أضيف إليها جلوسي في الكافيتيريا من رجل أربعيني.. إشاعة أني أخطط كي أخطفه من زوجته أو أنه «شاقطني» ليست ببعيدة.. قلت وأنا أقبض على يدي التي صارت ترتجف ارتجافاً ملحوظاً الآن:

- «طيب آآآ إحنا ممكن نقعد في أي حته برة الجامعة؟»

---

ظل يتطلع إليّ لوهلة حتى ظننت أنه فقد القدرة على النطق ثم  
قال فجأة:

- «ماآآ فيش مشكلة، زي مانت عايزة، بس برة بقى أنا  
اللي عازم، اتفقنا؟»

أومأت برأسي، كأنني لي حق الاختيار من الأساس..  
تلفت حوله مرة أخرى ثم قال:

- «يلا بينا عشان القعدة حتبقى طويلة شوية»  
وسرت بجانبه وأنا أقبص بيدي على يدي التي ترتجف..  
ولسبب ما شعرت أنه سيأخذني لمكان بعيد وأني لن أعود  
إلى هنا مرة أخرى..  
لن أعود أبداً..



## «حسين»

- «أنا آسف يا (ليلي)»

نظرت لي بعينين ملأتها الدموع وقالت:

- «أنا حاسة إنني بقيت تايهة، مش عارفة أنا عايزة إيه، (مايا) كانت الوحيدة اللي بحس معاها بالراحة، أنا مش عارفة حاجة، عايزة (ياسمين)، ولا (أدهم) ولا عايزة أعيش أصلاً ولا لأ»

دموعها كانت تقتلني، تعودت ألا أتأثر بدموع مريضاتي اللاتي تعودن أن يأتين إلي هنا ليبكين في أغلب الوقت، لكن ليست هي كمثيالاتها، ليس لها مثيل من بين النساء من الأساس.. هناك (ليلي) واحدة فقط، وهي الآن تبكي وأنا الذي أفنيت حياتي في الطب النفسي أشعر أنني عاجز أمامها.. يقولون دائماً أن أصعب الحالات المرضية هي التي يضطر فيها الطبيب أن يعالج أحد المقربين إليه.. أشعر أن (ليلي) أكثر قرباً من أي شخص آخر عرفته في حياتي، ولهذا أجد نفسي عاجزاً في أوقات كثيرة أمامها..

- «أنا شاكة إن (ياسمين) هي اللي قتلتها»

- «وليه حاسة بكدا؟»

حكّت لي عمّا قالته (ياسمين) لها مسبقاً.. ليس مبرراً جداً، أحياناً نقول أشياء بعيدة تماماً عن الواقع لنعبر عن حبننا، هممّت بأن أخبرها بذلك لكنها قالت فجأة:

---

- «في ضابط جالي الكلية، كان عايز يعرف تفاصيل عن الرحلة اللي طلعتها، هو أكيد شاكك إن حد من اللي كانوا معانا في الرحلة هو اللي قتل (مايا)»  
هممتُ بالرد مرة أخرى لكنها قالت:

- «دكتور، أنا خايفة.. خايفة من كل الناس اللي حواليا، أول مرة أعرف إن الإحساس بالأمان ده أهم من الحب ومن الحنية ومن أي إحساس تاني»

كنت أريد أن أضمها إلى صدري، أن أخبرها أنني سأحميها من العالم أجمع، أن لا شيء سيمسها بسوء طالما أنا بجانبها لكنني لم أفعل، لماذا؟ لأنني طبيب وهي مريضة.. ولأنني متزوج.. ذلك السور الذي يضرب بيني وبين أي علاقة قادمة.. لن تقبل فتاة أن تدخل في علاقة مع رجل متزوج، حتى لو كان ينوي الزواج منها بالفعل.. ستظل تنظر لنفسها أنها عشيقة وليست زوجة، هي خطفته من حياته، رغم أنها لا تعلم أنها، بوجودها إلى جانبه، تعيده إلى الحياة..

- «هو أنا ليه حياتي كده؟ ليه حاسة إنني دايماً حد عايز يملكني وأنا ما عنديش القرار؟»  
عدلت من نظارتي وقلت:

- «إنت ممكن تسألني السؤال بطريقة ثانية.. إنت عايزة تعرفي إنت ليه مش عارفة إذا كنتي عايزة مين فيهم فعلاً، (أدهم) ولا (ياسمين)»

لم ترد، وإن كانت النظرة في عينيها تدل أنها توافقني فيما

أقول، قلت وأنا أشعر بالراحة بعض الشيء لعودتي لممارسة مهنتي:

- «لأنك مش حاسة بأهميتك، كل واحد منهم عايزك عشان نفسه من غير ما يسأل نفسه إذا كانت (ليلي) عايزاني ولا لأ.. حياة ناس كتيرة كان ممكن تتغير لو لقوا حد يحسسهم بأهميتهم.. هما عايزينك، محتاجينك، بس مش عارفين انت محتاجة إيه»

ثم اعتدلت في مقعدي وأنا أقول:

- «أنا مثلاً بحب الفراولة، وبحب الأيس كريم، بس لما بروح أصطاد باخد معايا دود، دود من بتاع الصيد ده، مع إنني أكيد ما بحبوش، بس السمك بيحبه.. نفس الحاجة، لو أنا في علاقة وعملت اللي أنا بحبه بغض النظر عن اللي معايا عايز إيه، وماعرفتش إيه هو الدود بتاعه، حيهرب ويروح لسنارة تانية، صياد تاني معاه الدود اللي بيحبه»

- «وأنا إيه الدود بتاعي؟»

قلت لها وأنا أشعر أن الكلمات تتساب من قلبي إلى لساني مباشرة دون أن تمر على عقلي:

- «انتِ عايزة حد يحسسك إنك أهم واحدة في الدنيا، يحسسك إنه مش لازم يعاملك وحش عشان تحسي إنه ضهر ليكي، إنه يعوضك عن أبوكِ اللي ماشفتيش معاه الأمان، وأمكِ اللي كانت المفروض تبقى حنينة عليكِ، ويبقى صاحبكِ اللي تحكيه، وتفضفضي معاه، من غير ماتخافي إنه يفهمك غلط

---

أو إنه يعايرك بالحاجة دي بعدين ، إنه يبقى دنيتهك اللي انت لسا  
ماعشتهاش»

ظهر الأسى على ملامحها واغرورقت عيناها بالدموع وهي  
تنظر إليّ ، ثم ارتسمت ابتسامة على وجهها وقالت بصوت باكٍ :  
- «عرفت بقى أنا بجيلك ليه يا دكتور ، عشان انت أكثر  
واحد في الدنيا فاهمني.. أنا بجبك أوي يا دكتور ، انت حد مهم  
أوي في حياتي»

خفق قلبي في عنف ، أنا أعلم أنها لا تقصد معنى الحب الذي  
أُكُنُه لها ، لكن قلبي رقص لسماع تلك الكلمة رغم كل  
شيء.. قلت لها :

- «أنا عايز أتفق معاكي على اتفاق ، بس توعديني إنك  
هتفذه»

ابتسمت دون أن تفارق دموعها عينيها ، قلت :

- «عايزك تاخدي أجازة من (ياسمين) و(أدهم)..  
ماتشوفيهمش ، ما تتصليش بيهم ، ماترديش على مكالماتهم ،  
خليكي كده أسبوع ، وبعدها شوفي مين أكثر حد فيهم  
حيوحشك وهاتيه معاكي هنا الجلسة الجاية»

ضحكت في استغراب وبدا عليها التفكير ثم أومأت برأسها  
ومسحت دموعها بيدها ثم قالت :

- «بس ممكن أعرف ليه؟»

قلت وأنا أشعر بالأسى من وصفي الدواء لها وهي دوائي :

- «عشان الوعد ممكن يقتل ، لما توعدني حد بحاجة لازم

تكوني واثقة تماماً إنك حتوفيتها»

شردت ببصرها للحظات ثم التفتت لي وقالت:

- «بمناسبة القتل.. أنا حلمت حلم ثاني»

نظرتُ إليها باهتمام وأنا أحاول إخفاء مشاعري، مسحت هي دموعها مرة أخرى بيدها وقالت وهي تحاول أن تتناسى مشاعرها السلبية هي الأخرى:

- «حلمت إنني بقتل واحدة، بضربها بسكينة، مش فاكرة ملامح وشها بس كان في دم كثير، وأنا كنت خائفة»

صممت وظهر عليها أنها تحاول أن تتذكر ثم نظرت إلي ومطت شفيتها وقالت:

- «أنا في ذكرى غريبة عندي بحاجة شبه كذا حصلتلي وأنا صغيرة، أنا عارفة إننا اتكلمنا قبل كده في موضوع تفسير الأحلام ده، بس هو ممكن الحلم يبقى واصل للواقع؟»

نظرت إليها باستغراب.. أعتقد أن حلمها له علاقة بمقتل صديقتها، لكن كلامها المرة السابقة عن أنها تشعر بالندم عند تذكرها ل(سارة)، ثم حلمها الآن أنها هي من تقتل.. هل من الممكن أن...؟ لا، ليست (ليلي)، لا يمكن أن تكون هي من قام بتلك الجرائم، لو كانت حالة فصام كنت سأعرف، بالتأكيد كنت سأعرف، أو لم أكن لأعرف؟ هل هي لهذه الدرجة تؤثر على ترتيب أفكارى وقدرتي التحليلية؟.. قلت لها وأنا أبتلع ريقى وقد صار الشرخ الذي تكوّن في جدار ثقتي غائراً:

---

- «الإنسان يبقي فيه جزء منه مرتبط بالواقع، حتى وهو نائم..  
الأم مثلاً، ممكن تبقى نائمة وفيه أصوات حواليتها ودوشة، بس  
أول ما تسمع صوت عياط ابنها بتصحى، مع إنه ممكن مايبقاش  
أعلى من الأصوات الثانية»

نظرت لي في عدم فهم، ثم نظرت في ساعتها والتقطت  
حقيبتها بسرعة وقالت وهي تقوم من مقعدها:

- «أنا لازم أمشي معلى، في حاجة مهمة لازم أعملها قبل ما  
أروح.. دكتور إنت عارف إن دي أول مرة ما أدخنش وأنا قاعدة  
معاك؟»

ابتسمتُ ابتسامة واهنة فبادلتني هي بابتسامة واسعة ثم  
اتجهت إلى الباب في خطوات سريعة وتركتني غارقاً في  
أفكاري السوداء وأنا أتخيلها أمامي وفي يدها سكين وتقترب  
نحوي ببطء..  
وتقتلني..



## «سيف»

أدرت عيني في العيادة الغاية في الأناقة وقلت له:

- «شكلك بتكسب كويس يا دكتور، لأ، العيادة آآآ  
ظريفة»

لم يرد، وظل ينظر إليّ بهدوء، عدت أتأمل الديكور الراقي  
والحوائط المطلية باللون الأسود، حتى توقفت عيني عند لوحة  
تصور مقطوع في رأس بشري فقلت وأنا أشير إليها:

- «هي الرسمة دي بجد؟ يعني آآآ في واحد قطعتموا راسوا  
نصين ورسمتموها؟ واللّه الدكاترة دول رايقين أوي»

نظرت إليه فوجدته كما هو، بلا انطباعات على وجهه  
تقريباً.. هو يريد أن أدخل في الموضوع إذن ويكره المقدمات..  
حسنًا، قلت له:

- «آآآ، مش عارف انتّ عارف ولا لأ يا دكتور، هاهاها،  
حلوة مش عارف انتّ عارف دي.. آآآ إحنا بنحقق في قضية قتل،  
واحدة اسمها (سارة) وبعدها واحدة اسمها (مايا)، الاتنين يعرفوا  
نفس المجموعة اللي منها (ليلي) اللي بتعالج عندك هنا، عارفها  
يا دكتور مش كده؟»

أوماً برأسه ببطء وقال بهدوء:

- «في واحدة بس اسمها (ليلي) بتيجي هنا فعلاً، بس مش  
عارف هي دي اللي قصد سيادتك عليها ولا لأ»

ابتسمتُ، هو يتذاكى إذن، بالتأكيد حكمت له كل شيء..  
فلماذا تأت إليه من الأساس؟ قلت:

- «آه هي، أنا متأكد جداً، أنا عملت تحريات وعرفت إن...»  
توقفت عندما رأيت الابتسامة على وجهه فسألته:

- «هو آآ في حاجة في اللي أنا بقولها بتضحك يا دكتور ولا  
إيه؟»

رفع يده معتذراً وقال بنفس الابتسامة:

- «لأ، العفو، أنا آسف، أنا بس كنت قرئت بحث كده  
اتعمل في شركة تليفونات في نيويورك عن أكثر كلمة بتتقال  
في التليفون، طلعت كلمة «أنا»، لما سيادتك اتكلمت فكرتني  
بالبحث ده عشان قلت «أنا» أكثر من مرة، ده غير طبعاً إنهم  
عشان يعملوا بحث زي ده لازم يتجسسوا على التليفونات... ما  
علينا، أنا آسف، المهنة دي بتخلي الواحد يربط بين حاجات  
غريبة»

قلتُ:

- «وأنا فكرتك بيها عشان كلمة «أنا» ولا عشان بيتجسسوا  
على التليفونات؟»

ابتسم الطبيب ابتسامة صفراء ثم قال مغيراً للموضوع:

- «أؤمرني يا (سيف) بك، أقدر أساعد سيادتك إزاي؟»

قلت له وقد بدأت أستمع بتلك المباراة التي بدأت بالفعل:

- «عايز أعرف (ليلي) حكتهك إيه عن موضوع القتل ده»

ارتسمت ابتسامة دبلوماسية على وجهه وقال:

- «(سيف) بك، إنت عارف إن أسرار المرضى دي حاجة مقدسة، ماينفمش أطلعها لحد»

قلت وأنا أعدل من قميصي وأنفض بعض الأشياء عن بنطالي:  
- «بس احنا بوليس، اللي ماينفمش يطلع لغيرنا ينفع يطلعنا عادي»

مط شفتيه وقال:

- «سيادتك سيد العارفين، الحاجات دي بتحتاج إذن نيابة، وده بيطلع في أضيق الحدود»

هززت رأسي.. مباراة الشطرنج تلك ستكون جيدة فعلاً، وإن كان قد أعاق حركة البيدق بحركة ذكية من الفرس.. قلت وأنا أحرك بيدق آخر إلى الأمام:

- «تفكر اللي بيقتل ده بيقتل ليه؟»

مط شفتيه وقطب حاجبيه وقال:

- «مافيش حد بيعمل حاجة من غير مبرر، بس لو عرفت الشخص ده عايز إيه فعلاً.. الدافع، الدافع الحقيقي، لو عرفته حتعرف هو قتل ليه»

سكتُ ولم أرد.. مط شفتيه مرة أخرى ثم قال كأنما رأى أن إجابته غير كافية:

- «المجرم عادةً بيعسى إنه يوصل للأمان، بيصارع عشان يطلع من وضع هو حاسس فيه بالنقص لوضع أفضل، الطريق اللي الصراع ده بيوصله ليه بسبب طبيعته غير السوية مايببقاش

سهل ، وعشان المجرم ده ما لقاش طريق سهل لأنه يشعر بالرضا ،  
حيلوم البيئة المحيطة أو الأشخاص المحيطين بيه وحيكرهم  
لأنهم بيمثلوا في عينيه المجتمع ككل»

لماذا أشعر أنه كان بإمكانه أن يقول ما قاله بطريقة  
أبسط؟.. لكن يبدو أن ذلك التعقيد الذي لا طائل منه والذي  
يميل إليه الأطباء النفسيين يجعلهم يشعرون أن بضاعتهم ليست  
مزجاة بشكل أو بآخر.. قلت:

- «وتفتكر في طريقة عشان نقنعهم ما يمشوش في الطريق  
ده أو ما يحسوش بالكراهية اللي حوالينهم؟»  
فكر قليلاً ثم قال:

- «المجرم عادةً بيهتم بس بنفسه ووجهة نظره هو ، ممكن  
لو...»

لم يكمل الجملة.. قلت له:

- «ممكن لو إيه؟»

قال وهو ينظر إليّ دون أن يبدو عليه أنني أثير أعصابه مع أنني  
أعلم أنني أفعل:

- «إحنا لازم نوريلهم رؤيتهم ، عقلهم ، نصحيهم من الحلم  
اللي فضلوا يحلموه طول حياتهم ، لازم نحزرهم من التسمم ، من  
تفسيرهم الخاص للعالم.. إحنا ممكن نغيرهم بس إذا فهموا  
نفسهم بشكل أفضل ، ودي وظيفة الطب النفسي»

قلت وقد شعرت بمتعة لم أشعر بها منذ فترة طويلة:

- «هو الناس بيتحولوا لمجانين ليه؟»

لم يبدُ عليه السأم كما توقعت، بل قال بهدوء شديد وبطريقته السردية التي تجعلك تشعر كأنما تجلس بين يدي حكيم من حكماء الماضي:

- «لأنهم ييلاقوا في الخبل والجنان شعور بالأهمية ما قدروا يوصلوا له في الحياة الحقيقية، فبيخلقوا حياة افتراضية، يياخدوا فيها كل حاجة ويحققوا اللي هما ما عرفوش يحققوه، في مرضى نفسيين فعلاً بيرتكبوا جرايم، بس الجرايم دي بتبقى نتيجة فشل تام لفهم الموقف اللي بيمر به، وبالتالي طريقة خطأ لعلاج الموقف ده»

كان يبدو أنه لن يتوقف عن الكلام، قال بالفعل:

- «القاتل ساعات بيتخيل عالم وأحداث تانية محصلتش غير في دماغه هو بس، ساعات كتير بيحس بصداع لأن دماغه مش قادرة تشيل العالم الكامل اللي هو خالقه جواها والصراعات اللي بتحصل في دماغه بس»

قلت له وقد وصل للنقطة التي كنت أريدها أخيراً:

- «دكتور، حسألك مرة أخيرة بعد التفسير الجميل ده عن القاتل، اللي هو في الأصل المريض النفسي، شايف حد من المرضى بتوعك ممكن يرتكب جريمة زي دي؟»

ظل ينظر لي لوهلة ثم قال:

- «أنا معرفش تفاصيل كافية عن الجريمة دي عشان أقولك رأيي، بس عمومًا مافيش حد من المرضى اللي عندي ممكن يبقى بالخطورة إنه يقتل»

---

كنت أعلم تماماً أنه يكذب وإن كنت غير متأكد تماماً  
ما الذي يعرفه.. سأحتاج في مرحلة لاحقة إلى إذن النيابة بالفعل  
كي آخذ كل ما لديه عن (ليلي)، لكنني سأؤجل هذا إلى ما  
بعد».

قمت من مقعدي وعدلت من هندامي ثم مددت إليه يدي فوقف  
على الفور وتصافحنا.. ثم قلت له:

- «شكراً يا دكتور، كان حوار ظريف»

ثم اتجهت للباب وأنا أعلم تماماً أنني سأعود إلى هنا قريباً  
جداً.



## «أدهم»

- «طيب فهموني حتخدوه على فين؟»

- «مطلوب في المديرية حضرتك، أنا بنفذ التعليمات»

- «طيب أفهم في إيه؟»

لم يرد العسكري عليها ، بل جذبني من يدي أنا الذي كنت فاقداً للنطق تقريباً منذ أن طرقت ذلك العسكري الباب وقال لأمي أنهم يريدونني في مديرية الأمن..

- «طيب حاجي معاكم»

لم يرد أيضاً على توسلاتها ، اقتادني ونزلنا على السلم وأنا أكاد أرى العيون السحرية للأبواب يتحرك خلفها أعين جيراننا الفضوليون الذين يريدون بالطبع معرفة كُنه الجريمة التي ارتكبها ذلك الشخص الذي كان يبیت معهم في نفس البناية ، وهم يحمدون الله في سرهم أنهم لم يكونوا هم إحدى ضحايا جرمه ، بل ويتساءلون في شك عن كيفية عدم معرفتهم من قبل لوجود مجرمًا مثله بينهم!..

نزلنا أخيراً ووصلنا لسيارة الشرطة المتوقفة أمام الباب ، البواب يشاهدنا ويضرب كفاً بكف ، زوجته تمصص شفيتها.. صعدتُ في المقصورة الخلفية وركب العسكري بجانبني وانطلقت السيارة تجوب شوارع الإسكندرية وأنا بداخلها أشعر أن دماغي تكاد تنفجر من الصداق ، لم أتوتر ، لم أبك ، كنت

فقط أريد لهذا الصداق أن يذهب..

فتحتُ عيني لأجد سيارة أمي تتبعنا ، لم أرد لها أن تفعل ذلك ،  
يكفي ما سببته لها من إحراج لن ينطمس أبداً ، أبي هو مَنْ كان  
يستحق أن يكون متواجداً في هذا الوقت ، لا ، ليست فكرة صائبة ،  
لم أكن لأستطيع أن أعود بعدها إلى المنزل لو كان لا يزال هنا بيننا..  
وصلنا إلى مديرية الأمن أخيراً قبل أن تصل سيارة أمي لحسن  
الحظ.. اقتادني العسكري إلى الداخل ومشينا في طرقة طويلة  
إلى يسار المدخل ثم توقفنا أمام نفس الحجرة التي أتيت إليها  
من قبل منذ عدة أيام وطرق عليها العسكري ثم انتظر حتى أتى  
صوت من الداخل يطلب منه الدخول ، ثم فتح الباب وهو يدفعني  
أمامه وألقى التحية العسكرية على الضابط الذي يجلس خلف  
المكتب بالداخل وقال بطريقة مهذبة :

- «أدهم الكحكي) يا فندم»

أشار له الضابط -الذي لم يكن سوى (سيف) الذي أمضيت  
معه ما يقرب من أربع ساعات منذ أسبوع تقريباً في نفس  
المكتب- بالانصراف ، وأشار لي أن أقرب من مكتبه.. اقتربتُ  
منه في خطوات بطيئة وأنا أشعر برأسي تكاد تنفجر ، ثم سمعنا  
فجأة أصوات خارج المكتب فالتفتُ ، صوت طرقات على الباب  
ثم عسكري آخر يدخل ويقول :

- «في واحدة ست برة يا فندم ويتقول إنها...»

- «عديني لو سمحت ، أنا عايزة أدخل للضابط»

ظهرت أمي على الباب والعسكري يحاول منعها من الدخول ،

خفق قلبي بعنف وهممت بالاتجاه نحوها..

- «سيبها تدخل»

دخلت أُمي والخوف والتوتر متجلياً على وجهها ، أدارت عينها في وجهينا ثم قالت:

- «ممكن أعرف في إيه؟»

ظل (سيف) ينظر لها طويلاً ولم يتكلم ، بدا التوتر على وجهها أكثر من نظراته ، ثم قال أخيراً :

- «أهلاً يا مدام ، أنا بس كنت آآآ عايز أتكلم مع (أدهم) شوية عن قضية قتل كده ، واحدة اسمها (مايا) اتقتلت وكانت معاهم في الحفلة اللي كانوا فيها في القاهرة ، وكنت عايز أعرف منه شوية حاجات ، مش عارف حضرتك اتخضيتي ليه كده»

قالت أُمي بصوت متهدج:

- «اتخضيت ليه؟ عايزين تتكلموا معاه تقوموا تاخدوه من

البيت بالطريقة المهينة دي؟»

أمال (سيف) رأسه يميناً ويساراً ثم قال وهو ينظر للمكتب:

- إحنا آسفين يا فندم لو سببنا لكم إحراج ، إحنا حنوصله

بعد ما نخلص لغاية البيت»

صاحت أُمي:

- «آه ، ماهو مش كفاية الفضيحة اللي عملتوها لنا فعايزين

تزودوها بفضيحة تانية»

صاح (سيف) فجأة بصوت عال:

- «بقول لحضرتك حبعت عربية توصله ويسلموا عليه

ويشكروه قدام الناس كلها ، عايزة رد اعتبار أكبر من كده

إيه أنا مش فاهم أنا يعني؟»

أجفلت ووضعت أصابعها أمام فمها ، أغمض (سيف) عينيه كأنما يتألم ثم فتح عينيه وقال لها بتهديب:

- «أنا آسف يا مدام ، إحنا آسفين ، بس دي قضية قتل»

قالت وهي على وشك البكاء:

- «هو ابني متهم فيها؟»

ظل ينظر إليها أيضاً لفترة طويلة ثم قال:

- «لا لا لا ، آآأ احنا بنحقق مع كل اللي كانوا في الرحلة ، دي حاجة روتينية مش أكثر ، بس بما إن حضرتك معانا هنا دلوقتي ، ممكن أعرف ليلة الحفلة ، (أدهم) دخل البيت الساعة كام؟»

نظرت لي.. كنت أنا غارق في ذلك الصداق وأتابع ما يحدث بصعوبة بالغة ، ظلت تنظر لي لوهلة وأنا لا أعرف ما أفعله ثم نظرت لـ(سيف) وقالت:

- «الساعة ١١:٠٠»

- «حضرتك متأكدة؟»

نظرت لي مرة أخرى ثم قالت دون أن تنظر لـ(سيف):

- «آه ، أنا كلمته الساعة ١٠:٣٠ كانوا لسا واصلين ، ووصل بعدها البيت الساعة ١١:٠٠ ، أنا آآأ متأكدة»

ابتسم (سيف) ، ونظر للمكتب لوهلة ثم قال:

- «تمام ، ممكن حضرتك تروحي دلوقتي وأنا حخلص كلام معاه وحخلي حد يوصله زي ما اتفقنا»

- «أنا عايزة استنى معاه»

قالتها أمي ثم رفعت أصابعها مرة أخرى إلى فمها.. نظر

(سيف) مرة أخرى للمكتب ثم رفع عينيه إليها وقال لها :  
 - «لو تحبى حضرتك ممكن تستتينا برة لغاية ما نخلص  
 ويبقى يروح معاكي»

ظهر التردد على وجهها للحظة ونظرت لي مرة أخرى ثم اتجهت  
 إلى الباب وغادرت وأغلق العسكري في الخارج الباب خلفها..  
 تابعتها ببصري حتى غادرت ثم التفتُ إلى (سيف) الذي كان  
 ينظر إلى الباب بدوره، ظللت أتطلع إليه وأنا أدعو الله أن يخلصني  
 من هذا الصداق، التفتُ إليّ أخيراً وابتسم ثم قال:

- «خليك حلو بقى ومتعاون عشان أسيبك تروح مع ماما..  
 ها، إحكي لي اللي حصل كده في الرحلة بتاعة القاهرة واحدة  
 واحدة، بس حاول ما تنساش أي حاجة بس عشان أنا بزعل أوي  
 لما حد ينسى حاجة وهو بيحكيلي»

أغمضت عيني في ألم ثم فتحتها فوجدته لا يزال ينظر إليّ  
 دون أن يبدو عليه أنه لاحظ أنني أشعر بألم من الأساس، أخذت  
 نفساً عميقاً ثم بدأت أحكي..

ما أتذكره على الأقل..

فليس من بين ما أتذكره ما يمكن أن يثير ريبته..

لكن ما لا أتذكره هو ما يخيفني..

للمغاية..

ثم كيف أحكيه له من الأساس وأنا لا أتذكره؟..



## «أدهم»

- «ممكن تفهمني إيه اللي بيحصل؟»

لم أرد عليها.. اتجهت إلى الحجرة في نهاية الصالة كأنما أنا غريق يريد فقط أن يصل إلى الشاطئ.. لحقت بي وأمسكتني من يدي فجأة وهي تديرني لأنظر إليها وقالت:

- «إستنى هنا ، أنا بكلمك»

التفتُ لها ولم أرد أيضاً.. قالت بصوتٍ هو مزيج غريب من الغضب والرجاء:

- «أنا أول مرة أكذب النهارده.. كذبت عشان خاطرک،

كذبت عشان ماكانش ينفع أقول إنك رجعت الساعة ٣ الصبح وإن هدومك كانت مبهدلة ، ماينفعلش أقول إن أنا نفسي شكيت فيك من ساعة ما الضابط ده قالي إن في جريمة قتل حصلت يومها لواحدة تعرفها»

ظلمت أنظر إليها ولم أرد.. كيف أقول لها أنني فعلاً لا أتذكر ما حدث يومها؟ كيف أقول أن هذا يحدث لي كثيراً؟.. قررت منذ فترة طويلة ألا أخبر أحداً بهذا الأمر.. لا أمي ولا غيرها ، هذا الأمر خاص بي وحدي ، أنا أعرف سببه وأعرف متى بدأ ، وأعلم أنه سينتهي في وقتٍ ما.. حتماً سينتهي.. اقتربت مني أكثر وقالت وهي تنظر في عيني مباشرة:

- «(أدهم).. إنت قتلت البنت دي؟»

كنت أود أن أقول لها أنني لا أعرف فعلاً لكنني أثرت

الصمت.. جذبتُ ذراعي من يدها واتجهت ناحية الحجرة التي  
كنت أريد الذهاب إليها منذ أن وصلنا..

حجرة البيانو..

أزلتُ الغطاء عنه بعصبية ، وجلست ، لامست الأصابع البيضاء  
والسوداء بيدي وكورت يدي استعداداً للعزف..

- «سبب الزفت ده وخليك معايا»

قالتها وهي تجذبني من يدي وتحاول أن تديرني لأنظر إليها  
لكنني دفعت يدها ووضعت يدي مرة أخرى على البيانو..

وبدأت أعزف..

ثم سمعت صوت بكائها..

توقفت عن العزف والتفت لها.. كانت جالسة على الأرض  
تبكي بانهايار.. تبكي وكأن هذا آخر شيء تفعله في حياتها..  
قمت من مقعدي واقتربت منها وجلست بجوارها وضممت  
ركبتي إلى صدري ولففت ذراعيّ حولهما..

كنت أريد أن أضمها إلى صدري وهي تبكي لكنني لم أفعل..  
ولن أفعل..

فأنا لم أعد أستطيع أن أعطي حناناً ، لها هي بالذات.. فلم  
ألتقاه منها من الأساس..

سأظل فقط هكذا بجانبها حتى تهدأ ، فهذا أقصى ما  
يمكنني فعله..

لكنني لن أحكي لها أي شيء..

أي شيء على الإطلاق..



## «سيف»

انددفع (إبراهيم) فجأة داخل المكتب دون أن يطرق الباب..  
كدت أن أنهره على ما فعل لكن التوتر البادي على وجهه جعلني  
أعلم أن هناك مصيبة وراءه.. قال بالفعل وهو يلهث:

- «طالبين سيادتك عند مساعد الوزير.. الوزارة كلها مقلوبة  
يا فندم»

مساعد الوزير؟.. أنا لا أذكر أنني قابلته إلا مرة أو مرتين..  
سألته في قلق لم أشعر به منذ فترة طويلة:

- «في إيه يا (إبراهيم)؟»

قال بسرعة والتوتر يقطر من كلماته:

- «مساعد الوزير، أخت مراته اتقتلت»

ثم صمّت ليلتقط أنفاسه وقال:

- «بنفس الطريقة»

نظرت إليه باستغراب.. عن أي طريقة يتحدث؟.. قال دون أن  
أسأله:

- «نفس الطريقة اللي اتقتلوا بيها البنتين اللي فاتوا.. (سارة)

و(مايا)»

هذا ما كان ينقصنا فعلاً.. أن تتحول القضية إلى أولوية أولى  
للوزارة.. لم أفهم.. ما علاقة أخت زوجة مساعد الوزير بالفرقة أو

بكل ما يحدث؟

- «ممكن سيادتك تروحله دلوقتى وأنا حكون جهزت  
لسيادتك تقرير بكل اللي حصل أول ما ترجع»  
قلت له:

- «أرجع؟ هو مش في مكتبه فوق؟»

ابتلع ريقه وقال:

- «لأ يا فندم، هو طالب سيادتك عنده في الفيلا»

ابتلعت ريقى.. رغم أننا لم نتقابل إلا مرات قليلة إلا أن الوزارة  
كأها تتحدث عن طريقته الفظة في التعامل مع مرؤوسيه..  
ستكون زيارة لطيفة بالتأكيد.. سيطلب قطعاً تقريراً مفصلاً  
عماً وصلنا إليه في الجريمتين السابقتين.. التقطت جاكيت  
بدلتى من على المقعد وعدلت من قميصى ثم غادرت المكتب  
دون أن أقول أي شيء لـ(إبراهيم)..

وفي الطريق مررت على ذلك المحل الشهير الذي يبيع القهوة..  
إن لم أحتاجها الآن فمتى أحتاجها إذن؟.. أخذت رشفات سريعة  
وأنا أقود عبر شوارع الإسكندرية التي بدأت تزدهم في ذلك  
الوقت من الصباح ثم وصلت أخيراً للطريق الدولي فضغطت  
دواسة الوقود بكل قوتي.. لم يمر الكثير حتى وصلت لمنطقة  
الـ(كينج ماريوت) حيث تقبع فيلا مساعد الوزير، وها أنا أصل  
أمام الفيلا التي توقفت أمامها عدة سيارات سوداء فخمة.. ترجلت  
واتجهت للباب وأنا أحاول استجماع أفكارى قدر المستطاع..  
فيلا فخمة فعلاً.. لا أدري إن كنت سأبتاع واحدة مثلها عندما

أصل لنفس منصبه أم لا ، فلم يعد شيء يشعرنني بالمتعة ، حتى  
رؤيتي لها ولكل هذه السيارات لم يثير في داخلي أي رغبة..

تأملت المفتاح الفخم الموضوع بجانب الباب وضغطت عليه  
فانطلقت موسيقى عالية بدلاً من الجرس.. سمعت خطوات ثم  
فتح الباب وظهرت فتاة ذات ملامح آسيوية ، يبدو أنها الخادمة..  
قلت لها «رضوان باشا» فهزت رأسها وفتحت لي الباب.. لم أحتج  
لأن أتأمل ما بداخل الفيلا لأنني رأيت جمعاً من الرجال والنساء  
يرتدون ملابس سوداء وسمعت أصوات بكاء النساء.. ثم رأيت  
بينهم يربت على كتف امرأة خمسينية تبكي في حرقة..  
(رضوان الأنصاري)..

مساعد وزير الداخلية والابن الأكبر لوزير الداخلية الأسبق  
(مدحت الأنصاري)..

نظر لي وأشار لي بيده أن أتقدم ، اتجهت إليه ثم وقفت أمامه  
وأديت له التحية العسكرية ثم قلت:

- «(سيف الأسيوطي) ، البقاء لله يا فندم ، تحت أمر معاليك»

تطلع لي بنظرة كارهة لا أدري سببها ثم قال بطريقته  
المتعالية التي سمعت عنها:

- «العزا بتاعك إنك تجيب القاتل ده.. أنا مش حقدمه  
للمحاكمة ، أنا حاقتله بنفسي»

قلت له:

- «تمام معاليك ، اعتبر سيادتك إن الموضوع تم»

قال بنفس الطريقة:

- «أنا عايز أعرف إحنا وصلنا لفين في الحادثتين اللي فاتوا؟»

ابتلعت ريقى.. كنت أتوقع مثل هذا السؤال ، قلت له :

- «تمام معاليك.. إحنا حصرنا المشتبه فيهم في مجموعة

أفراد ومسألة وقت وحنحط إيدينا على ال...»

صاح مقاطعاً إياي بصوتٍ جهوري :

- «يعني إيه مجموعة أفراد ، أنا عايز اسم شخص ، اسم اللي

قتل ده عايزه عندي امبارح مش النهارده»

ابتلعت ريقى مرةً أخرى ثم قلت له :

- «إحنا آسفين معاليك ، القاتل ماسابش بصمات وسلاح

الجريمة مش موجود ، بس أنا بوعد جنابك إن الموضوع حيخلص

في أقرب فرصة»

صاح مرة أخرى :

- «قدامك ٢٤ ساعة من دلوقتي وتقولي اسم القاتل ، وعايزك

كل ٤ ساعات تديني تمام وصلتوا لأيه.. سيبوا كل حاجة تانية

معاكم وإدوا للموضوع ده الأولوية الأولى ، انت فاهم ولا لأ؟»

أومأت برأسي فأشار لي بالانصراف.. رفعتُ يدي إليه بالتحية

العسكرية مرة أخرى وغادرت في خطوات سريعة..

اتجهت لسيارتي وأنا أعلم أن الأيام القادمة ستكون أطول ما

يكون..



## «ليلي»

- «ليلي»، دي المرة الخمستاشر اللي يكلمك وماترديش»  
التفتُ إلى (سالي) وأومات برأسي ثم عدت أطلع الكتاب  
مرة أخرى..

لن أرد على (أدهم)، لن أرد على (ياسمين)، سأنفذ نصيحة  
(حسين) وليكن ما يكون.. صرت أثق به إلى حد كبير وسأرى  
من سأشاق إليه في النهاية..

- «ما أنا مش مديرة أعمالك بروح أمك، خلي التليفون جنبك  
بقي واعمله silent ولا أي زفت على دماغك»

لم أرد أيضاً، أنا أعلم أن (سالي) تريد أن تبقي معها الهاتف  
كي تحصي المرات التي اتصل فيها كل من (أدهم) و(ياسمين)،  
ولن تصمت حتى «تجلس على الأساس» كما يقولون..

- «طب لو أمك اتصلت أرد؟»

أشعلت سيجارة ونفخت دخانها في الهواء فوق رأسي وقلت:  
- «مش حتصل.. هي مش فارقة معاها أبات في البيت ولا  
برا، هي أصلاً حتفرح إنني مش موجودة في البيت.. بتحب تقعد  
لوحدها من غيري، بتجيب رجالة من ورايا شكلها».

ضحكت (سالي) حتى دمعت عيناها وقالت:

- «طب ربنا يوفقها والله، يا بختها.. ممكن تفهميني إنتِ

بتعملي كده ليه؟»

لم أرد أيضًا فاقتربت مني وقالت بعصبية:

- «(ليلي)، إنتِ مش عايزة تقوليلي ليه؟ هو أنا عمري سيحتلك على حاجة؟ حتى موضوع (سارة) اللي ماحدث يعرفه غيري عمري قلت عليه ل...»

قفزتُ من على الفراش واندفعت نحوها وصحت بغضب:

- «مش عايزاكي تتكلمي عن الموضوع ده ثاني، إنتِ فاهمة؟»

تراجعت وقالت وقد بدا عليها أنني أخفتها فعلاً:

- «أنا أكيد مش حاتكلم مع أي حد يا (ليلي)، أنا عارفة إنك كنتِ بتحبها بجد وهي ماكانتش يعني آآ ماكانتش زيك»  
صرخت فيها:

- «قلتلك ماتتكلميش في الموضوع ده ثاني»

تراجعت أكثر وقالت بصوتٍ مهزوز:

- «(ليلي)، بس، إنتِ بتخوفيني»

ظللت أنظر إليها بغضب.. لا ينقصني شعوراً بالذنب كي تذكرني هي بما حدث مع (سارة).. جلست على الفراش ودفنت رأسي بين يدي.. لحظات وشعرت بيدها تمسح على ذراعي لم أرفع رأسي في البداية، ثم أردتها أن تلاحظ أنني أبكي.. أحاطت هي كتفي بذراعها وضمتني إليها.. لم أستطع التحكم في نفسي أكثر من هذا، تعالَى صوت بكائي، لا أدري كم مر من الوقت، شعرت بها تمسح على شعري وتهدئني بكلمات لم

أسمعها لكنها أشعرتني بالراحة.. رفعت رأسي أخيراً فوجدتها تنظر إليّ وعلى وجهها ابتسامة رقيقة وقالت بصوت منخفض:

- «(ليلي)، لو عايزة تتكلمي أنا سامعاكي»

ترددت في أن أحكي لها.. لم أستطع أن أحكي لـ(حسين) رغم ثقتي فيه.. شيء ما منعني، يا إلهي، كم أشعر بثقل ما حدث على صدري، ثقيلة هي الأسرار.. لماذا لا يستطيع الإنسان أن يأخذ معه ما يعرفه إلى قبره؟.. شيء ما يدفعنا إلى البوح، كان الأسرار لا تريد أن تدفن هي الأخرى.. ولم تُدْفَن وهي غير فانية مثلنا؟.. لكم أتمنى أن أموت وأستريح من كل هذا.. سأحكي لها، ولتذهب الأسرار إلى الحجيم..

- «أنا حاسة بالذنب يا (سالي).. حاسة إني السبب في إن

(سارة) اتقتلت»

وضعت يدها على صدرها وبهت وجهها.. قلت:

- «(سالي)، أنا قتلتك إني قتلها إني بحبها وهي قالتلي مش

حينفع عشان هي مش بتتشد للبنات زيي.. بس أنا ماقتلكيش اللي هي قالتهولي بعد كده»

ضيقت حدقتيها وأومات برأسها.. تلك الفتاة تعلم كيف

تستمع هي الأخرى.. قلت:

- «هي حككت لي إنها بتحب واحد.. قالت لي إني شففته

قبل كده بس ماقتليش هو مين.. وقالتلي إنها بتتغذب عشان

هي بقت بتخاف منه.. وإنه بقى غريب، وبيتصرف بطريقة هي

مش فاهماها، وقالتلي إنها قررت تسببه مع إنها بتحبه قوي،

إنّ عارفة إنّي اتعرفت على (سارة) في الحفلات أيام ما كانت بتعزف مع الشلة القديمة بتاعتنا.. ممكن يكون حد فيهم ولاو لأ، مش عارفة»

ثم أخذت نفساً عميقاً في محاولة للسيطرة على مشاعري وقلت:  
 - «بعدها على طول اتقتلت.. أنا كنت الأول شاكة في (ياسمين)، بس لما افتكرت الموضوع ده اتأكدت إنه أكيد هو اللي قتلها.. أكيد ما عجبوش إنها تسببه كده، فجأة، من اللي هي حكيتهاولي أنا فهمت إنه أكيد مريض، ما حدش يخلي بنت قوية زي (سارة) تخاف إلا لو كان مريض، إنّي فاهماني؟»  
 كان وجه (سالي) قد تحول إلى الأبيض الآن وقالت بخوف:  
 - «طب أنت لازم تقولي لحد.. كده اللي قتل (سارة) ممكن يكون حد حوالينا واحنا ما نعرفش»

قلت وأنا على وشك البكاء مرة أخرى:

- «أقول لمين وأقول له إيه؟ إنّي كنت بحب واحدة وهي قالتلي لأ عشان بتحب واحد وحتسيبه عشان مجنون فقتلها؟ ولا أقولهم إنّي كنت بحبها وهي ما بتحبش البنات زي فيشكوا فيا إنّي أنا اللي قتلتها؟»

ثم تذكرت شيء فجأة.. يا لغبائي.. قلت وأنا أفكر:

- «(سارة) كانت في (طب).. هي أصغر من (أدهم)، ممكن أسأله إذا كان يعرفها أو يحاول يعرفلنا هي كانت مصاحبة مين»

- «يعني حتردي عليه؟»

---

تذكرت أنني لم أرد على مكالماته.. يا إلهي، ماذا أفعل؟..  
أحاطتني هي بذراعها وقالت:

- «(ليلي)، إنتِ مالكيش ذنب في اللي حصل ل(سارة).. هي  
ماقاتلكيش هو مين وانتي عندك حق إنك لو قلتني حتعملي  
لنفسك مشكلة وممكن ما حدش يوصل لحاجة.. ممكن يكون  
ما حدش كان يعرف اللي ما بينهم.. بصي، لما تقررني حتردي  
على (أدهم) ولا لأ ابقني اسأليه، بس مش بشكل مباشر، مين  
عارف»

أضاعت كلمتها شيء ما في عقلي.. (أدهم) في نفس الكلية  
مع (سارة)، (أدهم) يلعب الموسيقى أيضاً.. هل من الممكن أن..  
- «مالك؟»

أفقتُ من أفكاري ونظرت إليها باستغراب لوهلة ثم قلت:  
- «آآآ لأ، مافيش.. بفكر في اللي انتِ قلتيهولي.. عندك حق،  
لما (أدهم) يتكلم تاني حقوله إنني عايزة أشوفه وحسأله في  
وسط الكلام»

كان عقلي الآن يعمل بسرعة جبارة، فما أشك فيه الآن إما  
أن يكون وهماً وإما أنني هذه المرة قد أحببتُ شخصاً مختلفاً..  
أحبيتُ قاتل..



## «حسين»

- «كنت متأكد إن سيادتك حتشرفني ثاني»  
قلتها وأنا أبتسم محاولاً ألا يبدو على وجهي ما يعتمل بداخلي،  
فوجه الضابط (سيف) لا يحمل الكثير من الاضطراب النفسي  
واللامبالاة التي كان يحملها في المرة القادمة، بل كانت  
عيناه أكثر تركيزاً وأقل حركة.. يبدو أن الأمر خطيراً فعلاً  
هذه المرة، قال:

- «(ريهام محمود علواني).. حضرتك تعرف حد بالاسم ده؟»  
مطيت شفتي وقلت:

- «مش عارف حضراتكم ليه فاهمين إن في ناس ممكن  
تيجي هنا وتقول أنا اسمي كذا وشغال في الحنة الفلانية  
وعندي مرض نفسي.. نادر جداً أما حد ببيجي هنا ويقول اسمه  
الحقيقي»

أخرج شيئاً ما من الملف الموضوع أمامه على مكتبي وناولته  
لي.. كانت صورة.. صورة لفتاة تذكرتها بالطبع، فأنا لا أنسى  
مرضاي قط.. قلت له:

- «عارفها، جاتلي هنا مرة واحدة، قالتلي إن اسمها..»  
مد يده فجأة وسحب مني الصورة ووضعها في الملف مرة  
أخرى ثم قال:

- «إحنا عرفنا إنها فعلاً جتلك مرة احدة.. وعازب أعرف إيه

اللي قالتهولك بالحرف»

قلت بعصبية وقد بدأ هذا الضابط يثير أعصابي فعلاً:

- «يا (سيف) بك، أنا قلت لسيادتك قبل كده إن موضوع

سرية المرضى ده...»

صاح مقاطعاً إياي:

- «البننت دي تبقى أخت مرات مساعد وزير الداخلية، يعني

الموضوع أكبر مني ومنك بكثير»

ابتلعت ريقى وقلت وأنا أشعر بالتوتر يسري في جسدي:

- «أنا آسف يا (سيف) بك، بس لازم إذن النيابة»

بدا لوهلة أنه سينفجر فيّ، جحظت عيناه وازداد توتر زاوية

فمه وانقبضت قبضته حتى ابيضت أطرافه، لكنه لم يفعل.. هذا

الرجل لديه من الثبات الانفعالي ما يحسده عليه الكثير، رغم

أنني متيقن تماماً أن لديه مشكلة نفسية عضال.. نظر للمكتب

لفترة طويلة ثم رفع عينيه إليّ وقال:

- «أنا محتاج مساعدتك يا دكتور.. أنا عايز أفهم القاتل

ده بيقتل ليه.. أنا كونت نظرية مبدئية بس محتاج رأي خبير

زيك.. وعشان أعرف رأيك حاضطر إنني أقولك على تفاصيل في

القضية مش من المفروض إن حد برا الداخلية يعرفها دلوقتي،

في already تعتيم إعلامي عن الموضوع كله.. وأعتقد إن دي

مش أول مرة حد ياخذ رأيك في حاجة زي كده ومش محتاج

أقولك إن الكلام اللي حقولهولك ده مايطلعش لحد ثاني»

أومأت برأسي وبدأت أهدأ قليلاً.. سأقدم له كل ما يريد من

المساعدة، المهم أن تنتهي من هذا الأمر سريعاً.. قال:

- «دي تالت واحدة تتقتل بنفس الطريقة.. طعنات في البطن وفي المهبل.. دي أول مرة أقابل حاجة زي دي، وعاييز أعرف رأيك في موضوع الطعنات اللي في المهبل دي»

فكرت قليلاً وأنا أتصور الجريمة البشعة ثم قلت:

- «الجزء ده من جسم المرأة بيرمز للأنوثة، اللي يطعن واحدة في المكان ده بيقتل الأنثى اللي جواها قبل ما يقتلها.. هو كارهاها كأنثى وبما إن آآآ...»

توقفت أفكاري كلها فجأة..

توقفت كلها واتجهت إلى ذلك الزمن البعيد عندما كنت لا أزال أخطو أولى خطواتي في مجال الطب النفسي..

كيف نسيت هذه الحالة؟..

- «في حاجة يا دكتور؟»

التفتُ إليه فجأة كأنما قد أفقت لتوي من حلم ما.. لن أخبره بالطبع، قلت:

- «آآ آآ لأ، افتكرت حاجة كدا برا الموضوع»

نظر لي في شكٍ لوهلة فقلت وأنا أحاول ألا يبدو عليَّ شرود الذهن:

- «أنا آسف، وبما إن القاتل ده بيكره فيها أنوثتها لدرجة إنه يطعنها بسكينة في رمز أنوثتها ويقتلها، فده مالوش إلا حل من اتنين.. يا إما واحد بيكره الستات كره مرضي بسبب حاجة عملتها فيه واحدة ست، بالذات في مرحلة الطفولة، يا إما واحدة بتكره..»

وتوقفت مرة أخرى عن الكلام وأنا أشعر بالذكريات  
كأنما ترتطم برأسى من الداخل في عدة مواضع ، كما لو  
كانت تبحث في يأس عن منفذ للخروج فلا تستطيع :  
أفقتُ من ذكرياتي ونظرت له فوجدته ينظر لي والشك في  
عينيه يشتعل.. ابتعلت ريقى وقلت :

- «يا إما واحدة بتكره أمها أكثر ما بتكره أي حاجة تانية ،  
لدرجة إنها كرهت بسببها كل الستات»

ظلت نظراته كما هي مثبتتان على عينيّ حتى بدأ التوتر  
يسري في جسدي ، إلى جانب عقلي الذي لا يريد أن يمهلني  
بعض الوقت حتى أفرغ من هذه الجلسة مما زاد من اضطرابي..  
قال هو فجأة :

- «دكتور أنا حسألك مرة أخيرة.. في حاجة تعرفها ممكن  
توصلنا للقاتل؟»

ابتلعتُ ريقى مرة أخرى وقلت بصوت مختنق :

- «لأ»

- «دكتور (حسين) ، مش ملاحظ إنه غريب شوية إن كل  
حالات القتل دي الخيوط بتاعتها بتتجمع عندك؟»  
تراجعت في مقعدي.. ماذا يقصد؟ قام فجأة من مقعده وأمسك  
بالملف من على المكتب وقال :

- «حجيلك المرة الجاية ومعايا إذن النيابة يا دكتور »

ثم أتجه إلى الباب في خطوات سريعة..

وما أن خرج حتى فتحت الكمبيوتر الخاص بي وبدأت أبحث

وقلبي يتواثب داخل صدري.. استغرقت وقت طويل حتى وصلت  
في النهاية إلى الملف الذي كنت أبحث عنه.. استمررت فيما  
أفعله حتى وجدت الرقم الذي أردته وخطيته في ورقة أمامي ثم  
أغلقت الكمبيوتر.. وأمسكت الورقة في يدي وأنا أفكر..  
سأقوم غداً بتلك الزيارة التي أجلتها لما يقرب من عشر  
سنوات كاملة..

سأقوم بها وأنا أدعو الله أن تكون شكوكي في غير محلها..  
فمعنى ما أفكر فيه الآن أن تلك القضية القديمة قد عادت  
للظهور مرة أخرى..

وكم يثير هذا خوفي..

كيف بعد كل هذه السنوات؟..

كيف؟..



## «أدهم»

استنشقت الهواء شبه النقي في ذلك الصباح.. النادي لم يمتلئ  
بعدُ بالبشر، هذا جيد، فلا أريد أن أرى مخلوقًا الآن.. أغمضت  
عيني وتركت الهواء البارد يرتطم بوجهي..

- «إزيك يا (أدهم)»

عرفت صوتها على الفور.. فتحت عيني والتفتُ إلى الصوت..  
وها هي أمامي، جميلة مثل الصباح البكر.. خائنة مثل  
مثيلاتها من العاهرات..

..(مي)

نظرتُ إليها طويلاً.. لم يخفق قلبي مثلما كنت أتوقع أن  
يحدث إذا ما رأيته.. وها أنا أتساءل: كيف أحببت هذه الفتاة  
من الأساس؟.. ظللت أنظر إليها وكرهي إليها يزداد مع كل  
لحظة تمر.. قطبت حاجبيها وقالت بصوت رأيت في وقت ما من  
قبل أنه رقيق:

- «أنا ماشفتكش بقالي كتير»

قلت لها وأنا أشعر أن قبضتاي تنقبضان رغماً عني:

- «عايزة إيه؟»

بدا الأسى على وجهها وقالت وكأنها على وشك البكاء وإن  
كنت لم أعد أصدق انفعالاتها:

- «أنا عارفة إنك أكيد بتقول علياً إن أنا زبالة، بس انت ماتعرفش اللي حصل.. ماما هي اللي...»

قلت مقاطعاً إيَّها وقد بدأ الغضب يظهر في صوتي:

- «مش عايز أسمع حاجة، إنتِ و(كريم) لايقين على بعض، وأمك كمان، شوية مُدعين.. إنتم مش أكثر من كده.. ماكانش ينفعش غير إنكم تكملوا مع بعض، أنا اللي كنت غلطان من الأول لما افكرت إنك ممكن تطلعي حاجة تانية غير أمك، والحمد لله إني شفتمكم يومها وعرفت من الحمار اللي انتِ مخطوباله بدل ما كانت تيجي منك انتِ.. كانت حتبقى صعبة عليا قوي»

رأيت الدموع تملأ عينيها.. كان من الممكن في وقت ما ألا أسامح نفسي لأنني أنا سبب هذه الدموع، لكنني الآن أشعر براحة لم أشعر بها منذ فترة طويلة.. دائماً ما يحدث موقفاً ما، وأفضل في قول ما أريد، ثم أتذكر الموقف بعدها وأعيده في سري وقد تصرفت بطريقة أخرى، طريقة مُتلى، فقط ليهدأ عقلي الباطن قليلاً.. وها أنا ذا، الآن، ولأول مرة، أتصرف مثلما كنت أريد بالضبط..

ولأول مرة أيضاً سأفعل ما أردت أن أفعله منذ أن وقعت عيناى عليها منذ دقائق قليلة.. القيتُ نظرة محتقرة عليها ثم تركتها ورحلت..

وللمرة الأولى أيضاً أرى أن العالم ليس بهذا السوء مثلما كنت أظن منذ قليل..



## «سيف»

- «معاليه مستتي حضرتك ، ممكن سيادتك تدخل دلوقتي»  
التفتُ إلى مدير مكتبه وأومأت برأسي ثم قمت واقفاً وأنا  
أعدل من ياقة قميصي بحركة لا إرادية وتقدمت تجاه مكتبه  
وطرقت الباب ثم انتظرت حتى سمعت صوته الجمهوري يطلب مني  
الدخول ثم فتحت الباب ودخلت وأغلقت خلفي في رفق..

لم أدخل هذا المكتب من منذ أن تولى هو منصبه.. كان  
يجلس خلف المكتب الضخم الذي يحتل جزء كبير من منتصف  
الحجرة الفسيحة ، حوائط الغرفة مجلدة كلها بالخشب بندقي  
اللون ، وكانت الستائر مُسدلة على النوافذ فأعطت -مع إضاءة  
الأباجورة الضخمة الموضوعة في الركن- جواً من الرهبة غير  
المحبة ، لا أعرف إن كان يقصد بالفعل خلق هذا التأثير الذي  
يتركه مرأى الغرفة للوهلة الأولى في نفوس من يدخلها ، لكنه  
نجح بالتأكيد في إثارة الرهبة في نفسي ، أنا الذي كنت أعتقد  
منذ أيام أنني قد فقدت القدرة على الإحساس من الأساس..

كان ينظر في ملف ضخم موضوع أمامه.. أشار لي بيده أن  
أقترب دون أن ينظر إليّ.. تقدمت نحو المكتب ثم توقفت على  
مسافة متر واحد منه ورفعت يدي بالتحية العسكرية.. قال هو  
بصوته المهيب:

- «ها ، وصلت لأيه؟»

رفعت عيني أتأمل البراويز العديدة المعلقة خلفه والتي تحوي بداخلها شهادات التقدير التي حصل عليها خلال فترة خدمته في الداخلية ثم عدت أنظر إليه.. لست أدري لماذا لدي اعتقاد أن أي رجل يصل لسن الأربعين دون أن يتدلى كرشه أمامه لهو رجل جدير بالدراسة.. كنت أتأمل ملامحه الوسيمة برغم عمره الذي قارب على الخامسة والخمسين، شعره الأشيب المصفف جيداً وقوامه المتناسق الذي لا أعرف كيف يحافظ عليه.. أنا أجد في الطعام متعة حقيقية، إن لم يكن المتعة الوحيدة المتبقية لدي في الحياة، لذا أنا واثق تماماً أن من يتخلى عن لذة الطعام من أجل أن يبقى رشيقاً؛ يمكنه أن يفعل أي شيء آخر.. تتحننت لأسلك حنجرتي ثم قلت محاولاً اختيار كلماتي:

- «إحنا عرفنا سيادتك إن المرحومة كانت بتروح لدكتور

نفساني»

رفع عينيه عن الملف الذي أمامه وقطب حاجبيه وقال:

- «دكتور نفساني؟»

قلت:

- «أيوا معاليك، هي راحت له مرة واحدة بس.. أنا راحت للدكتور ده بنفسي وحاولت أعرف منه تفاصيل أكثر عن الزيارة دي، بس هو رفض وطلب إذن النيابة عشان يدينا الشرايط اللي عليها تسجيل الجلسة، ممكن جداً يا فندم تكون قالت له حاجة تتفعنا في القبض على القاتل.. معاليك عارف إن البنات في السن ده بيروحوا للدكاترة النفسيين غالباً عشان يفضفضوا

---

بحاجات ماينفعش يقولوها لحد تاني، خصوصًا إنها استخدمت اسم مستعار وما قالتش اسمها الحقيقي للدكتور»

شرد ببصره قليلًا ثم نظر إليّ وقال:

- «ماشي يا (سيف)، سيب اسم الدكتور وعنوانه برّه وأنا حتأكد بنفسي إن التصريح ده حيكون معاك بكره.. في أخبار تانية؟»  
قلت له:

- «إحنا في انتظار تقرير الطب الشرعي معاليك.. المفروض يطلع خلال ساعتين بالكثير.. ممكن يكون المرة دي في أي آثار سابها القاتل»  
قال على الفور:

- «والجريمتين اللي قبل كده؟»

هزرت رأسي وأنا أشعر أنه سيلومني على عدم إحراز تقدم وقلت:  
- «لسا معاليك، إحنا استجوبنا كل الناس اللي قريبين من القتيلة الأولى والثانية ولغاية دلوقتي لسا ما حطيناش إيدينا على حاجة صلبة»

ظل ينظر لي بنفس النظرة المتعالية التي تحمل الكثير من الكره غير المبرر ثم قال لي وهو ينظر في الأوراق الموضوعة على مكتبه مرة أخرى:

- «ماشي، روح دلوقتي وبلغني أول بأول وصلت لإيه»

رفعت يدي بالتحية العسكرية ثم اتجهت إلى الباب وغادرت وأنا أفكر في القضية التي إما ستتسبب في أن أجد قاتل الثلاث فتيات في ما يقل عن ٢٤ ساعة أو أن يتوقف مستقبلي في الوزارة عند هذا الحد..

## «ياسمين»

- «وأنا عايضة ماكياتو، يبقى كده أميريكانو بلاك  
وماكياتو»

هزّ النادل رأسه في أدب وذهب لإحضار ما طلبناه، التفتُ  
إلى (أدهم) الجالس أمامي ناظرًا إليّ وفي عينيه الكثير من  
التساؤلات.. ابتسمت له ابتسامة حاولتُ قدر المستطاع ألا تبدو  
صفراء وقلت:

- «دي أول مرة نخرج مع بعض، يعني، حسيت إني محتاجة  
أتكلم مع حد شوية، الباند بقى واخد كل وقتي تقريباً لدرجة  
إني ساعات بحس إني ماعنديش وقت أفكر حتى»  
ظل ينظر لي دون أن يتكلم.. قلت له:

- «إنتَ عارف إن (ليلي) مابتردش على مكالماتي خالص  
بقالها يومين؟ أنا كلمتها في البيت مامتها قالتلي إنها بايئة عند  
واحدة صاحبتها، أعرفها بس ماليش كلام معاها قوي، مش  
عارفة أعمل إيه»

لم يرد أيضاً، بدأت أشعر بقدمي تهتز واختفت الابتسامة عن  
وجهي، أمسكت بعلبة سجائري وأخرجت سيجارة وأشعلتها  
بأصابع مرتجفة ثم أخذت نفساً وحبسته داخل صدري لثوانٍ ثم  
زفرته وقلت له:

- «(أدهم) إنتَ بتحب (ليلي)؟»

ظل ينظر لي طويلاً حتى ظننتُ أنه لن يرد ثم قال أخيراً :

- «لأ»

نظرت إليه باستغراب.. لم أتوقع مثل هذه الإجابة الصريحة ،  
أخذ يعبث بمفاتحه الموضوعية على المنضدة وقال :

- «أنا مش عايز (ليلي) ، مش عايز اللي تحسني إني مش  
فاهم هي عايزاني ولا مش عايزاني ، أنا تعبت من العلاقات اللي  
بالشكل ده ، تعبت إني أفضل أفكر كل يوم حتسيبني امتي..  
أنا مش عايز أحس الإحساس ده تاني»

لسبب لا أدريه شعرت أنه صادق فيما يقول عن خوفه من أن  
يتعذب مرة أخرى ، لكنني صرت أعلم تماماً أيضاً من كلماته  
أنه يجيها.. آه من ضعف الحب هذا.. لو عادت إليه (ليلي) الآن  
سيرحب على الفور ، بل وسيرقص قلبه طرباً لعودتها.. قال وهو  
يشرد بصره بعيداً :

- «(مايا) كان عندها حق في اللي هي قالتهولي.. أنا و(ليلي)  
فعلاً ما ننفعش لبعض ، هي غيري في كل حاجة ، وأنا مش  
حقدر أسعدها ولا حبقي سعيد معاها»

كنت أعلم تماماً أن (مايا) قالت له هذا ، لكنني لن أخبره  
بالطبع..

قلت وأنا أحول دفة الحديث :

- «(أدهم) ، أنا طلبت إني أقابلك النهارده عشان كنت عايزة أتكلم  
معاك شوية.. (أدهم) إنت بقيت أهم حد في الفرقة دلوقتي وبهمني إن  
كل شيء يبقى واضح عندك ، بالذات من ناحيتي أنا و(ليلي)»

أخذت نفساً عميقاً من السيارة وزفرته للجهة الأخرى كي لا يضايقه الدخان ثم نظرت له وقلت:

- «أنا و(ليلي) في إشاعات كثير بتطلع علينا ، إننا يعني ، lesbians ، بس الإشاعات دي مش صح ، أنا و(ليلي) صحاب مش أكثر ، كل الحكاية إني بخاف عليها أوي عشان هي صاحبتني ، وعشان عارفة إنها كثير بتاخذ قرارات غلط وتقدم عليها بعد كدا»

سحبت نفساً آخر من السيارة ووقلت وأنا أراقب وجهه الذي صار جامداً وإن كنتُ أشعر أنه بداخله يشتعل ، وقلت:

- «وزي ما هي صاحبتني وبخاف عليها ، زي ما انت بقى ليك معزة كبيرة أوي عندي ، ده غير إني زي ما قلت لك إنك بقيت أهم واحد في الفرقة ، وأكيد يهمني إن أهم واحد ده يبقى مستقر نفسياً ومايدخلش في علاقة فاشلة ، أو بمعنى أصح أنا واثقة إنها حتفشل لأنكم غير بعض تماماً ، فالعلاقة دي تخليك تسيب الباند بسبب إنك مش عايز تشوف (ليلي) تاني مثلاً»

قطب حاجبيه ونظر للجهة الأخرى.. ثم عاد ينظر إليّ بعينين مألهما الحزن ، هممت بقول شيء ما إلا أن جرس هاتفه الموضوع على المنضدة رنّ في تلك اللحظة ، وقعت عيني على شاشة الهاتف ولمحت اسم (ليلي).. أمسك هو بهاتفه على الفور وقلبه على الناحية الأخرى وأسكت الجرس ، بدا عليه التفكير لحظات ثم قال لي وهو ينهض:

- «ثواني وحرجعلك»

---

ثم اتجه إلى باب الكافيه وهو يضع الهاتف على أذنه..  
شعرت بالدم يصعد إلى رأسي.. كان معي حق إذن، كل  
الكلام الذي قاله عن أنه سأم من الأسى والعذاب الذي يعانيه  
في الحب، ومحاولتي تلك في إقناعه أنه و(ليلي) لن يمكنهما  
التفاهم سوياً، كل هذا ذهب مع أول محاولة من (ليلي)..  
يبدو أنني سأحتاج هذه المرة إلى شيء أكبر مما فعلته في  
المررة السابقة..



## «ليلي»

- «أنا مش فاهم أي حاجة ، انتِ ماكنتيش بتردي على تليفوناتِي ، وكلمتيني فجأة قلتيلي عايزة أشوفك ، ودلوقتي رايعين على مكان مش عايزة تقوليلي هو فين.. ممكن تفهميني في إيه؟»

قالها (أدهم) بعصبية وهو جالس بجواري في سيارتي.. كنت أنوي أن أقول له بالفعل على وجهتنا قبل وصولنا لكن يبدو أنه لن يصبر حتى أرتب ما سأقوله له في رأسي.. لم أتدرب على قول شيء كعادتي ، سأقول ما تفتق إليه ذهني الآن وليكن ما يكن.

- «(أدهم) ، أنا في حاجة ماقلتلكش عليها.. أنا بروح بقالي فترة لدكتور نفساني»

رماقته بنظرة جانبية فوجدت عيناه مثبتتان على وجهي وهو عاقد الحاجبين.. نظرت للطريق مرة أخرى وأكملت:

- «أنا حكيت له عليك يا (أدهم) ، وهو قال لي عايز يشوفك»  
ظلّ صامتاً.. نظرت إليه مرة أخرى فوجدته ينظر عبر النافذة على يمينه ، قلت له:

- «إنتِ ما بتردش ليه؟»

ظل صامتاً لفترة أطول ثم قال بهدوء:

- «إنتِ ما طلبتيش رأيي ، إنتِ already رايحة للدكتور دلوقتي»

أتفهم تماماً غضبه مما أفعل لكن ما لدي من الشكوك يجعلني أتصرف بهذه الطريقة، من الجائز جداً أنه كان سيرفض الذهاب إلى الطبيب لو كنت قلت له قبل هذا.. مددت يدي ووضعتها على رسغه فأزاح يدي والتفت لي وقال بعصبية:

- «(ليلي) أنا معنديش أي مشكلة مع إنك تروحي لدكتور نفساني، أنا نفسي كنت بروح لدكتور نفساني، بس عندي ميت مشكلة مع إنك تمشيني كده زي الخروف مش عارف حاجة، تظهرني وتختفي زي ما انتِ عايزة، أنا عملتلك إيه عشان كل ده؟»

سألته عمّا أهمني في كل ما قاله:

- «إنتِ كنت بتروح لدكتور نفساني ليه؟»  
قال بعصبية شديدة:

- «ده اللي انتِ سمعته من كل اللي قلتهولك؟ ده أنا ماسألتكيش انتِ بتروحي ليه لما قلتيلي إنك بتروحيه!»  
أعلم تماماً أن لديه حق في ما قاله.. فكرت لوهلة ثم قلت:

- «أنا حكيت له عنك عشان أنا مش فاهمة نفسي، مش فاهمة أنا حاسة ناحيتك بإيه؟ إنتِ عارف، في أغنية لـ(نانسي عجرم) فيها حته بتفكرني بيك دايمًا، (نفسني أعرف بس إيه يربطني بيك)»

قال على الفور:

- «(حاجة أكبر من الغرام شدتني ليك)، عارف الأغنية، بس انتِ أكيد تقصدي النص الأول بس، مش كده؟»

لم أرد ، ولم يتكلم هو مرة أخرى.. ظللنا صامتين حتى وصلنا إلى العيادة فأوقفت سيارتي.. تبادلنا نظرة سريعة ثم هبطنا من السيارة واتجهنا إلى البناية التي تقع فيها العيادة..

كنت أريد بشدة أن أسأله الآن عن (سارة) وما إذا كان يعرف من الذي كانت على علاقة به ، لكنني آثرت أن أؤجل هذا السؤال لما بعد الزيارة.. أريد أن أرى ملامح وجهه عندما يتلقى السؤال ، أريد أن أعرف بعيني إن كان يكذب وهو يرد أم لا..

فلننهي هذه الزيارة أولاً ثم سأنتهي هذا الموضوع..

وللأبد..



## «حسين»

ظللت أنظر إليهما وأنا أشعر أنني قد شخْتُ فعلاً..  
شاب وفتاة في مقبل العمر، كل منهما يُكنُّ مشاعر إلى  
الآخر.. لعنتُ نفسي في سري على الفكرة التي قلتها لـ(ليلي)..  
ما كان يجب أن أضع نفسي بينهما بأي شكل وتحت أي سبب..  
لن أضمن تماماً أن يكون رأيي محايداً وأنا أتمنى أن تنتهي هذه  
العلاقة الآن وأظفر أنا بـ(ليلي)..  
ألهذا الحد قد يصل الحب؟..

حاولت ألا يبدو على ملامحي ما أشعر به ورسمت على وجهي  
ابتسامة يعلم الله كيف نجحت في وضعها على وجهي من  
الأساس وقلت:

- «(ليلي) لو تحبي تسيبينا أنا و(أدهم) شوية وتستتينا في  
الـcatering room.. أول أوضه على اليمين، في ماكينة قهوة  
هناك، أنا عارفك بتحبي القهوة»

أومأت برأسها وتبادلت نظرة معه ثم اتجهت إلى الغرفة الأخرى..  
التفت (أدهم) إليّ وعلى وجهه بدت تساؤلات لا حصر لها.. لم  
أمنحه وقتاً أطول للتفكير.. التقطت ورقة بيضاء في حجم اليد  
من أمامي وخطيت فيها شيئاً سريعاً ثم وضعتها أمامه وقلت:

- «قبل ما نبتدي، أنا عايزك يا (أدهم) تكتب هنا ثلاث  
حاجات ترد بيها على السؤال اللي في الورقة دي، اكتب اللي

فكرت فيه وحط الورقة مقلوبة قدامك، وبعد ما نخلص كلام مع بعض عايزك تبص عليهم تاني، ولو لسا مقتنع باللي كتبته إدي الورقة دي لـ(ليلي) أول ما تدخل»

مد يده وأمسك بالورقة وقرأ ما فيها ثم رفع عينيه إليّ وفيهما تجلّت أمارات عدم الفهم.. بالتأكيد لا يفهم ما أقصده، سيعرف كل شيء في حينه.. تردد للحظة ثم مد يده والتقط القلم الموضوع أمامه وبدأ يكتب دون حتى أن يفكر.. هذا جيد.. أريد ما يراه الآن لدرجة أن يكتبه دون تردد.. انتهى من الكتابة بالفعل ووضع الورقة مقلوبة أمامه.. ابتسمت له ثم قلت:

- «كلمني شوية عن (ليلي)»

كان يبدو عليه أنه سلّم أنه قد أتى هنا ليتكلم، حتى لو لم يُرد ذلك، قال:

- «مشكلتي مع (ليلي) إنها...»

قاطعته قائلاً:

- «لو بدأت الكلام بكلمة مشكلتي معاها يبقى مش حنوصل لحاجة»

قال بعصبية شديدة:

- «أنا عايز أعرف أنا بعمل إيه هنا بالضبط، لو كانت (ليلي) قالتلي من الأول إني حاجي معاها هنا ما كنتش رضية، ممكن تفهمني بقى إيه اللي بيحصل بدل ما امشي دلوقتي حالاً»

انتظرت قليلاً لأعطيه فرصة للهدوء، ثم قلت:

- «أنا طلبت من (ليلي) إنها تجيبك معاها الجلسة دي عشان

هي حكت لي حاجات كتير تخليني أخاف إن يحصلها انتكاسة لو دخلت في علاقة غلط في الوقت ده، أنا عارف إنك أكيد حتبقى عايز الخير ليها عشان كده فيه حاجات لازم نتكلم عليها النهارده، ولو معترض، مافيش مشكلة ممكن تمشي، بس خليك متأكد إنك ماساعدتهاش عشان تعدي المرحلة اللي هي فيها دي»  
ظل ينظر لي لوهلة، تركته تماماً حتى أوماً برأسه.. تراجعت في كرسيي وقد أعلن بإيماءته تلك أنني صرت المتحكم في الجلسة قلت:  
- «الإمكانيات بتتطور مع التشجيع، وبتقل تماماً مع النقص.. الحب قدرة، إمكانية ممكن برضو تزيد وتقل مع المدح.. عشان كده في المرحلة اللي (ليلي) مش قادرة تاخذ قرار إذا كانت تحب ولا لأ، لازم يبقى تقبلك ليها طالع من قلبك، ولازم كمان تبقى سخي أوي في مدحك ليها، فاهمني يا (أدهم)؟»  
قال بعصبية:

- «دي كدبت علياً وخلّت واحدة صاحبته ترد عليا في التليفون وتقول لي إنها عملت عملية في عينيها ومش عارفة ترد عليا»  
- «حتى لو عملت غلطات في الوقت ده، ما تلفتش نظرها لغلطاتها بشكل مباشر، خليها تحافظ على شكلها قدام نفسها، هي دلوقتي بتدور في كل حته عشان تفهم نفسها، شجعها على كده واستحملها، حاول تديها سمعة كويسة قدام نفسها، قولها مثلاً: (ليلي) اللي بيعجبني فيها إنها دايمًا صادقة، عمرها ما بتضحك عليا، خليها تبقى نفسها تكون زي ما أنت بتقول، إتكلم على عيوبك أنت الأول قبل ما تتكلم على عيوبها،

حتتقبل منك بعد كده، وحتتغير»

- «ماحدث بيتغير»

قلت على الفور:

- «أنا موافقك، بس انت مش بتحاول تغييرها، يمكن أنا خاني التعبير، إنت بتدور جواها على حاجة حلوة متغطية، موجودة فيها بس متغطية»

كنت أحاول أن أجعله يهتم بها ويظهر لها هذا الاهتمام.. هذا ما تحتاجه هي الآن.. هناك مقولة قديمة أنك تستطيع أن تصنع صداقات في شهرين عن طريق اهتمامك بالناس أكثر مما يمكنك أن تصنعه في عامين بمحاولة جعل الناس تهتم بك!.. يؤلمني أنني أحاول أن أجعلها سعيدة مع شخص آخر، لكني أحاول جاهداً أن أجعل (حسين) الطبيب هو من يتواجد في هذه اللحظة.. رأيت وجهه يلين قليلاً وبصره يشرد، قلت:

- «دي الطريقة الوحيدة في التعامل مع (ليلي)»

نظرتُ في ساعتِي، كدت أن أنسى ذلك الموعد، يجب أن أتحرك الآن.. قلت:

- «أنا كنت عايز أتكلم معاك أكثر من كده، إحنا اتكلمنا عن (ليلي) بس وما تكلمناش عنك، المرة الجاية عايزك تيجي معاها برضو، بس عايز أقعد معاك أكثر من كده.. ودلوقتي، ممكن تقلب الورقة وتبص فيها تاني، وتقولي لسا موافق عاللي كتبته فيها ولا لأ؟»

أوماً برأسه دون أن يقلب الورقة.. ناديت على (ليلي) فظهرت

---

على باب الغرفة وتقدمت نحونا وفي يدها كوب ورقي تفوح منه رائحة القهوة، ابتسمتُ لها وقلت:

- «أنا كنت طلبت من (أدهم) إنه يكتب ثلاث حاجات عايزها تتغير فيكي قبل ما نتكلم، وإنه يبص عليها تاني بعد ما اتكلمنا ويشوف هو لسا موافق عليها ولا غير كلامه.. هو ماغيرش كلامه، ممكن تديها الورقة، مش عايزك تقولي كتبت فيها إيه، عايزها هي اللي تقرأها»

وأشرت للورقة فالتقطها هو وناولها إيَّاها بابتسامة.. خطفتها منه على الفور وقرأتها واللهفة ظاهرة في عينيها، ثم ابتسمت واحمررت وجنتيها قليلاً لأول مرة منذ أن رأيتها ونظرت إليه.. لم أرَ في عينيها هذه السعادة من قبل.. قالت وهي تنظر إليه:

- «ولا حاجة، أنا بحبها زي ما هي»

خفق قلبي.. فلتسعددها إذن أيها التَّعَس أو لأقتلنك إن لم تتجح في إبقاء تلك الابتسامة في عينيها.. قلت لهما وأنا ألتقط بعض الأشياء من على المكتب:

- «أنا حانزل بعدديكم على طول عشان عندي مشوار مهم.. مستتيكم انتم الاتنين المرة الجاية.. خدوا بالكم من بعض تبادلوا النظرات ثم غادرا سوياً وتركاني وحدي.. ولأول مرة منذ فترة طويلة جداً أجد عيني تدمعان.. لماذا أشعر أنني لن أراها مرة أخرى؟»



## «سيف»

ظلمت أنظر إليه ، مغلقة العينين كان ، رأسه على المكتب ،  
صحت :

- «طبعاً مش حتقول لي مين اللي عمل كده ، صح؟ وما  
رضيتش تقولي (ليلى) أو (ريهام) أخت مرات اللوا (رضوان)  
قالولك إيه ، المفروض أعرف من مين؟ ها ، من مين؟»  
رفعتُ عيني فوجدت الجميع أعينهم مثبتة على وجهي ، أدت  
عيني في وجوههم فعاد كل منهم لما كان يفعله ، كلهم عدا  
(إبراهيم) الذي قطب حاجبيه وقال:  
- «(سيف) باشا ، مش شايف سيادتك إنه حبيقي صعب شوية  
يرد عليك؟»

ظلمت أنظر إلى (إبراهيم) ثم عدت أنظر مرة أخرى إلى  
(حسين) ذلك الطبيب النفسي.. أحياناً أشعر أن (إبراهيم) على  
حق..

فكيف سيرد عليّ الطبيب ورأسه موضوع على المكتب  
بينما جسده ممدداً بجوار المكتب على الأرض؟!..

- «إحنا قلبنا العيادة سيادتك.. مافيش أي أثر لأي شرايط  
تسجيل ، سيديها ، مافيش أي ورق أو مذكرات ، الكمبيوتر  
مش موجود ، مافيش أي بيانات تماماً»

أشرتُ إلى المكتب بجوار رأس الطبيب وقلت:

- « طيب هو ساب الكيبورد والماوس ، كتر خيره والله»

بدت العصبية على صوت (إبراهيم) وهو يقول:

- «إحنا في الأول قلنا إننا حطينا إيدنا على نمط بيتكرر،

واحد مختل ويقتل الستات بطريقة شبه ثابتة ، لكن دلوقتي

راجل اللي اتقتل ، وراسه مقطوعة ، صحيح في طعنات برضو في

البطن بس النمط اتغير ، كدا ممكن يكون في قاتل تاني أو

حد بيحاول يوهمنا إن في قاتل تاني»

قلت وأنا أشعر أنني أكاد أجن:

- «النمط ماتغيرش ولا حاجة ، ومافيش قاتل تاني.. (حسين)

حلقة وصل في كل جرايم القتل اللي فاتت ، فيما عدا (سارة)

اللي في الأول.. (ليلي) و(ريهام) كانوا ببيجوا هنا ، الموضوع

مش حيخرج برا حد من العيال دول برضو»

- «(سيف) باشا»

التفتنا إلى أحد رجال البحث الجنائي الذي وقف ممسكاً

في يده بورقة صغيرة موضوعة في إحدى الأغلفة البلاستيكية

الخاصة بجمع الأدلة ومدّها ناحيتي وقال:

- «الورقة دي لقيناها تحت المكتب.. دي الورقة الوحيدة

تقريباً اللي لسا في المكتب.. ممكن القاتل يكون ماخذش

باليه منها ، قلت أكيد سيادتك عايز تبص عليها قبل ما نحطها

مع باقي الأدلة التانية»

نظرت له في غيظ.. كأنما يوجد أدلة أخرى من الأساس..

التقطت الكيس البلاستيكي من يده واقترب (إبراهيم) مني

ليرى ما بها..

كانت ورقة ملاحظات قابلة للالصق ، sticky note عادية ، وقد  
خط عليها الآتي:

٢٠٠٨-٢٣٦٤ أ ح د

تأملت الورقة محاولاً فهم فحواها ثم ناوتها لـ(إبراهيم) الذي  
نظر فيها هو الآخر ثم رفع عينيه إليّ وبدأ عليه عدم الفهم.. قلت:  
- «عايزين نتأكد الأول إذا كان ده خط الدكتور، وبعد  
كده نشوف ممكن الكود ده يكون له علاقة بملف معين  
عنده، لو الملفات بتاعته كانت لسا هنا كنا ممكن عرفنا ،  
وممكن مايكونش حاجة ليها علاقة بالقضية عموماً بس أدينا  
بننفخ في الزبادي»

وقلت وأنا ألقى نظرة أخيرة على جسد (حسين) المسجى بلا  
رأس أمام المكتب:

- «وكالعادة، لو لقيت المرة دي أي بصمات ولا أي زفت سابه  
القاتل بلغني فوراً»

ثم التفتُ إلى رأس الطبيب مرة أخرى وقلت:

- «غبي»

ثم أمام عيونهم التي باتت متأكدة من أنني مختلاً عقلياً  
تماماً، اتجهت للباب لأغادر عيادة الطبيب..

- «(سيف) باشا»

توقفت قبل وصولي للباب مباشرة والتفتُ لمصدر الصوت..  
كان رجل آخر من رجال المعمل الجنائي، اقترب مني في

خطوات سريعة وقال:

- «النوتة دي لقيناها في جيب البالطو بتاع الدكتور»

مددت يدي بسرعة لألتقطها ، لكنه سحبها فجأة فرمقته بنظرة صارمة وهممتُ بأن أصب عليه جامَ غضبي ، إلا أنه قال بسرعة وهو يبحث في جيبِ وزرة العمل المصنوعة من البلاستيك المرن التي تغطي جسده كله:

- «معلش ، سيادتك بس لازم تلبس جوانتي عشان البصمات ،

سيادتك حتبص فيها وهي مش محطوطة في كيس من بتوع الأدلة»

ثم أخرج من جيبه قفاز مطاطي ناولني إياه ، ارتديته بسرعة وأنا أنظر إليه فأشاح بوجهه وهو يتحاشى نظراتي ، ثم جذبتُ النوتة من يده بعصبية وبدأت أقرأ ما بها..

ظلمتُ أقرأ وأتصفح حتى وصلت لنهايتها ، رفعت عيني عن النوتة أخيراً وشردت لبعض الوقت وأنا أفكر فيما كتب فيها ثم التفتُ إلى رجل المعمل الجنائي وقلت له وأنا أضغط على حروف كلماتي وأشعر بعيني تكادان تغادران محجرهما من فرطِ الجحوظ:

- «النوتة دي ، تخلصوا شغل عليها ، بصمات بقى والحاجات

بتاعتكم دي ، وتجيبهالي على طول ، ماتحطهاش مع الأدلة قال يعني في أدلة أصلاً ، فاهمني؟.. النهارده تبقى عندي»

أوماً الرجل برأسه وبدا التوتر جلياً على وجهه ، ثم ابتعد ليكمل ما يفعله..

ظلمت واقفاً أفكر مرة أخرى فيما كُتب في النوتة، ثم خلعت  
القفازين من يديّ وألقيت بهما في سلة مهملات وجدتها بجواري،  
ثم اتجهت للباب وغادرت العيادة في هدوء لا يعكس أبداً ما  
يعتمل بداخلي..



## «سيف»

سأقبض عليهم جميعاً وأضعهم في الحجز حتى يعترفوا ،  
بل وسأجعل (جابر) يعرفهم «بطريقته» أن الاعتراف أحياناً قد  
يخلصهم من الكثير من الأشياء التي لا قبل لهم بها.. سأوصي  
عليهم أيضاً في الزنزانة حتى يتم عمل «تحية» تليق بمكانتهم  
كأطباء في المستقبل، وليروني كيف سيتناسون ما حدث  
معهم فيما تبقى لهم من العمر..

كنت أجلس مستنداً برأسي على يديّ واضعاً رسغيّ على  
المكتب، ومتخيلاً أمامي كل من كان في تلك الرحلة المشؤومة  
وهم سيكون ويترجونني أن آخذ اعترافاتهم حتى أخلصهم مما  
هم فيه حين سمعتُ طرقات على الباب، رفعت رأسي وانتظرت  
قليلاً ثم أذنت للطارق بالدخول فانفتح الباب واندفع (إبراهيم)  
إلى الداخل حاملاً في يده ورقة، رفعت عيني إلى وجهه فوجدت  
قطرات العرق على جبينه وفمه مفتوح قليلاً وعينيه زائفتان بعض  
الشيء.. هي مصيبة جديدة إذن، لم يعطني هو فرصة للاستنتاج  
وقال بطريقة سريعة وهو يمد يده إليّ بالورقة:

- «تقرير الطبيب الشرعي وصل بتاع (ريهام) أخت مرات  
(رضوان) بك»

ظلت أتابع عينيه المثبتتان على الورقة ثم مددت يدي لألتقطها  
وأنا أتصور مئات الاحتمالات لما يمكن أن يحمله التقرير،

أخذت نفساً عميقاً ثم نظرت في التقرير..

لم يأخذ الأمر مني أكثر من دقيقة لأمد يدي وأخطف  
الجاكت المعلق على ظهر الكرسي وأندفع خارج المكتب..  
الطرفة، السلم، باب السيارة، ثم ها أنا ألتهم الشارع التهاماً،  
كاسراً في طريقي كل ما يمكن كسره من قواعد المرور..  
وها أنا ذا أخيراً أمام الباب..

اندفعت إلى داخل المشرحة حتى وصلت إلى باب حجرة  
التشريح ففتحتها لأجد (حلمي) الطبيب الشرعي عاكفاً على  
تشريح جثة لرجل يبدو أنه رأى أياماً أفضل، رفع رأسه إليّ ثم  
أزال الغطاء عن فمه وأنفه وبدا في عينيه نظرة غضبي، يبدو  
أنه لم يعجبه أن أقتحم المكان هكذا، همّ بقول شيء ما  
لكنه توقف عندما وجدني أندفع نحوه وتبدلت النظرة في عينيه  
لتحل محلها الخوف، وقفت على مسافة النصف متر منه ورفعت  
التقرير أمام وجهه ثم قلت بعصبية شديدة:

- «إيه اللي مكتوب في التقرير ده؟»

نقل بصره بيني وبين التقرير، ثم خلع القفازات الطبية من  
يديه وألقاها في النفايات، وأمسك بالتقرير وألقى نظرة عليه في  
توتر ثم رفع عينيه إليّ وقال بصوت مهزوز:

- «أنا كنت عارف إن سيادتك حتيجي أول ما يوصلك التقرير

ده، بس ما كنتش...»

قاطعته صائحاً:

- «مش حنقعد نرغي، اشرح لي اللي مكتوب ده»

---

بدا في عينيه الغضب وعدل من وضع عويناته فوق أنفه ثم مط  
شفتيه في استياء وقال:

- «أنا عارف إن الموضوع غريب بس مايستدعش الطريقة  
اللي حضرتك بتكلمني بيها دي.. الجثتين اللي أنا شرحتهم قبل  
كدا والجثة دي الطعنات اللي فيها قريبة جداً من بعض، بس في  
مابينهم اختلافات جذرية»  
صحتُ بغضبٍ هادر:

- «أنا مش بقولك إقرالي التقرير، أنا بقولك اشرحلي إيه  
الاختلافات دي بعد إذن جنابك أهو عشان ما تقولش إني بكلمك  
بطريقة وحشة»

ظل ينظر لي للحظات بخوفٍ ثم ابتلع ريقه وعدل من منظاره  
مرة أخرى على أنفه وقال:

- «بالنسبة للطعنات اللي في البطن فتقريباً ما فيش غير فرق  
طفيف في عمق الطعنة، وده يدل إن القوة اللي استخدمت المرة  
دي أكبر، أو بمعنى أصح القاتل أقوى المرة دي، الحاجة الثانية  
هي الطعنات اللي في المهبل.. في الجثتين الأولانيين الطعنات  
تمت قبل الوفاة، بعد الطعن اللي في البطن على طول، وده يدل  
برضو إن القاتل فاهم تشريح إلى حد ما وعارف إن الطعنات دي  
مش حتبقى مميتة في لحظتها وإن القتيلة الأولى والثانية كانوا  
حيجسوا بكل طعنة.. الطعنات اللي في المهبل في الجثة الأخيرة  
تمت بعد الوفاة، ده لأن الطعنات اللي في الجزع كانت أعمق في  
الكبد وأقوى وأدت لنزيف مفاجئ ووفاة شبه لحظية، وعشان

كده الطعنات اللي بعد كده كانت بعد وفاة الجثة»

صحَّت فيه:

- «وده معناه إيه يا دكتور؟»

جفَّف العرق الذي بدأ يتكون على جبينه وقال:

- «معناه إن في قاتل تاني بيحاول يوهمنا إنه هو هو نفس

القاتل في الحاليتين اللي في الأول.. أنا منكرش إن الطعنات

قريبة جداً من اتجاه الطعنات في الحاليتين الأولانيين، بس لولا

قوة الطعنة كانت مختلفة ما كناش عرفنا إن...»

اقتربتُ منه بشكل أكبر فتراجع للخلف وتوقف عن الكلام

فصحَّت فيه:

- «معناه إن بما إن الاختلافات اللي ما بينهم طفيفة ففي حد

كان عارف اتجاه وشكل ومكان الطعنات يا دكتور، ما حدش

كان حيعرف يعمل كدا إلا إذا أطلع على التقرير، وده معناه إن

تقرير التشريح اتسرب.. قول لي بقى انت أديت التقرير ده لمين»

ظل ينظر لي بنفس نظرة الخوف في عينيه ثم قال فجأة بغضب:

- «أنا مسمحلکش إنك تقولي حاجة زي كدا أنا...»

أمسكته فجأة من ياقته ودفعتة حتى ارتطمت رأسه بالحائط..

ظهر الرعب في عينيه وأنا أنظر فيهما على مسافة شديدة القرب

من وجهه فقال بصوت مهزوز تماماً:

- «آآ أنا لو كنت سربت التقرير زي ما بتقول ما كنتش

قلت إن في اختلاف، كنت كتمت المعلومة وقلت إن هو نفس

القاتل، كدا كدا ما حدش كان حيعرف ولا يراجع ورايا»

كان ما يقوله منطقياً.. برغم من أن شكّي لا يزال في محله من وجهة نظري على الأقل، وإلا فمن أين أتى هذا القاتل الجديد بتفاصيل الطعنات؟.. إلا أنه هو -على الأقل- كان يمكن فعلاً أن يخفي كل هذا، ولن يعرف أحد..

تركت ياقته وتراجعت للوراء، أخذ هو يعدّل من ياقة قميصه فقلت له وأنا أحاول البحث عن تفسير ما :

- «في حد ثاني ببص على التقارير دي قبل ما تبعتها المديرية؟»

نظر لي في غضبٍ وهو لا يزال يعدل من هندامه وقال بعصية: - «لأ، حتى المساعد بتاعي مالوش دعوة بالتقرير النهائي، أنا بطلب منه حاجات معينة يعملها وبس، إنت بنفسك عارف إن أنا بقالي ٢٥ سنة في الشغلانة دي وعمر ما معلومة واحدة طلعت من عندي، وأعتقد إننا اشتغلنا مع بعض كثير أوي عشان تشك فيّ من الأساس.. إنت محتاج تهدى شوية، من الواضح إن الشغل خلّاك مابقيتش طبيعي» لا أحتاج إليه ليخبرني أنني لست طبيعياً.. ليس هذا وقت التفكير في ذلك.. إن لم يكن هو من سرّب التقرير فمن فعل؟ بالتأكيد شخص ما قد أطلع عليها قبلي وقبل (إبراهيم).. أعتقد أن وقت مغادرتي قد حان، وسأطلب من (إبراهيم) أن يأتيني بأسماء من استلمت تلك التقارير في المديرية حتى وصلت إلي.. وبخطواتٍ سريعة، غادرت المشرحة تاركاً الطبيب خلفي يلعن اليوم الذي اختار فيه هذا العمل..



## «وليد»

سرتُ بجانب (أدهم) في الشارع في طريقنا إلى المقهى وأنا أستمتع بصمته إلى أقصى درجة.. لا أريده أن يسأل ولن أحترم نفسي كثيراً إذا كذبت عليه إذا سأل.. لم أخبره أننا بصدد أن نقابل شخص ما ، أحد أصدقائي القدامى الذين كفوا أن يكونوا كذلك ، والذي قابلته مصادفة ليلة أمس.. لن أخبره بالطبع ما حكاة لي ، سأدعه هو من يخبره بنفسه وسأدعو الله أن يمر الأمر كما خططت..

وصلنا أخيراً إلى ذلك المقهى في سموحة ، والذي يضع كراسيه بجانب الرصيف في منتصف الشارع ، وطلبنا كوبيين من القهوة بالحليب وجلسنا صامتين نشاهد السيارات التي تمر بأعجوبة دون أن تدهسنا ونحن نسد الطريق بهذا الشكل الذي يميز المقهى!

لم يمض الكثير ووجدت صديقي الذي أنتظره يقف أمامنا ويشير للنادل ليحضر كرسيًا وهو يعبث بيده الأخرى في السلسلة الفضية السميكة التي تحيط برقبتة وتظهر من قميصه ذو الأزرار المفتوحة حتى منتصف البطن.. وما أن أحضر النادل الكرسي حتى جلس وطلب كوبًا من الشاي وقال وهو ينقل بصره بيني وبين (أدهم) الذي كان ينظر إليه في تساؤل:

- «منورين!»

قمت بتعريف كلٍّ منهما على الآخر، وأخذنا ما يقرب من  
الربع ساعة في كلام عام عن أحوال البلد وأشهر ما تناقلته  
السوشيال ميديا ، ثم قلت لـ(أدهم):

- «اسكت، مش المعلم إمبارح كان بيحكيلي على بنت  
كده يعرفها معاه في الكلية، الباشا في تجارة، ويعجبك في  
موضوع البنات، مش خيبة زي حالتنا»

ظهرت ابتسامة واثقة على وجه صديقي ونظر لي (أدهم) في  
عدم فهم فركلته في ساقه أملاً في أن يفهم أن المطلوب منه  
أن يسمع لما يقوله دون أن يسأل أسئلة غبية، ثم قلت لصديقي  
بحماس:

- «كنا بنتكلم أنا وأخوك (أدهم) إمبارح وكنت عمال أقول  
له إنه عادي إنه ياخذ مقلب في واحدة شايفها كويسة وهو بيقول  
لي إنه سهل إنك تعرف لو واحدة بتشتغلك وبتبينلك شخصية غير  
شخصيتها.. أخوك (أدهم) كان عايز يخطب (ليلي)، وانتَ  
عارف، ده جواز يا معلم ولو لبس حيلبس forever، انتَ كنت  
حكيتلي على الموقف اللي حصل ما بينكم امبارح بالصدفة،  
فأنا عايزك، بأمانة، تقول لـ(أدهم) رأيك في (ليلي)، مش عيب،  
لأنك ممكن تتقذ أخوك من إنه يلبس اسود»

كان وجه (أدهم) يتغير خلال كلامي ووضع يديه على مسند  
كرسيه كأنما يستعد للرحيل.. وضعت يدي على رصفه وأومأت  
له كي يهدأ قليلاً ويستمتع..

أمس، عندما سمعت ما سمعت من صديقي هذا، كنت قد

اتفقت معه بشكل ما على هذه الجلسة وهو يعرف دوره جيداً ، بل ونجحت إلى حد كبير في إقناعه بعِظْم دوره وبكيفية أن الله قد وضعه في طريقي أمس كي ينقذ (أدهم) من زيجة سيئة.. تراجع (أدهم) في كرسيه وإن كانتا قبضتيه قد انقبضا بشدة وظلت ساقه التي تهتز ترج المقعد الذي أجلس أنا عليه، مدّ صديقي يده ليعبث في سلسلته الفضية مرة أخرى ومط شفتيه وهو ينظر لنا ثم قال:

- «بص يا باشا ، (ليلي) و(ياسمين) صاحبتهما دول معايا في الكلية، الكلية كلها حضرتك بتقول عليهم شمال، بالمعيدين، بالدكاترة، بالطلاب، بتتوع الكافيتيريا، بالأمن، يعني، ما شاء الله، ممكن تقول في إجماع على كده»

وصل الشاي الذي طلبه صديقي فأخذ يمزح مع النادل لوهلة بسبب خسارة نادي الزمالك حتى احمراً وجه النادل وابتعد في عصبية، ثم أخذ رشفة من الشاي وقال وعيني (أدهم) مثبتتان على وجهه:

- «الناس كلهم تقريباً عارفين إن (ليلي) و(ياسمين) بيضطبطوا بعض، يعني، انت فاهمني، (ياسمين) ما شاء الله مكلمة على المود ده وما بتغيروش، البت المسترجلة اللي مالهاش في الرجالة، تقريباً هي الذكر اللي في العلاقة المهيبة دي، بس (ليلي) ماتعرفلهاش بقى»

وحكّ جانب رقبته بيده الأخرى وشررد ببصره كأنما يتذكر ثم قال:

- «(ليلي) بتحب العيال الشمال، اللي بيهزروا بسفالة شوية،

---

وبتقول على العيال المحترمين اللي معانا إنهم عيال طرية ،  
وبتموت في الهزار بالإيدين ، حكيك كده موقف حصل ما  
بيننا أول امبارح»



قلت لها وأنا أنظر إليها من الخلف :  
- «البنطلون ده حياكل من... مشيها منك ، حياكل منك حته»  
التفتت إليّ بوجهها فقط فتموج شعرها القصير وابتسمت في  
شقاوة وقالت بدلال :

- «أقلعه؟»

- «يا ريت»

ظهر غضب طفولي على وجهها وقالت :  
- «لأ ، المفروض ماتقولش كدا ، المفروض تقول لأأأأأأ ،  
زي مسرحية الواد سيد الشغال»  
«أكذب يعني؟»

عبثت بلسانها داخل فمها وابتسمت في سخرية وقالت وهي  
تضع يدها في جيدها :  
- «إنت سافل على فكرة»

ابتسمت بسخرية ، ثم اقتربت منها وأحط وسطها بيدي وقربت  
وجهي من وجهها ثم قلت :

- «بما إني سافل بقى ، ما تقويلي كدا انت بتحلوي ليه يا  
بت انت؟»

مطت شفيتها وابتسمت وقالت دون أن تبتعد:

- «نخف لمس شوية من هنا ورايح، ها؟»

ظللنا هكذا لثوانٍ، ثم دارت لتفلت يدي من حولها وقالت

وهي تبتعد:

- «وحاول متبصش عليا وأنا ماشية، شافاك»



أخذ صديقي رشفة أخرى من كوب الشاي وقال ببساطة دون

أن يشعر بتأثير ما قاله:

- «بس يا سيدي، يعني، حاجات بقي كدا طول الوقت»

التفتُ إلى (أدهم) فوجدت أن وجهه قد صار بلون الدم، وإن

ظل صامتاً، نظر صديقي في ساعته ثم شرب ما بقي في كوب

الشاي على دفعة واحدة وقام واقفاً وقال:

- «أنا خالع بقي، واحد صاحبنا مستتيني ومعاه ستافة عالية

قوي، باشا، أنا أسف، بس لما تخلع في البدري بدري كدا

أحسن ما تلبس واحدة لا مؤاخذة لا سمح الله، واحمد ربنا إني

كنت بحكي ل(وليد) بالصدفة امبارح وقطع عليها، ابن حرام

برضو الواد ده مايفرکش إنه دكتور وكدا»

ابتعد في خطواتٍ سريعة فالتفتُ إلى (أدهم) الذي كان لا

يزال على نفس وضعيته، كنت أعلم أن الموقف بالغ الصعوبة

لكني أعرف (أدهم) تماماً وأعلم أنه لم يكن ليصدق إلا إذا

حكى له أحدهم ما رآه بنفسه.. قلت:

- «بص يا (أدهم) أنا...»

---

رفع رأسه فجأة وفي عينيه نظرة أخافتني.. نظرة تحمل غضب الدنيا كلها ، لم أكمل ما كنت أنوي أن أقول.. قال هو بصوت خافت وبنبرة بطيئة لا تنتمي لتلك النظرة في عينيه:

- «أنا ساعات بتخيل إنني بقتل كل الستات اللي أعرفهم عشان العالم يستريح من الشر اللي فيهم ده»

بهتُ لسماعي لما قاله وابتلعت ريقى وأنا أنظر إليه وقد عجز لساني عن الرد.. تغلبت على نفسي أخيراً وهممت بقول شيء ما يلطف ما يشعر به ، لكنه قام واقفاً فجأة وابتعد في خطوات سريعة..

فكرت أن أذهب خلفه لكني أثرت أن أبقى ، فهو في أمس الحاجة الآن لأن يكون بمفرده حتى يطوي تلك الصفحة الأخرى التي لم تبعد كثيراً عما سبقتها..



## «أدهم»

لم أمش منذ فترة كبيرة مثلما مشيت الليلة ، كانت ساقاي تسوقاني كأنما صارت لهما إرادة خاصة بهما ، لم يعد لعقلي سيطرة على خطواتي تقريباً ، ولم أرد حتى أن أسيطر عليها ، فلتذهب بي حيث تذهب ، فلم يعد لأي شيء معنى ، حتى الأماكن..

يبدو أنني صرت كالحمار الذي يعلم كيف يعود لبيت صاحبه إذا تركه وذهب ، لا أدري كم مرّ من الوقت ووجدت أنني قد وصلت إلى البيت ، أنا فعلاً لا أستحق أكثر من هذا التوصيف.. حمار.. فتحت الباب واتجهت إلى تلك الحجرة التي آمل أن أجد فيها الملاذ الذي أتمناه.. ولم تمر ثوانٍ قليلة حتى بدأت أعزف بالفعل.. يبدو أنني قد غرقت في تلك المعزوفة حتى أنني لم ألحظ أنها تجلس بجانبني.. لأول مرة منذ أن وعيت على الدنيا تقريباً أجدها تجلس بجانبني وأنا أعزف..

أمي..

مدت يدها ووضعته على رسغي فتوقفت عن العزف ، لكنني لم ألتفت إليها ، ظللت أنظر إلى الأصابع البيضاء والسوداء التي لم تكف عن احتوائني منذ زمن طويل.. لم أرَ حتى الآن آلة موسيقية تخدع صاحبها وتسمعه نغمات لم يعزفها هو.. لا يوجد هنا كره أو عنف.. قالت هي بصوتٍ منخفض:

---

- «ولو إنك مش حتوافقني لو قلت لك بس أنا كان نفسي أبوك يبقى موجود دلوقتي»

لم أرد ، وإن كنت أوافقها تمامًا في أنني غير راضٍ عمّا تقول.. أكملت هي:

- «أنا عارفة إنه كان قاسي ، عليا ، وعليك ، أنا فاهمة إن أنت مابتحبوش عشان هو اللي خلاك تدخل طب ، وحاول إنه يكرهك في البيانوده ، أنا مش حنكر برضو إنني كنت موافقاه ، وإنني عمري ما حبيت البتاع ده برضو ، كنا شايفينك حاجة كبيرة ، وما كناش عايزينك تبقى غير الحاجة دي»

ظلت عيناى مثبتتان على الجسد الأبنوسي اللامع.. ما زالت لا تفهم أي شيء ، مع درجتها العلمية المرموقة ما زالت لا تفهم أي شيء.. حقًا ، هناك فرق كبير بين العلم والثقافة ، وفرق أكبر بين أن تفهم وأن تشعر.. وشتان بين الاثنين ، تمنيت أن تصمت الآن وتذهب إلى غرفتها ، لكنها لم تفعل للأسف..

- «أنا لسا فاكرة يوم ما مات ، يومها بالليل أنت فضلت تعزف المقطوعة اللي كنت بتعزفها يوم ما قتلتي إنك رجعت تعزف تاني ، فضلت تعزفها مرة واتنين وتلاتة لغاية ما أنا ماستحملتش ، دخلت قلتلك كفاية وزعقت وصرخت ، أنا عارفة إنك ما بتتساش يا (أدهم) ، وعارفة إنك لسا زعلان مني لغاية دلوقتي عشان الموضوع ده».

وكيف لي أن أنسى؟.. كانت وفاته صدمة بالنسبة لي بالطبع.. ذلك الدكاتور المرعب الذي يسيطر على كل

مَن حوله ، ثم فجأة لم يعد هناك.. انتهى.. شعرت وقتها بنفس إحساس الحجر الذي ظلَّ مربوطاً طوال الوقت في خيط في يد أحدهم يديره بسرعة فيبقى على مسافة ثابتة منه ، ثم انقطع هذا الخيط فجأة.. شعرت وقتها بكل ما قيل لي من قبل عن القصور الذاتي.. سأتجه في أي اتجاه كان ، لكن بعيداً عن المركز الذي كنت أدور حوله.. ولكنها خاطئة في أنني ما زلت غاضب منها لهذا السبب ، ما زالت لا تفهم..

- «أنا آسفة يا (أدهم) ، أنا آسفة إنني كنت قاسية أنا كمان عليك يومها وسيبتك وانتَ كنت محتاجني جنبك ، بس انتَ أكيد فاهم أنا كنت حاسة بإيه وقتها»

وكان هذا أقصى ما يمكنني تحمله.. التفتُ إليها ، يبدو أن عينيَّ كانتا تشتعلان غضباً؛ لأنها تراجعت قليلاً إلى الخلف وبدا في عينيها الخوف.. قلت أنا وقد شعرت أنني قد صمتُ وقتاً أطول مما ينبغي:

- «كنت محتاجك جنبى يومها؟.. أنا كنت محتاجك جنبى طول عمري ، كنت محتاجك تقفي قصاده ، كنت محتاج آجي أستخبي في حضنك ، لكن لأ ، ليه أعمل دور الأم اللي كل الأمهات بتعمله؟.. لازم أبقى مختلفة ، لازم الدكتوراه ماما تبقى مش زي الأمهات الثانية»

ظَلَّت تنظر لي ولم ترد ، وإن كان الأسى قد بدا متجلياً على وجهها.. شعرت بغضبي يزداد من ذلك الانطباع على وجهها.. أليس متأخراً قليلاً أن تشعري بالأسى الآن؟.. قلت وقد قررت ألا أتوقف عن الحديث:

- «إنتِ فاكِرةِ يومِ ما القَطِ مات؟»

رفَعَت يديها وغطت فمها بأصابعها وتضاعف الخوف في عينيها.. كم أتمنى أن تكون لديّ ذاكرة مثلها لا تبقى فيها الذكريات أكثر مما تبقى لدى السَّمَك.. ذلك التصالح النفسي في أن ما مرّ قد مرّ ولن يفيد في شيء.. كم أحسدها.. أكملت وقد قررت أن أذكرها بكل ما حدث:

- «كان عندي قد إيه وقتها؟ ست سنين؟ سبع سنين؟ صحيت يومها لقيت القَطِ اللي كان عندي نايم وما بيتحركش، قعدت أهز فيه عشان يقوم، وفجأة الباب يتفتح ويدخل بابا ويبص للقط ويبصلي ويقول «إنتِ اللي موّته»، ويشدني من شعري ويضربني، وأنا أقول له أنا ما عملتلوش حاجة، أنا ما قربتلوش، أنا كنت بهزه بس عشان يقوم من النوم، مارضيش يسمعني وأخذني لغاية الأوضة اللي احنا فيها دلوقتي دي وقفل عليا الباب.. فاكِرة؟»

ظلت أصابعها على فمها وانهمرت دموعها على خدها، لماذا لم أعد أشعر بأي شيء نحوها؟..

- «قعدت أخبط على الباب عشان يفتحلي، أنا كنت عارف إنك سامعة كل حاجة ومارضيتيش تفتحيلي، خفتي منه مش كده؟»

ازدادت نظرة الأسى في عينيها ولم ترد، أكلمتُ أنا وقد سرّني أن أرى دموعها:

- «أنا ما كنتش فاهم يعني إيه موت ساعتها، فضلت أعيط، وأفكر، وصدقت ساعتها إني أنا اللي موّ القَطِ فعلاً وفضلت

أتأسف وأقول إني مش جعل كدا تاني.. مش فاكر قعدت قد إيه، بس لما ابتديت أتلفت في الأوضة وأدور على أي حد يبقى معايا عشان ماخافش، مالاقيتش غير البيانو بتاع جدو، اتشعبطت لغاية ما عرفت أطلع على الكرسي وفتحت الغطا وبانت لي الصوابع البيضا والسودة دي، ماكنتش عارف أعزف حاجة، بس صوته حسسني إني مش لوحيد، زي ما يكون في حد بيتكلم معايا، ومن يومها وهو الوحيد اللي بحس إنه يفهمني.. متخيلة؟ الجماد ده بيحس أكثر منكم»

علا صوت بكائها، لا، لن أتوقف الآن، انتظرت تلك اللحظة طوال عمري كله.. قلت:

- «فتحلي بعدها بكثير، كنت قاعد على البيانو، شدني من على الكرسي وقال لي إني لو طلعت دكتور حاقدر أخلي اللي حصل للقط ده ما يحصلش تاني، كنت حعرف أخلي القط يصحى، قعد يكلمني عن قد إيه إنك تبقى دكتور دي حاجة كبيرة وعظيمة، زيه، أنا ماكنتش عايز أبقى زيه، ماكنتش عايز أبقى ما عنديش قلب كده، بس ما كنتش عايز حد يموت تاني ومعرفش أعمل حاجة»

أخذت نفساً عميقاً وأنا أتخيل أحداث ذلك اليوم كأنها تحدث أمامي الآن وقلت:

- «يوم ما مات حسيت إن كل اللي أنا عملته غلط، مات وماعرفتش أعمل حاجة، ماعرفتش أخليه ماي موتش، حسيت بنفس يوم القط، دخلت استخبيت في الأوضة دي وفضلت أعزف، لغاية ما انت جيتي زعقتي وقلتي لي كفاية وإنك مش قادرة

تستحملي اللي أنا بعزفه.. انتِ اللي مش قادرة تستحملي، مش  
كده؟»

كان صوت بكائها يغسلني من الداخل، أنا آخذ حقي أخيراً  
بعد كل تلك السنوات.. أكملت:

- «وأنا جوه الأوضة هنا يومها فضلت أفكر إذا كنت فعلاً  
أنا اللي موّت القط ولا لأ، لغاية دلوقتي في حاجات بتحصلي  
وأنا مش عارف إذا كنت ما عملتهاش فعلاً ولا زي يوم القط لما  
مات، أنا اللي عملتها بس مش فاكِر، زي (مايا) كده، أنا مش  
عارف إذا كنت أنا اللي قتلتها فعلاً ولا لأ»

رفعت عينان مذعورتان إليّ.. يا للمتعة التي أشعر بها الآن..  
لا بد وأنها تتساءل في داخلها الآن إن كانت تجلس في مكان  
واحد مع قاتل بالفعل، قاتل قتل القط وتلك الفتاة على الأقل، ولا  
يذكر إن كان فعل هذا بالفعل أم لا، قلت:

- «أنا يومها ما كنتش عايز أروح، ركنت العربية عند البيت  
وفضلت أمشي وأمشي وأنا حاسس بصداع رهيب، بعدها فقط  
لقيت نفسي مرمي على الأرض ومتبهدل، معرفش أنا عملت إيه،  
معرفش وقعت ولا اتكعبلت ولا دخت، معرفش حاجة، جيت  
على البيت عرفت بعدها إن هي ماتت»

كنت أشعر بضربات قلبي الآن، أنا فعلاً لا أذكر أي شيء،  
ولا أعرف إن كنت قد فعلت هذا فعلاً أم لا.. ثم ماذا عن (سارة)؟  
هل قتلتها هي الأخرى؟ سألتها:

- «تفتكري أنا اللي قتلتها فعلاً زي ما قتل القط؟»

أجهشت بالبكاء في تلك اللحظة وعلا صوت نحيبها ، ثم  
اندفعت فجأة خارج الغرفة واتجهت لغرفتها.. تابعتها ببصري حتى  
اختفت ثم قمت من مقعدي واتجهت إلى باب الغرفة فأغلقتة ، ثم  
عدت وجلست أمام البيانو..  
وبدأت أعزف مرة أخرى..



## «إبراهيم»

كنت شاردًا تمامًا وأنا أقرأ الموجود بالملف للمرة الرابعة تقريبًا فلم ألاحظ إلا وأنا بداخل حجرة مكتب (سيف) بالفعل.. أجفلت وتراجعت للوراء، وجدته ينظر لي بلا مشاعر على وجهه كعادته، قلت بارتباك:

- «أنا آسف يا فندم، أنا بس كنت عايز أبلغ حضرتك باللي وصلت له فما أخذتش بالي إلا وأنا...»

أشار لي بسأم أن أتقدم نحو المكتب فقطعت ما كنت أقوله واتجهت نحوه ووضعت الملف على مكتبه فنظر إليه ولم يقترب منه ثم رفع عينيه إليّ وهو يمط شفثيه في تساؤل كأنني بالتأكيد لن أقدم له الجديد، فأشرت إلى الملف وقلت:

- «الرقم اللي كان مكتوب على الورقة اللي لاقيناها في مكتب الدكتور، أنا دورت ورا الرقم ووصلت إنه رقم ملف في الأحداث»

ضيقٌ حدقثيه وظل ينظر إليّ، يبدو أنني قد أثرت اهتمامه بشكلٍ أو بآخر.. أكملت:

- «الملف ده من سنة ٢٠٠٨، يعني بقاله عشر سنين دلوقتي، دي قضية قديمة، حادثة زي كذا كانت المفروض تبقى معروفة في كل مكان بس من الواضح إن وقتها اتعمل تعميم إعلامي عليها.. بنت هي، طفلة قتلت أمها، واتحطت في الأحداث

وقتها ، أبوها كان رجل أعمال كبير وقدر بعلاقاته إنه يثبت إنها عندها مرض نفسي ، طلعت من الأحداث ودخلت مستشفى أمراض نفسية خاص وبعد كده خرجت ، وكلمتهم وعرفت إنه سَفَرها بره عشان تتعالج في إنجلترا وصفى هو كل أعماله هنا وسافر معاها ، وأخبارهم اتقطعت تماماً من ساعتها»

كان شارد الذهن تماماً ، لست في مزاج الآن لأن يسألني عن شيء مما قلته للتو أو أن يطلب مني أن أعيد ما قصصته عليه ، لكنه قال دون أن يتغير الشroud على وجهه ودون أن ينظر إليّ:

- «اسمها إيه البنت دي؟»

مددت يدي إلى الملف الموضوع على مكتبه ونظرت فيه سريعاً ثم قلت:

- «اسمها (أروى) سيادتك ، أ...»

انتفض وقاطعني صائحاً:

- «(أروى)؟!»

ثم اتسعت عيناه بشدة وهو يشرد ببصره ، ثم مدّ يده فجأة وفتح درج مكتبه وأخرج منها نوتة صغيرة ألقاها على المكتب تجاهي ، نظرت إليها في عدم فهم ثم التقطتها وبدأت أتصفحها.. إنها تلك النوتة التي وجدها رجال المعمل الجنائي في جيب (حسين)..

لم تحن الفرصة كي أتحدث مع (سيف) عمًا وجده مكتوبًا فيها ، وها هي الآن بين يديّ..

بيدو أن هذه كلمات حسين ، ملاحظاته التي كتبها عن

مريضة تسمى (أروى)..

(أروى)؟!..

رفعت عيني إلى (سيف) لوهلة ثم عدت أكمل القراءة..  
التهمت عيناى كل ما كُتِبَ حتى توقفت عند تلك الصفحة ،  
والتي كتب فيها : «(أروى) بدأت تثق بي ، كان حدسي صحيحًا ،  
اسمها الحقيقي (ليلى)»..

رفعتُ عيني مرة أخرى إلى (سيف) وقلت:

- «(ليلى)؟!»

أوماً برأسه فعدت حاجبي وأنا أفكر ، ثم قلت:

- «بس أكيد في حاجة غلط ، (أروى) اللي قتلت أمها دي

تبقى (أورى سعد الدين إدريس) ، أبوها يبقى...»

ارتفع حاجباه وقال مقاطعاً إياي:

- «(سعد الدين إدريس) بتاع الأسمنت؟ ، تصدق عمري ما

سألت نفسي هو اختفى فين؟ وعمري ما سمعت عن القضية دي

من الأساس ، الموضوع ده حصل في القاهرة صح؟»

أومات برأسي ، ثم قلت وأنا أفكر في هذا الكم من

المعلومات الذي صار يناقض بعضه:

- «بس أنا واثق إن (ليلى) ما تبقاش هي بنت (سعد الدين) ،

إحنا عملنا تحريات عنها وعرفنا مين أبوها وأمها زي ما سيادتك

عارف.. أنا مش فاهم حاجة»

أغمض عيني به قوة وبدا الألم على وجهه وأمسك جانب رأسه

بيده، وقال:

- «مين عارف يا (ابراهيم)؟ مش ممكن مش بنتهم واتبنوها مثلاً بعد اللي حصل؟.. محتاجين نعرف معلومات أكثر يا (ابراهيم)، أنا لما اتكلمت مع (حسين) كان قالي إن اللي قتل ده ممكن يكون واحدة بتكره أمها، فموضوع إننا لقينا واحدة قتلت أمها دي تبقى القضية متركبة عليها»

ظل مغمضاً عينيه في ألم فقلت:

- «سيادتك تعبان ولا حاجة؟»

فتح عينيه ونظر إليّ بنظرة زجاجية، ثم قال بصوتٍ خافت:  
- «آآآ لأ، صداع بس بيجيلي بقالي فترة، المهم، عايزك تكلم القاهرة وتجيلي ملف القضية دي على طول، آآآ انت قتلتى كان عندها كام سنة ساعة ما القضية دي حصلت؟»

قلت:

- «١٠ سنين يا فندم»

أمسك برأسه مرة أخرى ثم قال:

- «يعني دلوقتي عندها عشرين سنة يا (ابراهيم)، يعني نفس عمر (ليلي) تقريباً.. بس برضوه مش المفروض إن (سعد الدين) وبنته لسا برا مصر؟ (إبراهيم)، حاول تعرفلنا هي كانت بتتعالج في مستشفى إيه في إنجلترا، ممكن عن طريق المستشفى نعرف هما عايشين فين أو وصلوا لإيه دلوقتي، مين عارف، جايز المعلومة دي هي اللي تحللنا القضية»

قالها وأغمض عينيه وظل ممسكاً برأسه فأيقنت أنه الوقت

---

المناسب للرحيل ، فاتجهت للباب دون أن أقول شيئاً ، وغادرت  
وأنا أفكر في كمّ المعلومات الذي بين يدينا الآن ، وفي كم  
المعلومات الذي يجب علينا الحصول عليه..  
ودعوت الله في سري ألاّ تحدث جريمة قتل أخرى في تلك  
القضية التي صارت كالكابوس..



## «ياسمين»

- «إنتِ متأكدة إنك عايزة تلعبى اللعبة دي؟»  
قلتها ونظرت لـ(ليلي) التي كانت تجلس أمامي على الفراش وهي تشني تحتها ساقها وتنظر لي في ثبات ثم قالت:  
- «آه، أنا خلاص، عايزة أعرف إذا كنت اتعلمت فعلاً ولا لأ»  
تأملت ملامحها الجامدة التي يظهر فيها الحزن بالرغم من تظاهرها بالثبات وقلت:  
- «أنا بقالي فترة بشوف معاكي كتب علم نفس، فرصة عشان أعرف أنتِ بتقري على الفاضي ولا طلعتي بحاجة من الهبل ده»  
شردت ببصرها وقالت:  
- «اللي أنا كنت بتعلم منه خلاص، يعني لو متعلمتش حاجة يبقى مش حتعلم تاني»  
عمّن تتحدث؟ لا أفهم.. سألتها:  
- «هو مين ده اللي كنتي بتتعلمي منه؟»  
نظرت لي وفي عينيها نفس النظرة الشاردة ثم ابتسمت في محاولة منها لإخفاء ما بداخلها على ما أعتقد ثم قالت:  
- «نبتدي؟»  
أومأت برأسي مع أنني واثقة أن ما نحن بصدد أن نفعله لن يوصلنا لشيء.. أخذت هي نفساً عميقاً ثم قالت:

- «أنا سألت نفسي كثير إيه اللي خلاني كده، أنا وانتِ.. وصلت في الآخر إن الموضوع مش حيخرج برا البيت.. (ياسمين)، إنتِ يمكن ماكلمتتيش عن أمك الله يرحمها تقريباً، إنتِ قلتيلي إنها ماتت وانتِ صغيرة، وانتِ عندك عشر سنين تقريباً وقتها، بس عمرك ما حكيتي عنها ولا قلتيلي ماتت إزاي، بس أنا قدرت أكوّن فكرة عنها، ممكن أقولها لك؟»

خفق قلبي عند ذكرها لوالدتي، وأومات برأسي كي تكمل حديثها، فقالت:

- «مافيش ست مش مقتنعة بوظيفتها كأم وشايفها أقل من الوظائف الثانية ودفن لطموحها وأحلامها حتعرف تبقى أم.. مش حتقدر تفهم ولادها، وترعاهم، وتبقى حنينة عليهم، مش حتعرف تخليهم يحسوا بأهميتهم، ولو الطفلة اللي عندها دي بنت، الطفلة دي حتكره إنها اتولدت ست من أول ما تبتدي تدرك اللي حواليتها، وإحساسها بكُره نفسها كأنثى حيزيد مع الوقت طول ما هي شايفة أمها قدامها حاسة بكده»

تسمرت عيناى على عينيها.. هل فعلاً لم أحك لها شيئاً عن أمي؟.. لقد بدأت (ليلي) تخيفني بالفعل.. ابتلعت ريقى وظللت أنظر إليها، لا بد أنها فهمت أنها قد أصابت وترًا حساسًا؛ لأن شبح ابتسامه ظهر على ملامحها وقالت بنفس الطريقة السردية التي تجعلك تريد أن تسمع المزيد، والتي لم أسمعها تتحدث بها من قبل:

- «ومع ازدياد الشعور بالنقص عند الطفلة دي وإحساسها بإنها كائن أقل في المجتمع، حتبتدي تتمنى إنها كانت ولد، وحتحاول تقلد الولاد في كل حاجة، الحرية اللي المجتمع

الشرقي بتاعنا بيديها للولاد ويسحبها من البنات بمنتهى الأريحية، حتشرب سجائر، مخدرات، خمرا، حتشتم بصوت عالي، حتلبس لبس شبههم، ومع الوقت، ومع نظرات الناس، حتعرف إن عندها أسلحة مش عند الولاد، حتعرف إنها ممكن تتفوق عليهم حتى، فحتبتدي تبين الأنثى اللي جواها، بس بطريقة رجالي، كأنها بتتباهى بإمكانياتها الجسدية وسطهم، وحتبقى مشغولة طول الوقت إزاي تثبت إنها متفوقة بشخصيتها وإمكانياتها، والولاد بالنسبة لها حيكونوا منافسين، مش نوع تاني هي بتحاول تبهره باختلافها كأنثى.. وأول حاجة في المنافسة دي إنها تبقى مهيمنة، على كل اللي حواليتها، بس لو سيطرت على أنثى حتبقى عملت زي الرجالة بالضبط، وبالتالي حتبقى فعلاً شبههم، أو أحسن منهم كمان»

كان قلبي يخفق بعنف فعلاً.. لم أسمع هذا التفسير من قبل ولم أفكر حتى فيه..

(ليلي)..

من أنت؟..

كيف لم أرَ هذا فيك من قبل؟..

أكانت تراني بهذا الوضوح كل هذا الوقت؟..

وأنا، اللعينة البائسة، كنت أتطلع لقبلتها منها أو للمسه لجسدها..

كيف لم أعرفك كما عرفتيني أنت؟..

ظللت أتأملها، لفترة طويلة في الواقع، لم تتحدث هي وبادلتي

النظرات.. قلت لها بصوتٍ متحشرج:

- «أنا...»

ولم أستطع إكمال الجملة، فقط لم أستطع.. وكأنما كان هذا إشارة لها كي تكمل قالت:

- «أبوك كان عصبي، عصبي قوي، أنا ماشفتوش برضو، غريبة إن كل أهلك ماتوا قبل ما أقابلك، هو كان عايز يسيطر على أمك وعليك، وده بوظ الدنيا أكثر وزود من إحساس أمك وإحساسك بكُره الأنثى اللي جواكي»

شردت ببصري وأنا أحاول أن أتذكر وجه أبي.. من أسوأ الأحاسيس في العالم محاولة تذكر وجه شخص، قد يستحضره عقلك الباطن في كل وقت، إلا عندما تريد ذلك..

- «إنتِ فاكرَاه؟»

أخرجني سؤالها من أفكاري، نظرت لها لوهلة كأنما أرى في وجهها شيئاً غريباً ثم عدت وقلت لها وأنا أشرد ببصري محاولة تذكُر ما حدث وقتها:

- «قفشني مرة مع واحدة، كنا مع بعض في أوضتي، في البيت عندنا، كنا بنبوس بعض، مرمط بيأ البيت، ضربني على وشي، وشتمني وفضل يشدني من شعري ويقولني إني سافلة، فضلت كذا يوم بعدها مش عارفة أتكلم»

ثم نظرت لها وقلت:

- «الحالة دي اتكررت كذا مرة بعدها، كان لو حد زعق لي أو اتعصب علياً، وده ما حصلش من زمان قوي عشان الناس بقت

بتعملي ألف حساب ، كانت بيجيلي حالة كدا مابعرفش أتكلم ،  
بحس إن لساني في حد ماسكه ، زي ما حصلي في اليوم ده»  
قالت على الفور دون أن تعطيني مزيد من الوقت لأفكر:  
- «(ياسمين) ، إنتِ بتعلمي؟»

لستُ أدري لماذا تجسّد أمامي ذلك الحلم فجأة كأنما قد  
حلمت به للتو ، شردت ببصري مرة أخرى وأنا أصفه كأنما  
أصف شيئاً يحدث أمامي الآن:

- «أنا بحلم إنني بتخانق مع أبويا وبحاول أقتله ، بس هو بيقتلني  
في الآخر ، كل مرة بيقتلني ، بيقرّب مني وبيغرز سكينه في قلبي ،  
أنا كنت عايزة أقتله أنا ، بس ماقدرتش ، في كل مرة مابقدرش..  
بقوم من النوم كل مرة قبل ما السكينه توصل لصدري ، بس يبقى  
حاسة بألم زي ما يكون غرز السكينه في قلبي فعلاً»

قلتها وأنا أتحمس موضع قلبي كأنما أشعر بالسكين في  
صدري بالفعل.. ثم قلت لها وأنا أشعر بالألم يعترضني:

- «أنا عايزة أقتلهم كلهم يا (ليلي).. عايزة أقتل كل واحد  
أهانّي أو غلظ فيّ ، كل واحد أو واحدة بصولي وخلوني أحس  
إنني أقل منهم.. أحس بالنقص.. أي حد خلاني أحس باللي أنا  
حسّاه دلوقتي ده..»

ثم نظرت لها وقلت وأنا أغالب دموعي من أن تنهمر ، برغم  
أنني حتى لا أتذكر متى كانت آخر مرة بكيت فيها:

- «أنا لغاية دلوقتي بتخيل الرجاله على إنهم كائنات مستبده ،  
طواغيت ، أنا مانكرش إنني بحاول أقتلهم من غير ما أقصد ،

---

أنا فعلاً بكره إني ست ، عشان كده بحاول دايماً مابقاش ست  
عادية على الأقل»

أخذت نفساً عميقاً في محاولة للسيطرة على مشاعري.. لقد  
فتحت تلك اللعينة باباً كنت أظن أنه أغلق من فترة طويلة ، لكن  
يبدو أن بعض الأشياء لا يمكن محوها من الذاكرة ، أبداً..

- «أنا كل مرة كنت ببقى مع واحدة كنت ببقى راضية  
تماماً إني كدا بأذي أبويا.. أبويا عدو ، حياتي كلها تتلخص في  
محاولاتي إني أحاربه وأثبت له إني أنا اللي انتصرت.. (ليلي) أنا  
ما بعرفش أنام»

نظرت لي بحنان وابتسمت وفي عينيها تكونت الدموع.. لقد  
أيقظتها من نومها عشرات المرات من أجل أن نذهب سوياً لنجلس  
على البحر أو حتى لنجلس فقط في السيارة ، حتى لو لم نتحدث..  
لم أكن أطيع أن أبقى بمفردي حتى لا تنفرد بي الأفكار وتذهب  
بعقلي ، ولم ترفض هي ولو مرة.. هي من بقي بجانبني برغم كل  
شيء ، بالرغم من طريقيتي السخيفة ومحاولاتي الدائمة لإثبات أنني  
أسيطر عليها.. اقتربت منها وأنا أتأمل عينيها اللتين ملأتهما الدموع  
تماماً وبدأت بالهبوط على خديها ، مددت يدي ومسحت دموعها  
وأزلت خصلة من الشعر غطت جانب وجهها وقلت لها بصوتٍ خافت:

- «وانتِ استحملتي كل ده ، وقبلتيني زي ما أنا ، وعمر ما  
حد عمل كدا غيرك يا (ليلي).. (ليلي) ، أنا بحبك ، بحبك بجد»  
قلتها واقتربت منها حتى باتت عيناها أمامي تماماً.. ثم قبلتها..  
شعرت بنبض قلبي وقلباها يختلطان ، هل يجب أن يتزامن قلبَي

المتحايين حتى لتشعر أن نبضيها يخرج من قلب واحد فقط؟ أعتقد أن هذا ما يجب أن يحدث، أو هذا ما شعرت به في تلك اللحظة على الأقل، أن قلبينا هما من يقبل أحدهما الآخر، لا شفاهنا..

تراجعت أخيراً وأنا أشعر أنني لا أريد أن أبتعد عنها ولو لبضع مليمترات، فتحت عيني ونظرت في عينيها، يا إلهي، كيف أخبرك بما قلته ل(مايا)؟ كيف أقول لك أن كل هذا كان من أجل أن أحتفظ بك، كنت أعلم أنك لا تستمعين لأحد سواها، نعم، قلت أشياء ليست فيه، كنت قد عرفت علاقته ب(سارة)، أخبرتها أنه من الممكن أن يكون قد قتلها، أخبرتها أنه غير متزن نفسياً، أخبرتها أنه قد يشكل خطراً على حياتك، أنا أعلم أنها تحبك، تلك اللعينة كانت تحبك، لكنها تسرعت، تسرعت وأخبرته بدلاً من أن تخبرك، نظراته وهي تحدثه بعد أن رجعنا من الرحلة وشئت بكل شيء..

كان يجب أن تموت فعلاً..

قالت هي بابتسامة:

- «إنّ عارفة إن اللي عندنا ده اسمه Post-traumatic stress disorder»

- «نعم يا روح أمك؟»

انفجرت هي في الضحك ولم ترد، ثم ابتعدت عني واتجهت إلى دولا ب ملابسها وقالت وهي تبحث بيديها في الداخل:

- «يلا نخرج، أنا عايزة نعمل أي حاجة جديدة، عايزة أحس إنني غيرت جو، سافرت»

---

ثم قالت وهي تمسك بقطعتين من الملابس لتري إذا كان لونيها يتماشى مع بعضهما البعض:

- «مش كنتي فضلتى برا مصر؟ كان زمانى سافرت لك على الأقل وفضلت معاكي هناك.. إنتِ كده بقالك قد إيه راجعة مصر؟»

اختفت الابتسامة عن وجهي.. لماذا تريد اليوم أن تذكرني بكل شيء؟ قلت:

- «خمس سنين»

التفتت إليّ وقالت:

- «واحنا بقالنا مع بعض تقريباً خمس سنين، يعني من ساعة ما رجعتي صح؟»

أمسكت بعلبة سجائري وأخرجت سيجارة أشعلتها بعصبية وقلت وأنا أتجه لباب الشرفة:

- «حستناكي في البلكونة»

كنت أتخيل نظراتها المثبتة عليّ وأنا أتجه للشرفة، بالتأكيد تتعجب من رد فعلي الغريب، لكني لم أعبأ بها ودخلت الشرفة تاركة الهواء البارد يلفح وجهي وجسدي لعله يستطيع أن يخبت نار الذكريات تلك التي أوقدتها هي..

وتقول أنها صارت خبيرة في علم النفس وتعلم ما لم أخبرها به حتى.. فلتحاولي معرفة ما حدث معي إذن دون أن أحكيه..

لن تفهم.. مع كل ما رأيت منها لن تفهم؟

لأنه ببساطة لا أحد يفهم أن القتل أحياناً قد يكون مبرراً..

## «سيف»

ذلك الصداع..

رأسِي يوشك على الانفجار.. لا أذكر أنني قد شعرت بصداع مثله طوال حياتي، لن أذهب إلى طبيب، أنا أعلم تماماً أن السبب ليس عضوياً، تصرفاتي في الفترة السابقة تشي بأن حالتي النفسية ليست على ما يرام، ولن يفدني في شيء أن يعرف أحدهم أنني أذهب إلى طبيب نفسي..

لست أدري لمَ تذكّرت (حسين)، كان سيصير الرجل المناسب لدراسة حالتي تلك، فقط لو أنه استطاع أن يبقى رأسه فوق جسده لفترة أطول، لكنه لم يفعل للأسف.

سمعتُ طرقات ثم انفتح الباب وظهر (إبراهيم) على عتبة، أجفل للحظة عندما انتبه أنه دخل دون أن أطلب منه، لكنني لم أكتريث، فقد صارت هذه الحجرة تعامل معاملة المرحاض منذ فترة، أشرت إليه بالاقتراب فتقدم نحوي ووضع ملفاً ضخماً على المكتب أمامي ثم قال:

- «دا ملف القضية بتاعة بنت (سعد الدين إدريس) اللي قتلت

أمها»

نظرتُ للملف الموضوع على المكتب، ماذا فعلت هذه التّعسة حتى تستحق ملفاً بهذه الضخامة؟ سألته وأنا أتأمل الملف:

- «عرفت تجيب معلومات عنهم في إنجلترا»

بدأت الخيبة على وجه (إبراهيم) وقال:

- «كل اللي عرفت أوصل له إن (سعد الدين) كان معاه جنسية إنجليزية، وإنه عرف يدخلها مصححة هناك، وفعلاً فضلت فيها فترة وبعدين خرجت، واختفى كل أثر ليها هناك.. أنا وصلت لاسم المصححة وكلمتهم بس رافضين إنهم يطلعوا أي معلومات عن المريضة، حاسسهم متعنتين زيادة، أعتقد حنحتاج تدخل وزارة الخارجية عشان نعرف ناخذ المعلومات اللي احنا عايزينها»

فاتني موضوع الخارجية هذا.. ليس الموضوع ببساطة الحصول على إذن نيابة مثلما كان الأمر مع (حسين).. أرجو من الله ألا يطير رأس أحدهم في إنجلترا قبل أن نحصل على المعلومة هذه المرة.. قلت:

- «أنا حكلم (رضوان) باشا في الموضوع ده.. كدا كدا حطلع أقابله عشان أقول له على آخر المستجدات، اللي هي ولا حاجة لغاية دلوقتي، غير موضوع البنت دي اللي مش عارفين لسا إيه علاقته بموضوع أخت مراته و(ليلي).. عملت إيه صحيح في موضوع (ليلي)؟.. سألت زي ما قلتلك؟»

أوما برأسه وإن بقيا حاجباه مقطبان وقال:

- «أنا جبت تاريخها وتاريخ عيليتها كله، حتى صورها وهي صغيرة، هي عايشة مع أمها، وأبوها طلق أمها واتجوز واحدة تانية ونقل حياته القاهرة، ومايشفش مراته القديمة ولا بنته تقريباً، كأنه ما صدق يخلص منهم، مستواهم المادي كويس، أبوها

كان تاجر، وأمها وارثة شوية فلوس معقولين، كل ده عادي،  
 الغريب بقى اللي لقيته إن (ليلي) و(أروى) بنت سعد الدين كانوا  
 في نفس المدرسة مع بعض لغاية ما موضوع القتل ده حصل»  
 قطبت حاجبي وأنا أستمع هذه المعلومة الجديدة..  
 الإسكندرية «غرفة وصالة» كما يقولون، لكن ليس لهذه  
 الدرجة، كمّ المصادفات في هذه القضية وعدد من يعرفون  
 بعضهم البعض يثير غيظي..

- «كدا يا (ابراهيم) حنحتاج نتكلم تاني مع (ليلي)، تفكر  
 تكون لسا على صلة ببنت (سعد الدين) لغاية دلوقتي؟»  
 لم يرد، ولن يرد.. قلت له وأنا أقلب الأمور في رأسي للمرة  
 المئة:

- «ماشي يا (ابراهيم)، سييلي الموضوع بتاع الخارجية ده  
 حخلصهولك والملف ده أنا حسهر عليه في المكتب النهارده..  
 وعائزك تروح مدرسة البنيتين دول وتعرف تفاصيل أكثر، لو  
 لقيت حد فاكر، عايزين يبقى معنا معلومات أكثر من كدا  
 قبل ما نتكلم مع (ليلي)»

أوما برأسه واتجه للباب وتأملت أنا غلاف الملف للمرة ثانية..  
 (أروى سعد الدين إدريس)..

طلبت كوباً كبيراً من القهوة استعداداً لتلك السهرة التي  
 فرضتها على نفسي وأخذت نفساً عميقاً ثم فتحت أول صفحة  
 في الملف..

كان الملف مقسم إلى ثلاثة أجزاء.. تقارير طبية تصف ما

حدث في القتل، محاضر التحقيقات، ثم الجزء الأخير، الذي يأخذ معظم حيز الملف، والذي كان تفريراً لحوار الطبيب النفسي مع الطفلة، تسمّرت عيناى على اسم الطبيب النفسي..  
(حسين أحمد التهامي)..

رفعت عيني عن الملف وعقلي يدور بسرعة جنونية.. إذن ف(حسين) كان هو الطبيب النفسي الذي استعانوا به في القضية وقتها، و(حسين) كان هو الطبيب النفسي الذي كانت تستعين به (ليلى) حتى مقتله..

لا يمكن ألا يكونا على علاقة ببعضهما البعض حتى الآن.. هل كانت (ليلى) همزة وصل بينهما بينما هي مختفية عن الأنظار؟..

أنا لا أفهم أي شيء.. صحيح أن (حسين) مشهور إلى حد كبير، ومن الطبيعي أن يخطر على بال أي شخص يحتاج لاستشارة طبيب نفسي، خاصة إذا كان من ميسوري الحال، لأن ما أعرفه أن أجره ليس زهيداً على الإطلاق، إلا أنه من الغريب والمريب فعلاً أن تلجأ إليه فتاتان كانتا زملاء في نفس المدرسة، ثم يُشتبه الآن في أن إحداها قد قتلتها، وفي نفس الوقت تستخدم إحداها اسم الأخرى وهي تذهب إليه كي تخفي شخصيتها الحقيقية..

أيُّ هراءٍ هذا؟..

خفضت عيني إلى الملف مرة أخرى كي لا أجن، سأؤجل الجزء الخاص بتفريغ الجلسات النفسية إلى النهاية، وسأقاوم

تلك الرغبة بداخلي أن ألتهمها الآن..

التقارير الطبية تؤكد أن الوفاة نتجت عن طريق طعنات بآلة حادة في الجزع أصابت الكبد وسيبت نزيفاً حاداً أدى للوفاة ، يقول التقرير أيضاً أن هناك عدة طعنات بنفس الآلة الحادة في المهبل ، تمّت قبل الوفاة..

توقفتُ مرة أخرى عن القراءة..

هذا يفسر كل شيء..

ظل عقلي يعمل بسرعة كبيرة وأحداث الأيام السابقة تتجسد أمامي.. عدت للملف وتصفحت الأوراق بسرعة حتى وصلت للجزء الخاص بالتحقيقات ، الجثة وجدوها في فراشها ، يبدو أن الطفلة قد فاجأت أمها أثناء نومها.. أشياء كثيرة عن اتجاه الطعنات والسلاح المستخدم وملابس الحوادث وشهادة المحيطين بهم وقتها من جيران أو عائلة..

تصفحت مرة أخرى حتى وصلت إلى تفريغ جلسات الاستجواب مع (حسين)..

التاريخ: ١٢- أكتوبر- ٢٠٠٨

جلسة استجواب لأخذ رأي الطب النفسي في الحالة..

تفريغ التسجيل الصوتي للجلسة..

الطبيب: «إزيك يا (أروى) ، أنا دكتور (حسين) ، صاحب

بابا ، عارفاني ولا لأ؟»

أروى: بابا فين؟ هو ماجاش معاك ليه؟»

الطبيب: «إنتِ بتحبي بابا يا (أروى)؟»

أروى: «أبوا بحبه قوي»

الطبيب: «طيب، وماما؟»

أروى: «أنا بحب بابا، ومش عايزاها تاخده مني، هي عايزة تاخده منّي»

الطبيب: «إنتِ ليه حاسة إنها عايزة تاخده منك؟»

أروى: «لما كانت بتقعد معاه، كانت بتقفل الباب في وشي، كنت بقعد أخبط على الأوضة وأعيّط، بتقولي إنهم نايمين، بس أنا عارفة إنهم مش نايمين، كانت بتبقى لابسة حلو وحاطة روج، أنا عارفة إنها مش بتنام وهي لابسة كده، بتضحك عليا، كمان دايمًا كانت بتزعقلي لما أقعد على حجره، وتقوله عايزاك لما تلاقيه بيتكلم معايا، هي مش عايزاني أكون معاه، وأنا عارفة إنه مش عايز كده وإنه بيحبني»

الطبيب: «عشان كده انتِ ضربتها بالسكينة؟»

أروى: «كانت عايزة تاخده مني»

حسين: «إنتِ ضربتها بالسكينة في بطنها وفي حته تانية مش كده؟»

أروى: «أنا سألتها قبل كده وقالتلي إن الحته دي هي الفرق ما بين الراجل والست، وأنا كنت مش عايزة الست اللي فيها»

حسين: «وليه ماكنتيش بتحبي إنها ست يا (أروى)؟»

أروى: «أنا كنت بعاقبها، كل ست بتبقى عايزة تاخذ بابا، الست اللي كانت بتيجي لماما قالتها كده، أنا سمعتها»

حسين: «مين الست اللي كانت بتيجي لماما دي؟ واحدة

صاحبته؟»

أروى: «لأ، هي كانت ماما بتشرب قهوة، وبعدين تديها الفنجان بتاعها تبص فيه وتقولها هي شايفة إيه»

حسين: «كانت شكلها إيه الست دي؟»

أروى: «شكلها غريب، بس حلو، حاطة كحل في عينيها، ولابسة طارحة حوالين راسها، بس شعرها طالع برا، وحاطة خاتم في مناخيرها، أنا أول مرة أشوف واحدة حاطة خاتم في مناخيرها، سمعت بابا مرة وهو بيكلم ماما وبيقولها إنت ست راقية وغنيّة، إزاي مصدقة اللي العجرية دي بتقوله؟ وإزاي تجيبها هنا البيت؟ وقالها إنه لو شافها تاني حيكروشها»

حسين: «إنتِ فاكرة هي كانت بتقولها إيه؟»

أروى: «كانت بتقول لها إن في واحدة حتاخده منها، واحدة أصغر منها بكثير، هي كانت بتتكلم عني، هي قالت لي كده بنفسها»

حسين: «هي كانت بتتكلم معاكي لوحدي؟»

أروى: «آه، كانت بتيجي تقعد معايا في الأوضة، بالليل، بعد ما ماما تقفل الباب عليها هي وبابا وتسيبني لوحدي، كانت بتكلمني عن كل حاجة، عن بابا، كانت بتحبنى أكثر من ماما، ماكانتش بتسيبني خالص، حتى دلوقتي»

حسين: «حتى دلوقتي إزاي؟»

أروى: «هيا قاعدة أهى هناك جنب الشباك، بص، أهى»

حسين: «مافيش حد غيرنا في الأوضة»

أروى: «إنت ازاي مش شايفها؟ دي جميلة قوي، وبتخليني قوية  
حسين: «بتخليكي قوية ازاي؟»

أروى: «بتخليني عندي عضلات كتير زي بابا، وعشان كده  
غلبت ماما، وضربتها بالسكينة، أنا بقيت أقوى منها، وبابا  
حبيبقى معايا على طول»  
توقفْتُ عن القراءة..  
وأنا أحسب أنني قد رأيت كل شيء..

هل من الممكن أن يصل ارتباط طفلة بأبيها أن تقتل أمها  
من أجل أن يكون لها وحدها؟ لا بد وأن ما تفعله أمها معها  
جعلها تشعر بذلك، ثم تلك المرأة الفجرية التي تراها.. القضية  
تزداد غموضاً، يمكن بوضوح تصوُّر ما يمكن أن تفعله تلك  
الفتاة الآن إذا ما تعلَّقت بشخصٍ ما، هي الآن في العشرين من  
العمر تقريباً، وهو عمر معظم الفتيات في تلك الفرقة اللعينة،  
لكن من المفترض أنها في إنجلترا، فهل عادت؟ وإن عادت،  
لا يوجد من بينهم مَنْ اسمها (أروى)، فهل غيرت اسمها؟.. كل  
شيء جائز، مَنْ لديها أب مثل (سعد الدين إدريس) بكل الثراء  
والنفوذ الذي كان لديه يمكنها فعل أي شيء.. ثم ما علاقة  
(ليلي) بكل هذا؟

تلك الفتاة قتلت أمها من أجل أن تبقى مع أبيها، ليكون لها  
وحدها.. لو ظل نفس المرض النفسي لديها فهي على استعداد تام  
أن تقتل من أجل أن تحتفظ بمن تحب..

رَنِّ هاتفي في تلك اللحظة فالتقطته في عصبية..

غريب، (أدهم) هو مَنْ يتصل بي..  
 أعطيته رقم هاتفي عندما استجوبته أول مرة ليخبرني في  
 حالة تذكره لشيء آخر.. رفعتُ الهاتف إلى أذني وانتظرت سماع  
 صوته..

- «ألو، (سيف) بك، أنا (أدهم)، (أدهم) اللي...»

قلت بنفاذ صبر:

- «أيوا يا (أدهم) خير؟»

- «(ياسمين) معايا دلوقتي وبتعيط ومنهارة، بتقول إن في حد

حاول يقتلها»

اعتدلتُ في مقعدي وأمسكت الهاتف بقوة وصحّتُ فيه:

- «حد مين اللي حاول يقتلها؟»

- «هي بتحككي وهي بتعيط ومش فاهم منها حاجة، عشان

كده كلمت حضرتك، إحنا ممكن نجيلك؟»

قلت على الفور:

- «تعالوا، تعالوا حالاً»

أنهيت المكالمة وضغطت زر الاستدعاء على مكثبي وما أن

ظهر العسكري على الباب حتى صحّتُ فيه أن يحضر لي قهوة

أخرى وجلستُ ألتقط أنفاسي بصعوبة..

أنا فعلاً لا أفهم أي شيء..

لا أفهم شيء على الإطلاق..



## «أدهم»

أنهيتُ المكالمة ونظرتُ إليها والشكُّ يكبرُ في داخلي مع كل ثانية تمر..

كنت في منزلي عندما رنَّ جرس هاتفي ووجدت أن الطالب هو (ياسمين)، كانت تتحدث بكلمات غير مفهومة، وتبكي، طلبتُ منها أن تهدأ وأن تخبرني بما حدث بالضبط، وبعد الكثير من النحيب فهمتُ أنها قد تعرضت لمحاولة قتل.. كانت تتحدث من مقهى قريب، لذا طلبت منها البقاء هناك ولم تمضِ أكثر من ربع ساعة حتى كنت أوقف سيارتي بجانب المقهى وأتجه إليه في خطوات سريعة، وما أن رأنتني حتى اندفعت نحوي وأجهشت في بكاء هستيري يتخلله كلمات لم أفهم منها سوى أن هناك شيء يشبه الغوريلا حاول قتلها!..

لم تبذل مجهود كبير كي لا تثير ريبيتي، كان يمكنها أن تخترع قصة أكثر منطقية وأقل اقتراباً من القصص المصورة، لماذا أشك فيما تقول؟ لأنه ببساطة شديدة الأشخاص قريبي الشبه بالغوريلا لا يجولون في الشوارع ليلاً محاولين قتل الجميلات اللاتي قادهن حظهن الأسود للمرور في تلك الشوارع في الليل بالذات، ظننت هذا واضحاً، ولأنه ببساطة أيضاً ليس من الطبيعي أن تتجول فتاة في الشوارع المحيطة بمنطقة صلاح الدين في ذلك الوقت من الليل.. كدت أن أخبرها بأنني لا

أصدق حرفاً مما تقول لكنني آثرت الصمت وأخبرتها أن علينا أن نخبر (سيف) بما حدث، وكانما كانت تنتظر أن أدلي بذلك الاقتراح، وافقت على الفور، الأمر الذي جعلني أشعر أنها اختلقت كل هذا من أجل أن يعلم (سيف) أنها خارج دائرة الشك وأنها ليست هي من قتل كل هؤلاء..

وبالفعل طلبتُ رقم هاتف (سيف) وحكيت له ما حدث، وطلبت منه أن نذهب إليه، وها نحن نجلس أنا و(ياسمين) أمامه ونشرب القهوة والليمون اللذان طلبهما لنا..

- «ها يا (ياسمين)، أظن هديتي شوية دلوقتي، عايزك بقى تحكي لي اللي حصل بالضبط واحدة واحدة كدا وحاولي ماتنسيش حاجة»

بدا الذعر في عيني (ياسمين) التي أخذت نفساً عميقاً ثم زفرته وأمسكت الكوب بكفتي يديها كأنما يساعدها ذلك في خفض توترها، ثم قالت وهي تنظر إلى ركن الغرفة كأنما تتحاشى النظر إلى أيِّ منّا:

- «أنا كنت راجعة من عند (ليلي)، ماكانش معايا العربية ساعتها وكنت عاملة حسابي إنني حشترني شوية حاجات للعربية ففضلت ماشية في شارع فؤاد لغاية ما وصلت (صلاح الدين)، أنا عارفة إن الوقت متأخر وإن محلات كثير كانت قافلة، بس أنا كان نفسي أتمشى في أي حته جديدة، فضلت أدخل في شوارع جانبية لغاية ما وصلت لحنة فاضية كده وضلّمة، فيها حاجة زي مصنع، بدأت أخاف شوية، فشلت السماعات من ودي، سمعت صوت حد جاي من ورايا، بصيت لقيت...»

لم تكمل الجملة وصممت لوهلة وازدادت نظرة الذعر في عينيها ثم نظرت لـ(سيف) وقالت:

- «وشه كان مرعب، أسود، ومليان شعر، وعنده أنياب طويلة، حتى إيديه كانت سودة. أنا فضلت مش عارفة أتحرك لغاية ما قرّب مني ومد إيده ناحيتي، كان معاه سكينة، سكينة كبيرة، وكان حيزبرني بيها، أنا مش عارفة ازاي صرخت وجريت زي المجنونة، الشوارع كلها ضلّمة، مابصتتش ورايا وفضلت أدخل من شارع للتاني وأنا مش عارفة أنا رايحة فين، لغاية ما وصلت لقهوة بلدي في شارع من الشوارع الجانبية، كانت هي بس اللي فاتحة في الوقت ده، الناس اتلمّت عليا لما قتلتهم على اللي حصل، وفي كذا واحد راحوا فعلاً ناحية ما شاورتلهم ورجعوا بعدها وقالولي إن مافيش حاجة وإني ممكن أكون شفت حد في الضلّمة واتهيألي كل الكلام ده، بس أنا واثقة إني شفته، وإنه كان زي ما أنا وصفته بالضبط»

ظل (سيف) ينظر إليها في شكّ دون أن يتحدث ثم فجأة انفجر في الضحك. نظرت له (ياسمين) باستغراب ثم في استنكار ثم بدا الغضب على وجهها، كنت أنا قد كوّنت رأيي الخاص أثناء جلساتي مع (سيف) أنه غير مستقر نفسياً لذا لم أندهش مما فعله، هذا بالإضافة إلى أن ما تقوله (ياسمين) جدير بالسخرية بكل تأكيد.. توقف (سيف) عن الضحك أخيراً وقال لـ(ياسمين) بابتسامة عريضة:

- «كل ما أقول إن الستات مالهمش في الألش والكوميديا، تيجي واحدة تثبتلي العكس»

قالت (ياسمين) بعصبية شديدة وهي تعصر كوب العصير

بين كفيها حتى شعرتُ للحظة أنه سيتحطم في يديها :

- «لو سيادتك مش مصدق اللي أنا بقوله ممكن أمشي دلوقتي بدل ما دمي يتحرق وأنا شايفاك بتضحك على كلامي وأنا بقولك إني كنت حموت من ساعة تقريباً ، أنا مش شايفة حاجة تضحك في اللي أنا بحكيه»

لم تختفِ الابتسامة من على وجه (سيف) وقال :

- «لا أبداً ، مافيش حاجة تضحك ، مافيش غير إن كينج كونج كان بييجري وراكي بسكينة في الشارع وإنك كنتي بتتمشي الساعة ١٠:٣٠ في صلاح الدين عشان تفكي عن نفسك شوية ، غير كده مافيش حاجة تضحك الحقيقة»

امتلات عيني (ياسمين) بالدموع وإن لم يبداً هذا على صوتها وهي تقول وقد ازدادت عصبيتها :

- «كنت زهقانة ، وما كنتش عايزة أنام ، ما بعرفش أنام أصلاً ، مش محتاجة أبرلك حاجة ، ده اللي حصل ، ولو مش مصدقني ممكن أمشي واعتبر إن مافيش حاجة حصلت»

قالتها ووضع الكوب بعنف على المنضدة التي أمام المكتب ثم قامت واقفة ، ظل (سيف) ينظر لها دون أن يتحدث كأنما قد قرر فعلاً أن يخبرها أنه لا يصدقها ، نظرت لي ثم اتجهت في خطوات سريعة إلى الباب ، نظرت لـ(سيف) الذي كان ينظر إليّ بالفعل ، نادراً ما تتغير النظرة في عيني هذا الرجل ، دائماً كأن ما يحدث حوله لا يعنيه ، قمت واقفاً أنا الآخر فظل ينظر إليّ لثوانٍ ثم أوماً برأسه ومط شفثيه ففهمت أنه يريدني أن أرحل أنا

الآخر.. حيّيته بهزّة من رأسي واتجهت إلى الباب بسرعة محاولاً  
اللاحاق بـ(ياسمين)..

كانت قد وصلت إلى المدخل الرئيسي بالفعل، أسرع  
حتى صرت بجانبها وأمسكت بذراعها كي تبطئ من سرعتها،  
أجفلت للحظة ثم وقفت تنظر إليّ والدموع تملأ عينيها، ثم قالت  
بعصبيّة وسط دموعها:

- «أنا ما بكذبش يا (أدهم)، أنا حكيت اللي حصل فعلاً،  
أنا كنت حموت، أنا أول مرة أعيط أصلاً من زمان أوي، حتى  
لما كنت ببقى نفسي أعيط ما كنتش بعرف، بس اللي أنا شففته  
ده خلاني خايفة بجد يا (أدهم)»

مددت يدي ومسحت على ذراعها وقد قررت ألا أخبرها أنا  
الآخر أنني لا أصدقها ثم جذبتها في رفق لنتجه نحو السيارة،  
لكنها أمسكت بيدي وقالت بصوت خافت:

- «(أدهم) أنا محتاجك، أنا أول مرة أحس إنني محتاجة حد  
يحميني، أنا عمري ما حسيت الإحساس ده قبل كده، طول  
عمري أنا اللي بدي إحساس الأمان ده للناس اللي حواليا، أنا اللي  
بحمي نفسي، بس النهارده لأ.. (أدهم)، ممكن تخليك معايا  
شوية؟ أنا مش حا عرف أروح، ممكن تفضل معايا؟ ممكن؟»

آه من إحساس الضعف هذا.. لا يمكن أن يرفض رجل أيّاً  
مَن كان امرأة تطلب منه أن يمارس ما خُلق من أجل ممارسته..  
أن يكون رجلاً، أن يُشعرها بالأمان، أن يحميها.. أغلب الظن  
أن شعوره بأنه يمدّها بالأمان هو ما يحركه وليس رغبته في

مساعدها ، لسبب مثل هذا تظهر شهامة الرجل فقط في  
المواقف التي يكون فيها نساء ، أما إذا طلب منه رجل آخر أن  
يساعده فهو لن يفعل على الأرجح!..

أومأت برأسي وابتسمت متناسياً ما يعتمل بداخلي ومسحت  
على ذراعها ثم اتجهنا سوياً نحو السيارة..

وما أن ركبنا السيارة حتى انهمرت دموعها على خديها دون  
أن يصدر منها صوت بكاء.. أردت أن أواسيها بأي شكل لكنها  
قالت فجأة دون أن تتظر إليّ:

- «أنا قتلت واحد من خمس سنين»

شعرت برجفة تسري في أطرافي فجأة ، لكنني لم أتكلم  
ولم أسألها ، لم تعطني هي فرصة وقالت تاركة دموعها تتساب  
على خديها:

- أنا كنت في أمريكا ساعتها ، لوحدني بعد ما أمي ماتت ،  
ماكنتش طايقة أقعد في مصر ، أخذت الفيزا وقتها أيام ما الدنيا  
كانت سهلة ، وقعدت هناك مع واحدة صاحبتني ، كنت بشتغل  
أي حاجة ، أبيع تيشيرتات ، مطاعم ، يعني ، كانت الدنيا ماشية ،  
لغاية ما صاحبتني اتعرفت على واحد أمريكي ، واتصاحبوا ،  
كان شبه قاعد معانا في البيت ، كنت بلا حظ على طول إنه دايمًا  
بيصلي ، عينه ماكانتش بتنزّل من عليا ، على جسمي ، وفي مرة  
رجعت البيت ، وكان هو لواحده ، دخلت على أوضتي بس هو جه  
ورايا وكان... كان عايزني ، أنا مش ضعيفة ، أنا قوية ، وكلهم  
فاكرين إن الست ضعيفة ، ومش حتعرف تدافع عن نفسها ، وهو

كان شارب، ضربته، ماسكتش، زقني على السرير، وهجم عليا، مالميتش جنبي غير الأباجورة، ضربته بيها على دماغه، فجأة لقيت السرير بقى كله دم، أنا معرفتش أعمل إيه، ماكنتش قادرة أفكر، جريت، ماكنتش عارفة أروح فين، رحت للراجل اللي كنت بشتغل عنده، كنت منهارة، حكيت له اللي حصل، قاللي ماتخافيش، وخالاني أبات في الجراح عنده، كان طيب، تقريباً هو الراجل الوحيد اللي وقف جنبي في حياتي، حجزلي تذكرة طيران على مصر، كنت مرعوبة، وأنا في المطار كنت حاسة إن كل الناس عارفة إنني قتلت، ما استريحتش شوية غير لما الطائرة اتحركت، وبعد ما وصلت مصر، مسألتش إيه اللي حصل هناك، حتى صاحبتني معرفش عنها حاجة لغاية دلوقتني».

قلت لها :

- «طيب، مش ممكن مايكونش مات؟»

صاحت على الفور:

- «معرفش، معرفش مات ولا لأ، بس الدم اللي كان بينزل

من راسه وملا السرير بيقول كدا»

ثم ازداد انهمار دموعها فمدت يدها بسرعة لتمسحها، هذه الفتاة لا تريد أن تبدو ضعيفة حتى وهي تحكي عن شيء مثل هذا.. قالت:

- «مع كل الرعب اللي كنت فيه من إنني أتمسك بس كنت

حاسة بقوة غريبة، أنا بعرف أدافع عن نفسي، أنا مش محتاجة حد يدافع عني، بس النهارده ما حسنتش الإحساس ده»

ثم مدت يدها وأخرجت علبة سجائرها من حقيبتها وأشعلتها بعصبية ونفتت دخانها تاركة إياه يصعد إلى سقف السيارة في ببطء، كانت أصابعها الممسكة بالسيجارة ترتعد، هي خائفة فعلاً ولا تدعي ذلك، أو هي تجيد التمثيل بالفعل، ثم التفتت إليّ وقالت وعيناها متسعتان بشدة والرعب متجل على وجهها:

- «اللي أنا شفته النهارده يا (أدهم)، اللي كان عايز يموتتي ده خلاني أحس لأول مرة إني مقدرش أحمي نفسي»

قالتها والتفتت إلى الجهة الأخرى ونظرت عبر النافذة، ظلمت شارداً الذهن أنا أيضاً وأنا أفكر في كل ما قالته، التفتت إليها بعد وهلة فوجدتها كما هي، التفتت إليّ فجأة، ظللنا ننظر في عيني بعضنا البعض لثوانٍ ثم ابتسمت ابتسامة واهنة وقالت بصوت خافت:

- «شكرا يا (أدهم)»

لم تمهلني حتى فرصة للرد عليها، فقد التفتت مرة أخرى لتتظر عبر النافذة، يبدو أنه لم يعد لديها ما تقول، أنا أيضاً شعرت أنني لا أريد أن أتكلم، أخذت نفساً عميقاً ثم مدت يدي وأدرت المفتاح فانبعث صوت موتور السيارة ليشعرنا بأننا لسنا وحدنا تماماً..

لست أنا فقط من لديه أسرار لا يعلم أحد عنها شيء..

على الأقل هي تتذكر ما حدث لها بالضبط..

أما أنا، فلست متأكداً من أي شيء..

على الإطلاق..



## «إبراهيم»

- «مش ح تصدق يا باشا»

التفت إليّ (سيف) عاقداً حاجبيه، لم أطرق باب حجرة مكتبه هذه المرة أيضاً ولم أكرث إن كان قد ضايقه هذا أم لا، فما لديّ من معلومات سيجعله يتناسى أي شيء آخر.. أخذت نفساً عميقاً لكي أرتب أفكاري ثم قلت والحماس يغلبني:

- «أخبار جديدة لسا واصله من انجلترا»

لم يظهر الاهتمام على وجه (سيف) ولم يقل شيء، قلت على الفور:

- «حضرتك عارف إن الخارجية بعد ما (رضوان) باشا كلمهم لغاية دلوقتي ما قدرتش توصل لاتفاق مع المستشفى إنهم يدونا أي تفاصيل عن البنت، أنا فكرت كدا في فكرة إن ما دام إحنا شاكين إن البنت دي ليها علاقة بقضية القتل يبقى أكيد هي رجعت مصر، عشان كده طلبت من الجوازات إنهم يدوروا في العشر سنين اللي فاتوا عن حركة (سعد الدين) أو بنته»

ظل يتابعني بنفس النظرة ولم بيد عليه أي شيء.. هذا الرجل فقد الشغف تماماً.. أكملت:

- «وللأسف، (أروى سعد الدين إدريس) ما دخلتش مصر ثاني من ساعة ما سافرت، ولا (سعد الدين) نفسه، لأنه مات في انجلترا، ده اللي الخارجية قدرت توصل له لغاية دلوقتي»

- «مات ازاي؟»

قالها على الفور وباهتمام شديد لم أعوده عليه ، فنظرت له  
باستغراب ثم قلت:

- «لأ ، المعلومة دي مش عندي ، بس حيفرق في إيه هو مات  
ازاي؟»

- «حيفرق كثير ، المهم ، قدرت تعرف حاجة عن البننت  
حصلها إيه بعد ما أبوها مات؟»

كنت أود معرفة ما يفكر به ، وإن كنت ما زلت لا أفهم سر  
أنه يريد معرفة كيفية موت (سعد الدين) وقلت:

- «للأسف الخارجية ما عندهاش أي معلومات عنها ، بس في  
حاجة تانية عرفتها من الجوازات ، (فريدة إدريس) ، أخت (سعد  
الدين) ، سافرت إنجلترا من ست سنين ، في نفس الوقت تقريباً  
اللي (سعد الدين) مات فيه حسب المعلومة اللي جاية من الخارجية ،  
بمعنى أصح ، هي سافرت عشان تفضل مع البننت بعد موت أخوها  
ورجعت بعدها بسنة واحدة لمصر ، بس من غير (أروى)»  
قال بعصبية:

- «يعني إيه الخارجية ما عندهاش معلومات؟ أمال مين اللي  
عنده معلومات؟ أكيد دخلت مدرسة هناك ، أكيد في نقل  
لأملاك وثروة (سعد الدين) باسمها؟ أكيد دخلت جامعة ،  
أكيد عندها رخصة ، كارنيه ، ماينفعش بنت (سعد الدين  
إدريس) تختفي فجأة كده من غير ما نعرف أو ما الخارجية  
يكون عندها معلومات عنها»

ابتلعت ريقى وقلت:

- «للأسف، (سعد الدين) قبل ما يسافر كتب معظم ممتلكاته باسم (فريدة) أخته، والباقي سيّله وأخذه معاه انجلترا، هو تقريباً ماكانش ناوي يرجع مصر تاني، ده اللي مشوت عندنا، إحنا عموماً لسا مستتيين مفاوضات الخارجية مع المستشفى، أكيد الخيط حيبتي من هناك»

صاح بانفعالٍ شديد وهو يطوح بيده في الهواء:

- «مافيش حد بيختفي من الحاجات الرسمية يا (ابراهيم)، لاهنا، ولا برّاً، الحكومات أصلاً عاملين الحاجات الرسمية دي عشان ماחדش يعرف يختفي، عشان الناس تفضل متراقبة، تروح دلوقتي وماترجعش إلا لما تجيلي كل حاجة عنها، عايشة فين، ودخلت كلية إيه، بتحب مين، بتاكل بوريو ولا أوريو، كل حاجة، انتَ فاهمني؟ وأنا حكلم اللواء (رضوان) تاني أخليه يزق مع الخارجية شوية، مع إني مش عارف أقابله بأني وش واحنا مش عارفين نوصل لأي حاجة عن قتل (ريهام) أخت مراته، أكيد حوادث القتل دي مربوطة ببعض.. أنا واثق من ده»

قلت بعصبية وقد شعرت أنني لا أفهم لماذا يقودنا إلى هذا الطريق المسدود، كما أنني لا أفهم فعلاً لماذا يُصر على أن هناك علاقة بين مقتل (ريهام) هذه وباقي الحوادث:

- «وليه سيادتك مصمم إن بنت (سعد الدين) هي اللي قتلت؟ ليه مايكونش حد تاني عرف تفاصيل القضية وبيقنعنا إن هي اللي عملت كذا؟ زي ما حصل مع أخت مرات اللواء (رضوان)؟

وخصوصاً إن دكتور (حسين) كان هو الدكتور النفسي اللي كان مشرف على حالة (أروى) ، يعني ممكن يكون هو برضو اللي سَرَّب التفاصيل دي لنفس القاتل ، وليه مايكونش القاتل نفسه غير من اللي هو بيعمله عشان يقنعنا إن في اتنين بيقتلوا مش واحد؟»

شعرت أن كلماتي لامست شيئاً ما في داخله لأنه شرد طويلاً جداً هذه المرة ثم التفت إليّ أخيراً وقال بهدوء:

- «زي ما قتلتك يا (ابراهيم) ، تروح دلوقتي وماتجيش إلا ومعاك تفاصيل عن (أروى) من إنجلترا»

شعرت بالحرارة تتبعث من وجهي وبأسناني على وشك التحطم من فرط ضغطي عليها ، ظننت أنه سيلقي إليّ بتعليمات جديدة لها علاقة بما قلته له ، لكن من الواضح أنه لم يقتنع ، مع أنني أرى أن ما قلته يفسر الكثير من الأشياء الغامضة ويريحنا من الدوران في متاهاتٍ لن توصلنا لشيء.. حاولت إخفاء ضيقي وأومأت برأسي ، ثم توجهت للباب بالفعل..

- «(إبراهيم) ، (فريدة إدريس) ، وصلت لحاجة عنها؟»

التفتُ إليه وقلت له في ضيقٍ لم أستطع إخفاءه:

- «إحنا وصلنا لعنوانها ، هي عايشة في فيلا بتاعتها في سيدي

كبير»

انبعث صوت هاتفه في تلك اللحظة فنظر فيه ثم وضع الهاتف على أذنه وقال في سأم:

- «دكتور (حلمي) ، معلش أنا كنت المفروض أتأسفلك

على المرة اللي فاتت، انتَ عارف إن...»

قطع كلامه وعقد حاجبيه وهو يستمع إلى الطرف الآخر، لا بد أن ما قاله (حلمي) الطبيب الشرعي شيء مهم فعلاً، ظل يستمع لدقيقة كاملة ثم قال:

- «طيب، ماتتكلمش مع حد ثاني في الموضوع ده وأنا حتصرف، مع السلامة»

وأنهى المكالمة وشرد ببصره، احترمت صمته كي لا أقطع حبل أفكاره، نظر لي بنفس الشرود وقال:

- «(حلمي) بيقول إنه شاف المساعد بتاعه بيدور في مكتبه في المشرحة، رجع المكتب لقاها بيدور في التقارير ووشه اصفرّ لما سأله انتَ بتعمل إيه، وقاله إن في تقرير مش لاقيه وإنه فكّر إن الدكتور شايله عنده، طبعاً (حلمي) عمل نفسه إنه مصدقه، بس بيقول لي إن الموضوع ده اتكرر بكذا شكل قبل كذا بس مارضاش يقولي حاجة عشان مايقطعش عيش الراجل، بس الموضوع المرة دي كبير وفي تقرير لتشريح جثة في قضية قتل اتسرب وهو مش حيشيل مسؤوليته.. معنى كذا إنه ممكن يكون هو اللي طلع التقرير بتاع الجثة الأولى أو الثانية»

قالها وشرد ببصره مرة أخرى، لم أتحدث وظلت أنتظر حتى يفرغ من أفكاره، قام واقفاً فجأةً والتقط الجاكت الخاص به من على الشماعة وقال لي وهو يتجه للباب:

- «بص يا (ابراهيم)، إديني عنوان أخت (سعد الدين)، أنا حروح لها دلوقتي، وانتَ تروح تجيب مساعد (حلمي) ده من قفاه»

هممت بالمضي خلفه بالفعل ، لكن هاتفه رنَّ مرّةً أخرى فأخرجه من جيبيه في عصبية ، نظر فيه طويلاً ، يبدو أن الرقم غير مسجل ؛ لأنه وضع الهاتف على أذنه وسأل عن الطالب في عصبية شديدة.. ظل يستمع للحظات ، ثم قال بعصبية :

- «امتى الكلام ده؟ طيب ، طيب»

وأنهى المكالمة وهو يبدو عليه الغضب الشديد ، سألته وقد شعرت أن تلك المكالمة تمّت بصلة للقضية :

- «حاجة تانية حصلت يا باشا؟»

ظل شاردًا لوهلة ثم نظر إليّ وقال :

- «(مي) ، البنت دي اللي كان مصاحبها (أدهم) ، مختفية عن البيت من امبارح»

لم أرد ، الحقيقة إن ما يحدث في هذه القضية صار لا يعقل.. قال هو كي يريحني من الرد :

- «أنا حروح الأول ل(فريدة إدريس) وبعد كده حروح أشوف موضوع البنت اللي اسمها (مي) دي كمان ، كانت نقصاها الحقيقة ، وانت روح المشرحة زي ما قلتك»

أومأت برأسي وغادرنا حجرة المكتب وأنا أشعر بالغباء كما لم أشعر من قبل..



## «ليلي»

برغم معرفتي التامة أن ما أكنه من شعور نحو (ياسمين) ليس حباً؛ إلا أنني كنت أحتاجها فعلاً في تلك اللحظة.. أعلم أننا لسنا في بيتي، لسنا في السيارة، لسنا في منأى عن الناس.. من الغريب أنني الآن فقط قد لاحظت أنني لم أذهب لبيتها قط، ولم تعرض عليّ هي ذلك حتى، لكن لا يهم، أليس ما يهم الآن فقط أن نكون سوياً؟، أن نلتقي مهما كان المكان؟ عندما تشعر بأن هناك من يحتويك فلا قيمة للأماكن ولا معنى للزمن من الأساس..

كنا نجلس في الاستوديو، قريبين من بعضنا البعض، يعانق كف كل منا كف الآخر، وتتلاقى أعيننا..

- «بحبك»

قالتها فابتسمتُ، لم أجدر على الرد، فلم يعد بوسعي أن أكذب عليها، أعلم أنها تنتظر تلك الكلمة مني هي الأخرى لكنني سأمت من ذلك الكلام الذي لا معنى له.. لماذا يجب أن نضع مسمى لكل علاقة؟ سمعت (أدهم) يقول ذات مرة شيئاً مماثلاً.. هذه صديقتي، هذه أحبها، ألا يمكننا أن نتلاقى فقط لأننا نريد هذا، ونفترق عندما يمل أحدهنا الآخر، ثم نعود لنتلاقى؟ ما أسوأ العلاقات التي يظل الطرفين مع بعضهما البعض بينما لا يريد أحدهما أو كلاهما أن يرى الآخر إلا ساعة واحدة خلال

اليوم أو حتى الأسبوع، لكنها المسميات، تخاف هي من أن تكون مطلقة، ويخاف هو من أن يُقبوه بوزير النساء، تخاف أن يطلق عليها أنها فتاة سيئة، أو امرأة لعوب، في حين تكون تلك التي تتزوج من رجل واحد ويمكن معها زوجها في البيت هي المرأة الصالحة، حتى لو لم يكن زوجها يطيقها، وحتى لو لم تكن هي تطيقه.. فلتسقط المسميات، ولتحيا تلك اللحظة التي تولد شعوراً لا أريد أن أطلق عليه اسماً هو الآخر..

ولكي أتجنب الرد، اقتربت منها كأقرب ما يكون، ثم قبلتها..

قُبلة طويلة، بادلتني هي إياها على الفور، فلم تكن مرتنا الأولى إن كنت تتذكر، لكنها كانت تختلف، لست أعرف لماذا، لكنني لا أريد أن أعرف..

شعرت أن الموجودات تتلاشى من حولنا فلم أعد أشعر بأي شيء..

لم أشعر حتى به وهو يفتح الباب ويدخل..

لم ألحظ وجوده حتى ابتعدت (ياسمين) فجأة والتفتت إليه بكيانها كله..

التفتُ إلي حيث تنظر هي، كان واقفاً يتطلع إلينا ونظرة كرهٍ لم أرَ مثيلاً لها مرتسمة على وجهه..

شعرت ببرودة غريبة تسري في أطرافي و(أدهم) ينظر إليّ بتلك النظرة، أحياناً تكون للنظرات وقعاً يفوق الكلمات، لماذا لا يصرخ؟ لماذا لا يصيح بأعلى صوته ويخبرني أنني عاهرة؟

أنني غير جديرة حتى بالحياة البائسة التي أحيأها؟.. فلتتهرني،  
فلتضربني حتى كما تفعل (ياسمين) أحياناً، لكن لا تقف  
هكذا دون أن تفعل شيء، ذلك الصمت الذي يجعلك تشعر أنك  
تسمع صوت عقلك حتى يكاد يودي بك إلى الجنون.. كانت  
(ياسمين) هي أول من قطع هذا الصمت الذي لم أعد أحتمله..

- «أدهم)، إحنا.. إحنا كنا..»

لم تستطع أن تكمل كلامها، كانت هذه أول مرة أرى على  
وجه (ياسمين) هذا القدر من التوتر، العجيب أنني لم أشعر بأي  
شيء، صاح هو فجأة في غضب هادر:

- «المفروض ما كنتش أستنى لما أسمع من صحابكم  
إنكم ش..... عشان أعرف إنكم كدا.. أنا اللي غبي»

قامت (ياسمين) واقفة وبدا الغضب على وجهها وتقلص فمها  
وبدا عليها كأنما تريد قول شيء ما ولا تستطيع، ظلت تفتح  
فمها وتغلقه عدة مرات، ثم قالت أخيراً كأنما نجحت لتوَّها في  
السيطرة على حنجرتها :

- «انننت اززززاي بتتكلمني آآ كككده؟»

خفق قلبي وأنا أراها هكذا، ولم أفهم ما يحدث لها، ثم  
تذكرت على الفور ما حكته لي عن فقدانها للقدرة على الكلام  
عندما ينهرها أحد، والذي لم يحدث طوال فترة معرفتي بها، لم  
يمهلها (أدهم) فرصة وصاح فيها:

- «أكلمك كده ازاي؟ إنت ليكي عين تتكلمي كمان؟  
مش عايز أسمع صوتك لا انت ولا الشاذة اللي قاعدة جنبك دي»

لم تزعجني الكلمة ، سمعتها كثيراً حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من حياتي ، كان ما يشغلني الآن هو (ياسمين) التي كانت شفاتها ترتعدان وهي تنظر إلى (أدهم) نظرة تحمل الغضب واليأس في مزيج غريب.. لم يجرؤ إنسان على أن يحدثها بهذه الطريقة من قبل ، كانت قد أحاطت نفسها بهالة من الرهبة إلى جانب شخصيتها الكاسحة ، لذا كنت أشعر بأنني لا أدري فعلاً ماذا أفعل وأنا أراها بهذا الشكل لأول مرة.. قمت من مقعدي على الفور ومددت يدي وأمسكت بيدها ثم التفتُ إلى (أدهم) وقلت بعصبية:

- «مممكن تمشي؟ إنتَ شايف هي عاملة ازاي؟ إمشي لو سمحت يا (أدهم)»

ازدادت نظرة الكُره في عينيه وقال بوجه متقلص:

- «إنتِ فعلاً أحقر إنسانة شفتها في حياتي ، أحقر من أي حد قابلته قبل كده ، أنا ازاي صدقت للحظة إني بحبك؟»

شعرت بالدم يصعد إلى رأسي وللحظة تناسيت (ياسمين) التي أشعر بيدها ترتجف في يدي وصحت فيه:

- «إنتَ عمرك ما حبتني ، إنتَ شخص مريض ، بتحاول تنسى (سارة) ب(مي) ، وبتحاول تنسى (مي) بيأ ، كان ليها حق (سارة) تسيبك ، أنا عرفت إنك انتَ كنت صاحبها اللي قالتلي إنها حتسيبه عشان عرفت إنه مريض نفسي ، أنا كنت مستتية أشوفك عشان أسألك ، بس بما إن انتَ هنا دلوقتي يا (أدهم) ، فأنا حسألك لأنني كدا كدا مش عايزة أشوفك تاني

بعد النهارده.. إنت اللي قتلت (سارة) يا (أدهم)؟»

اقترب مني في خطواتٍ بطيئةٍ والشرر يتطاير من عينيهِ ،  
أحطت خصر (ياسمين) -التي كانت يداها مضمومتان تماماً  
ووقفت متجمدة تتابع ما يحدث بعينين زجاجيتين- بيدي وأنا  
أشعر بالخوف فعلاً ، قال هو بطريقة جعلتني أرتعد وأنا أشعر  
بجلد ذراعي يصير كجلد الإوز:

- «أيوا أنا اللي قتلتها ، وكنت أتمنى إني أقتل (مي) وأبويا  
وأي حد خلاني أحس الإحساس اللي أنا حاسه دلوقتي»

التصقت بـ(ياسمين) وأنا أشعر بكل نبضة من نبضات  
قلبي في جانبي رأسي وشعرت بصداع ممزوج بالخوف جعلني  
أفقد القدرة على التركيز ، وإن لم أنزل عيني عن عينيهِ كي  
أكون مستعدة إذا ما أقدم على فعل شيء ما ، ثم اندفع فجأة  
خارج الاستوديو فارتعد جسدي كله من حركته المفاجئة ،  
ثم شعرت فجأة أن قدمي لا تستطيعان أن تحملاني ، كل هذا  
الضغط النفسي ، كل هذا الخوف ، كل هذه الإهانات ، لم أعد  
أحتمل ، فأنا برغم ما في من الخصال السيئة ، بشر ، بشر برغم  
كل شيء..

وانهرت على المقعد وانفجرت في البكاء..

كأنما لم يعد هناك من حولي أي شيء آخر..



## «سيف»

شيء واحد أيقنت به عندما أوقفت سيارتي أمام الفيلا.. لا بد وأن (سعد الدين إدريس) هذا كان (قارون) ذلك الزمن.. لماذا لم يخبرني ذلك التّعس (إبراهيم) أن (فريدة) هذه تسكن في قصر وليس فيلا؟ سأحتاج إلى أن أمضي ما بقي من عمري أدفع أقساط ثمن تلك التماثيل فقط التي تزين السور المعدني الذي يناهز المترين ارتفاعاً.. ظللت أتطلع إلى بوابة القصر لدقيقة ثم اقتربت منها أخيراً في خطوات بطيئة وضغطت على الجرس، أدت عيني في البوابة أتأمل النقوش على الحديد المطروق، ثم رفعت عيني حتى وجدت كاميرا مراقبة تنظر لي من أعلى فنظرت فيها طويلاً، لا بد وأن من في داخل القصر الآن يتساءلون عن كُنه ذلك المعتوه الذي يتطلع بهذه الطريقة المريبة للكاميرا، وبالفعل سمعت صوت فنظرت لأجد جهاز «انتركوم» متطور لم ألاحظه في البداية ثم صدر منه صوت أنثوي يقول في توتر ملحوظ:

- «إنت مين؟ وعمايز إيه؟»

قلت على الفور:

- «مقدم (سيف الأسيوطي)، مباحث»

صمت الصوت طويلاً فعلاً حتى ظننت أنها لن ترد ثانية ثم

قالت فجأة:

- «وسيادتك عايز إيه؟»

قررت أن أخبرها مباشرة بما جئت من أجله:

- «أنا عايز أتكلم مع حضرتك شوية عن بنت أخوكي،  
«أروى»»

صمتت هذه المرة لمدة أطول مما سبقتها، ثم فجأة صدر صوت أزيز من البوابة المعدنية وانفتحت ببطء ثم انبعث الصوت الأثوي مرة أخرى:

- «ادخل بالعربية عشان حتمشي كثير»

وأنا كنت أتحدث بانبهار عن السور..

ها أنا ذا أقود السيارة وأنا أتأمل تلك الحديقة الواسعة التي تحيط بالممر الذي تسير فيه السيارة نحو القصر، كمّ الألوان التي أراها حولي تشعرني بهدوء لم أشعر به منذ فترة، وإن كنت أشعر بالحدقد على (فريدة) تلك قبل حتى أن أراها وأنا أشاهد كل هذا الترف الذي تعيش فيه، فأنا حتى لا أعرف اسم أيّا من تلك الأزهار التي تبهر ألوانها عيني.. لا بد وأن عقلها مزدحم بحفظ أنواع الأزهار والأشجار المختلفة التي لا أكاد أميز أيّا منها.. هؤلاء القوم يتعبون فعلاً!

وصلت أخيراً إلى نهاية الممر ووجدت أن مقولة أن الثراء قد يجعلك تبدو جميلاً أيضاً ليست خاطئة تماماً، فمن تقف أعلى درجات السلم القليلة التي تسبق مدخل القصر هي واحدة من أجمل النساء التي يتعدى عمرها الخمسين التي وقعت عليها عيناى منذ أن صرت مراهقاً حتى هذه اللحظة..

لا بد وأنها هي..

تقف عاقدة كفيها خلف ظهرها وتتنظر نحوي وأنفها المنمنم مرتفع قليلاً لأعلى..

لم تبدُ متسعة، لا بد وأن هذه نظرتها الطبيعية لمن حولها، فهي تملك من حطام الدنيا الكثير حسب ما تراه عيناى.. لم أحبها من النظرة الأولى، أنا أمقت هؤلاء القوم المتعاليين بشكل عام والأثرياء بالوراثة بشكل خاص.. تولد لأب أو أم أو أخ ثري فتضمن مستقبلك دون أن تحتاج أن تفكر في الـ *career path* ولا أن تصاب بالإسهال قبل أول مقابلة عمل.. لا بل لا بد وأنها قد قامت هي نفسها بعمل مقابلة عمل كي تختار من تعد لها القهوة في هذا القصر المتواضع، ولن أستغرب أبداً إن كانت قد اشترطت إجادة تلك الفتاة التي ستصنع لها القهوة لثلاث لغات على الأقل!

أوقفت السيارة أمام السلم، ولفت انتباهي بالطبع السيارة الرولزرويس الفارهة التي أوقفت سيارتي أمامها.. لست خبيراً في السيارات ولم أكن طوال عمري ممن يبنهرون بالسيارات الفخمة، لكن لا يوجد في العالم أجمع من لا يعرف حرفي الـ  $R_R$  الملتصقان والمميزان لشعار رولزرويس.. الحقيقة أنني لم أر مثيلاً لها من قبل.. لم أميز موديلها بالطبع - إن كانت تلك الأشياء تصدر بموديل - وإن أبهرني شكلها الكلاسيكي الفخم الذي ينتمي بالطبع لعالم ما بداخل أسوار هذا القصر، لا أعتقد أن بيع سيارتي موديل عام ٢٠٠٠ - مع أنها ألمانية الصنع - سيكفل لي شراء إطار واحد من إطاراتها..

ترجلت من السيارة وصعدت درجات السلم وأنا أتأمل  
(فريدة).. بشرتها بيضاء مشربة باللون الوردى، بشرة نقية  
وناعمة وإن كانت تجاعيد رقبتها تشي بعمرها، عينان بنيتان  
يعلوهما حاجبان رفيعان، لا بد وأنها قد أمضت وقتاً لا بأس به  
عند الكوافير كي يخرجهما بهذا الشكل شديد التناسق، فم  
وذقن رفيعان يشيان بقسوة غير هينة، وكانت تعقص شعرها  
الكستنائي خلف رأسها وتعهده في شكل كروي، مما أضاف  
لمظهرها رسمية غير محببة، أضف لهذا البدلة النسائية السوداء  
التي كانت ترتديها والمكونة من بنطال وجاكت يظهر تحته  
«توب» أبيض وحذاء أسود ذو كعب عال، لا بد وأن ثمنه يفوق  
راتبي، يعلوه خلخالاً ذهبياً رقيقاً يحيط بقدمها اليمنى، لا تتسى  
النساء أبداً ذلك الشيء، مراهقة كانت أم تستعد لنزول القبر،  
لا بد وأنه يمثل طقساً ما عندهن لا أفهمه ولا أحبه.. كنت الآن  
أشعر أنني أنا الآخر أتيت ليلم عمل مقابلة شخصية لي ولست أنا  
من جاء ليسأل الأسئلة.. الملابس تصنع فارقاً، ولا أحد يخبرني  
غير ذلك..

اقتربت منها فاخترق أنفي على الفور عطرها وصعد إلى مخي،  
رسمت على وجهي ابتسامة ومددت يدي إليها لأصافحها، مدت  
هي يدها اليمنى إليّ دون أن تبتسم، كانت مصافحتها قوية،  
على عكس يدها التي كان ملمس جلدها الناعم يجعلني لا أريد  
أن أتركها، لكنها سحبت يدها وعادت تشبكها مع الأخرى  
خلف ظهرها وسألت بصوتها الذي تعود أن يلقي أوامر على من  
حوله، وإن اختلف بعض الشيء عمّا سمعته في الإنتركوم:

- «خير يا سيادة المقدم؟»

ظللت أنظر إليها ولم أتكلم، مطت هي زاوية فمها وقد فطنت لما يدور في بالي فاتجهت إلى باب القصر الشبه مغلق ودفعت فبتبعها إلى الداخل، أفسحت لي المجال لأعبر ثم أغلقت الباب.. وقفت أتأمل داخل القصر الذي يبدو وأنه كلما توغلت فيه كلما ازددت انبهاراً، لكني لا أنكر أن ذوقها راق فعلاً، في اختيار الموبيليا، وفي الإضاءة، وفي كل شيء.. اقتادتني في خطوات بطيئة نحو صالون أنيق يبعد عن الباب بحوالي عشرة أمتار، ثم جلست على أحد مقاعده الوثيرة فاتجت للمقعد الذي بجوارها فجلست، واضعة ساقاً فوق الأخرى وشبكت أصابع يديها وأسندتها على ركبتها وهي تنظر لي في نفاذ صبر.. وبرغم ملامحها الجامدة وهدوئها الذي تفضحه ساقها التي تهتز في عصبية، إلا أن زاوية فمها كانت ترتعد برعشة خفيفة وفي عينيها الخاليتين من المشاعر رأيت ذعراً لا أعرف كيف رأيته.. فركت يدي ثم قلت وأنا أشعر أنني قد أحسنت التصرف تماماً عندما قررت أن آتي إلى هنا بنفسني:

- «مدام (فريدة)، أنا حدخل في الموضوع على طول عشان ماضيعش وقت حضرتك اللي واضح إنه ضيق، إحنا عرفنا إنك سافرتي من خمس سنين لانجلترا لما أخوكي اتوفى، وبعدها بسنة رجعتي لوحداك مصر، بس من غير (أروى)، أنا عايز أعرف بنت أخوكي فين، وليه مارجعتش معاكي مصر»

ازداد ارتفاع أنفها لأعلى وقالت بلهجة حادة:

- «إنتوا عايزين منها إيه؟ (أروى) اتعالجت في انجلترا،

---

وأعتقد إن كفاية أوي إنها فقدت أبوها وأمها ، ابعدوا عنها بقى»  
ابتسمتُ في سخرية وقلت :

- «ما احنا بعاد عنها فعلاً ، مش هي في انجلترا؟»

ظللنا نتبادل النظرات لما يقرب على الدقيقة ، أعتقد أنها فهمت ما لم يفهمه (إبراهيم) من إصراري على معرفة مكان (أروى) ومكانها الحالي في إنجلترا..

هذا لأنني -ولسبب لا أدريه سوى أنه الحدس الذي نما معي من كثرة ما رأيت من قضايا- أشعر وأن (أروى) هذه لم تعد في إنجلترا..

بل هي هنا..

في مصر..

وفي الإسكندرية بالذات..

لم ترد ، كان من الواضح أنها تمارس معي لعبة التظاهر بالغباء.. اختيار غير موفق أيتها التعسة ، قلت بلهجة رسمية جافة:

- «إحنا بنحقق في قضية اتقتل فيها أربعة ، ثلاث بنات في سن (أروى) وراجل ، والبنات دول اتقتلوا بنفس الطريقة اللي (أروى) قتلت بيها أمها ، والراجل اللي اتقتل هو الدكتور النفسي اللي كان بيشرف على حالة (أروى) أيام القضية بتاعتها»

عاد الارتعاد في زاوية فمها إلى الظهور مرة أخرى ، ولم تستطع هذه المرة أن تخفي نظرة الذعر في عينيها وإن احتفظت بتماسك يديها ووضع جلستها ، تلك المرأة أقوى مما اعتقدت.. رفعت أنفها عالياً مرة أخرى وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت بلهجة حادة وإن

بدت مهزوزة للغاية:

- «(أروى) مالهاش علاقة بأي حاجة من اللي حصلت، وازاي  
حيكون ليها علاقة وهي في انجلترا؟»  
صَحْتُ وقد بدأت أفقد أعصابي:

- «وهي فين (أروى)؟» وليه مش عارفين نوصل لأي معلومات  
عنها، كأنها مش موجودة؟»

ظهر الغضب على وجهها حتى شعرت للحظة أنها ستنفجر في  
هي الأخرى، ثم جاء ردها بصوتٍ هادئٍ على عكس ما توقعت:  
- «علاقتي بـ(أروى) انقطعت من ساعة ما رجعت مصر، الدنيا  
هناك غير هنا، من حق البنت الصغيرة دي إنها تقرر عايزة تقعد  
معايا ولا لأ، وهي اختارت، وأنا احترمت الاختيار ده، فأكيد  
مش أنا الشخص اللي ممكن تعرف منه معلومات عنها»

ظلمت أنظر لعينيها.. كان الذعر باد تماماً في عينيها، هناك  
شيء ما تخفيه تلك المرأة، لكنني أعرف أنها لن تتحدث.. حسناً،  
فلننهي هذه الجولة لصالحها، فقد حان الوقت أن أذهب.. نهضت  
واقفاً بالفعل وقلت لها وأنا أعقد أزرار الجاكت:

- «أنا متشكراً يا مدام (فريدة)، وآسف على الإزعاج»

قامت واقفة وأومأت برأسها، لكنها لم تمد يدها، لم أهتم  
بمصافحتها واتجهت للباب..

نزلت درجات السلم وأنا أتجه لسيارتي والتفتُ لألقي نظرة  
على السيارة الروولز-رويس مرة أخرى، فقد تكون هذه آخر مرة  
أرى فيها مثل تلك السيارة العجيبة التي ستجعلني أهتم بالسيارات

---

فيما بعد.. لفت انتباهي أن هناك سيارة أخرى صغيرة تقف خلفها.. لم أسمع صوت سيارات تقترب وأنا أجلس مع (فريدة) في الداخل، يبدو أنني لم ألمحها حين دخولي لأنها كانت تختفي خلف الروولز-رويس الضخمة، سيارة صغيرة كورية الصنع، لا تنتمي بكل تأكيد لعالم (فريدة) الفخم الذي تشعر أن كل شيء فيه تم شراءه بعملة أخرى غير التي نتعامل بها..

ظلت أطلع لثوانٍ للسيارة الأخرى، ثم التفتُ إلى (فريدة) التي كانت واقفة ترمقني بنفس النظرة الجامدة فاتجهت لسيارتي وتحركت بها على الفور، ولم يفتني أن ألقى نظرة أخرى على (فريدة) التي كانت لا تزال واقفة تتابعني حتى غادرت البوابة..



## «وليد»

بالرغم من أنني لم أكن أحبها فعلاً وأعتقد تماماً أنها كانت تمثل كل ما أكرهه لدى الفتيات، إلا أنني شعرت بحزن حقيقي وأنا أجلس في صالة بيتهم أنا وأصدقائنا في الجامعة وأرى عائلتها وصديقاتها وهم يرتدون السواد والحزن يغلفهم.. حاولت الاتصال بـ(أدهم) عدة مرات إلا أن هاتفه ظل مغلقاً، لا أعتقد أنه كان سيحب أن يرى مراسم عزائها، حتى بعد ما فعلته هي معه، ولا أن يرى (كريم) الذي كان يجلس بجانب أمها وفي عينيه حزن مصطنع للغاية.. قاومت شعوراً طاعياً في أن أذهب من خلفه وأصفعه على مؤخرة رأسه، أعلم أن هذا سيريجني لمدة شهر كامل على الأقل، لكن أعتقد أن الوقت ليس مناسباً الآن لذلك، لكنني سأفعلها يوماً ما، هذا وعد..

في الجهة المقابلة من أم (مي) كان يجلس رجل يبدو في أواخر الأربعينات، لم أتعرفه في البداية ثم تبينت أنه الضابط الذي استجوبني صبيحة مقتل (مايا) بصفتنا زملاء في نفس الرحلة اللعينة إلى القاهرة.. بالطبع لا بد وأن يكون هنا، حادثة قتل أخرى مثل ما سبقها لا بد وأن تجعل الشرطة يقيمون هنا في المنزل معهم، لهذا كانت أم (مي) تبدو غضبى أكثر منها حزينة، يبدو أن (سيف) هذا كان يمطرها بالأستلة، هو معدوم الإحساس تماماً كي يأتي الآن ليستجوبها ولم يمر على مقتل ابنتها سوى يوم واحد، بل هي حتى لم تدفنها بعد ولا تزال -على

حد قول إحدى زميلاتنا- في المشرحة، توجست من الفكرة وظللت أنظر إلى الأرض محاولاً تحاشي النظر إلى أي من أقاربها وأصوات النحيب تتصب داخل أذني وتضغط على أعصابي، رن جرس الباب في تلك اللحظة فأخرجني إلى حد ما من هذا الجو النفسي السيء، وإن كنت أخشى أن تكون واحدة أخرى من صديقاتها وقد أتت بحنجرة طازجة لم يرهقها البكاء والعيول بعد، وقد قررت أن تدلي بدلوها هي الأخرى وتثبت أنها كانت أكثرهم حزناً على فراقها..

اتجهت أم (مي) إلى الباب، يبدو أن أباه لم يأت من سفره بعد، وحتى لو كان قد أتى فلن أميزه بين الجالسين، فلم أره من قبل.. تبا للغربة، أعتقد أن لحظة كهذه كفيلة بجعلك تشعر أن كل تلك الأعوام التي قضيتها بعيداً عن عائلتك من أجل أن توفر لهم معيشة أفضل قد ذهبت هباءً، فما هي ابنته قد ماتت ولم يحضر حتى ليأخذ عزاءها.. لا أريد أن أكون مكانه وأتلقى مكالمة مثل تلك بأي حال من الأحوال.. تذكرت والدي في هذه اللحظة، ولم لا أتذكره وهو موجود في كل وقت؟ يكفي صوت سلسلة مفاتحة وهو يفتح باب البيت كي تشعرني بالأمان.. وأنا الذي كنت أريده أن يبتعد قليلاً، أن يكف عن إلقاء الأوامر، هو دائماً هناك، وهذا ما يهم، سأرحل من هنا ثم سأذهب إليه فوراً وأقبل يديه، على الأقل أشعر أن لدي أب أعود إليه عندما تسود بي الدنيا برغم كل شيء..

فتحت أم (مي) الباب فظهر على عتبة آخر من كنت أتوقع رؤيته في هذه اللحظة..

(أدهم)..

وخفق قلبي في عنف..

أنا أعلم تماماً أن هذا اللقاء لن يمر على خير.. ما الذي أتى بك  
هنا الآن أيها المتخلف؟..

تبادل مع أم (مي) نظرة ثم لدهشتي صاحت هي فجأة  
بهيستيريا شديدة:

- «إنتَ ليك عين تيجي هنا؟ ولا كويس إنك جيت، اقبض  
عليه يا (سيف) بك، أهو جه لغاية هنا برجليه، اللي قتل بنتي جه  
لغاية هنا برجليه»

(سيف) بك؟.. حتى وهي منهارة وتودع ابنتها لم تتناسى إدعاء  
أنها بورجوازية، نظرت ل(أدهم) فوجدت وجهه قد احمر بشدة  
وقال بصوت مهزوز:

- «أنا جيت عشان أعزّي في (مي)، أنا ماقتلتهاش، مش أنا  
اللي عملت كدا»

- «لأ أنتَ اللي عملت كدا، ما فيش غيرك اللي ممكن يعمل  
كدا، إنتَ ما قدرتش تستحمل إنها سابتك واختارتني أنا، إنتَ  
فعلاً مريض»

نقلت بصري بين (كريم) و(أدهم) الذي ازداد احمرار وجهه  
بشدة ولم يرد فقال (كريم) وهو يلتفت إلى (سيف):

- «اقبض عليه يا (سيف) باشا، واحد مريض زي ده ماينفعلش  
يتساب وسط الناس كدا، مانعرفش ممكن يقتل مين ثاني»

وكان هذا أقصى ما يمكنني تحمله..

لم أفكر كثيراً ، وجدت نفسي أندفع نحو (كريم) وأمسكه من ياقته ثم ألكمه بيدي في وجهه.. اشتعل الموقف كله فجأة وسمعت صرخات من خلفي ، ثم وجدت من يرفعني من الخلف ويلقي بي بعيداً عنه..

- «إنتم الاتيين لو ما بطلتوش شغل العيال الهبلة اللي انتوا بتعملوه ده حقبض عليكم دلوقتي وحطكم في الحجز لغاية ما تكبروا كده وتعقلوا».

نظرت لـ(سيف) الذي كان شاهراً مسدسه لأعلى ويبدو من ملامح وجهه المتقلصة وجحوظ عينيه أنه يعني فعلاً ما يقول.. اتجه هو نحو (أدهم) وأمسك به من ياقته ودفعه ناحية الحائط فارتطم رأسه به وصاح بغضب:

- «وانت بقى مش حتبطل تكون موجود دايمًا في المكان الغلط ، زي ما تكون بتشوف احنا بندور فين وبتروح قبلنا عشان نلاقيك؟ إهدا شوية ، أنا (ليلي) كلمتني وقالتي إنك قتلتها إنك انت اللي قتلت (سارة) ، بس أنا عرفت منها إنك كنت متعصب وقلت الكلام ده عشان تخوفها.. أنا عارف إن مش انت اللي قتلتها ، بتعمل في نفسك كده ليه؟ بتجيب إشاعات على نفسك وتحط نفسك في دايرة الشك ليه؟ أقبض عليك انت كمان دلوقتي؟ أحطك في الحجز مع ناس يعلموك تتصرف ازاى؟ إنت ولا فاهم دنيا ولا فاهم في أي حاجة تانية ، دكتور إيه بس ، يلا امشي من قدامي دلوقتي ، إمشي وخلينا نشوف شغلنا بقى ، يلا»  
بدا على (أدهم) كأنما على وشك أن يهوي مغشياً عليه ، لكنه تحرك ببطء وغادر المكان.. أدرت عيني بين (سيف)

و(كريم) وأم (مي)، هؤلاء القوم لا يكادون يشعرون من الأساس وفقدوا آدميتهم منذ زمن، ألقيت عليهم نظرة كارهة ثم اندفعت خلف (أدهم)..

كان قد وصل إلى الشارع في تلك اللحظة فأسرعت حتى وصلت إليه ثم أمسكت به من ذراعه ليتوقف فأجفل والتفت إليّ ثم أبعد ذراعه بحركة عنيفة واستمر في المشي، جذبته من ذراعه هذه المرة بعنف ليتوقف، فالتفت إليّ وفي عينيه نظرة غضبي، لكنني لن أتوقف، كان هناك سؤال يلحُّ في داخلي وأريد أن يجيب عليه الآن ثم ليذهب بعدها إلى الجحيم..

- «(أدهم)، انتَ قلت لـ(ليلي) إنك قتلت (سارة) زي ما (سيف) يقول؟»

لم يرد.. الصمت الشديد حولنا ونظراته تلك جعلتني أفقد أعصابي أكثر فأكثر، جذبته من ذراعه بعنفٍ أكبر وصحّت مرة أخرى وأنا أشعر بعينيّ على وشك الخروج من محجريهما:

- «رد عليّ، انتَ قتلتها كدا؟ قتلتها فعلاً يا (أدهم) ولا قتلتها كدا عشان تخوفها زي ما (سيف) يقول؟»

وكأنما صار الضغط بداخله أعظم كثيراً مما تتحمله روحه، انفجر (أدهم) فجأة في البكاء، لا، ليس هذا صوت بكاء، بل صوت بخار يخرج من صمام أمان، ما كل هذا الألم؟.. شعرت بغصة تعصر قلبي وأنا أعلم أنني ما كان يجب عليّ أن أضغط عليه أنا الآخر وهو في هذه الحالة، مددت يدي ووضعتها على كتفه فأبعدها في عنف، نظر لي بعينين ملأتها

---

الدموع والغضب والألم في مزيج غريب وقال بصوتٍ متهدج:  
- «كنت عايزني أعمل إيه بعد ما شفيتها مع (ياسمين)؟ إنت  
قتلتي، وخليت صاحبك يقولي، وكل الناس عارفة، بس أنا  
لازم أضحك على نفسي وأقنع نفسي باللي أنا شايفه بس، كان  
لازم أخوفها مني، على الأقل أحس إنني مش ضعيف قوي كدا..  
ماحدث حاسس باللي بيحصل معايا، عمر ما حد فهمني»  
قالها وتكور على نفسه واستمر في البكاء وجسده يهتز  
بشدة، ثم وقع على ركبتيه على الأرض..  
للحظة لم أعرف ماذا أفعل، ثم اقتربت منه وجلست على  
ركبتي أنا الآخر وأخذت أربت على كتفيه وأنا أشعر بالغصة  
داخل صدري تزداد وتعتصر قلبي أكثر فأكثر..  
ماذا فعلت يا (أدهم) حتى تستحق كل هذا الألم؟..  
ماذا فعلت؟..



## «سيف»

- «إيه بقى الأخبار الجديدة اللي كنت عايز تقابلني عشان  
تبلغني بيها؟»

قلت وأنا أتفرس في ملامحه:

- «أخبار كويسة معاليك، إحنا لاقينا نسخة ثانية من  
الشرايط والسيديهات اللي دكتور (حسين) اللي اتقتل كان  
بيسجلها للمرضى بتوعه، كان شايل نسخة في البيت عنده  
ومراته جابتهانا، دي خطوة مهمة أوي لأننا حنعرف (ريهام)  
قالت له إيه بالضبط»

كنت لا أزال أتفرس في ملامحه.. لا شيء، لا يوجد أدنى  
تغيير، ثبات انفعالي يحسد عليه.. هذا الرجل يستحق منصبه  
بكل تأكيد.. قلت:

- «(حسين) كان بلغني إنها استخدمت اسم مستعار.. للأسف  
ماهتمتش وقتها إني أعرفه منه.. كان ممكن يسهل علينا واحنا  
بندور في الشرايط بدل ما نضطر نسمع الشرايط كلها عشان  
نوصل للشريط المطلوب»

ظل يتطلع إليّ بنفس الوجه الجامد، شخصيته الكاسحة  
بادية تماماً على وجهه.. لا أعرف إن كانت زوجته وأولاده  
يتحملون تلك النظرة هم الآخرين أم لا. لا بد وأنه لا يرفع صوته  
في البيت أبداً.. يكفي تلك النظرة للأولاد والمدام ليقوموا

بواجباتهم الدراسية ولتعد هي الطعام أو لتصمت عن الحديث كي لا تصيبه بالصداع.. لا أحب أن يكون عمري عشر سنوات ثم أجد من ينظر لي هذه النظرة ليخبرني أن عليّ أن أذاكر دروسي، لا أعرف إن كنت سأحب المدرسة بعدها أم سأهرب من البيت ولا أعود أبداً، قال أخيراً بصوتٍ أحادي النغمة أيضاً:

- «في حاجة ثانية عايز تبلفني بيها؟»

هززت رأسي وقلت:

- «لأ معاليك، إحنا حنستى الشرايط تطلع من الطب الشرعي وياخدوا البصمات من عليها وحبنتدي بعدها فوراً نفرز الشرايط»  
شرد ببصره للحظة، ثم مط شفتيه وأوماً برأسه وهو يقول:

- «ماشى، ابقى بلفني بكل جديد»

قلت وأنا أقف:

- «أوامر معاليك»

ثم أدت التحية العسكرية له واتجهت في خطوات سريعة إلى الباب..



فتحت باب مكتبي لأجد (إبراهيم) يندفع خلفي للداخل قبل أن يغلق الباب وفي يده عدة أوراق.. قال مباشرة دون أن يلقي عليّ التحية وهو يتصفح الأوراق التي في يده:

- «أنا لو كنت قابلت واحدة زي (فريدة) دي قبل ما اتجوز كان

زمان سيادتك لما رحنا لآقتي قاعد هناك بروب-دي-شامبر»

قلت وأنا أتجه لمكتبي:

- «وهي حتبص لواحد زيك ليه يا (ابراهيم)؟»

لم بيدُ عليه أنه سمع جملتي الساخرة؛ لأنه قال على الفور:

- «أنا دخلت على حساباتها على فيسبوك وانستجرام.. الست

دي مابترحش البحر؟ ما بتلبسش جينز؟ ما بتنزلهش تمشي؟ كل

صورها ببديل كلاسيك، شعرها لمامه ورا راسها، مابتلبسش

شيشب حتى، أنا حاسس إنها بتنام بالبدلة»

قالها وهو يمد يده إليّ ببعض الصور التي يبدو أنه طبعها

مباشرة من حساباتها على مواقع التواصل.. هي بالفعل تظهر في

الصور بنفس موديل البدلة التي رأيتها ترتديها لكن باختلاف

الألوان التي لم تتعد الكحلي والرمادي والأسود.. تظهر في

الصور وحيدة، بابتسامة رسمية.. توقفت عند صورة ترتدي

فيها نفس البدلة لكن باللون الأبيض وتبدو من خلفها سيارتها

الفارحة..

- «حتى عريبتها، رولز-رولس فانتوم يا (سيف) بك، أنا

عارف إن سيادتك ما بتحبش العربيات، بس العربية دي حاجة

صعبة قوي»

(إبراهيم) معه حق، هي حقاً سيارة تختلف، ظللت أتأمل

الصورة الوحيدة التي تظهر فيها (فريدة) بالأبيض، جميلة عندما

ترك الألوان القاتمة، حتى في هذا السن، صورة بجانب شلالات

الفيوم، يبدو أنها كانت في رحلة ما على غير عاداتها في الصور

الأخرى التي تكون فيها غالباً داخل قصرها.. قلبت الصورة التي

تليها ثم تذكرت أنني رأيت شيئاً ما فعدت إلى صورتها بالأبيض..  
الصورة بعيدة نوعاً ما ، لذا كانت سيارتها الفارهة تظهر  
بالكامل.. ليس هذا ما لفت نظري ، ما جذب انتباهي أن هناك  
سيارة تقف خلف سيارتها تماماً ، كان من الممكن أن يكون  
هذا عادياً لولا أنها نفس السيارة الصغيرة التي رأيتها في الثيلا  
تقف خلف سيارتها ولم ألاحظها في البداية.. نفس الموديل ، نفس  
اللون ، قربت الصورة من وجهي وأنا أتمعن فيها.. أرقام السيارة  
تظهر نصفها فقط ، ثلاث حروف ثم تختفي الأرقام ، حاولت  
تذكر الأرقام التي كانت على السيارة يوم رأيتها في قصر  
(فريدة) لكن هيهات ، شرود ذهني في هذه الفترة سيودي بعلمي  
في المباحث لا ريب..

- «في حاجة يا باشا؟»

التفتُ إلى (إبراهيم) وأنا أفكر في تلك السيارة.. قد تكون  
لإحدى صديقاتها ، لكن مَنْ هم مثل (فريدة) لن تربطها صداقة  
إلا بمن في نفس مستواها الاجتماعي.. فلمن إذن تلك السيارة؟..  
عامّةً لن نخسر شيء بالبحث عنها قلت لـ(إبراهيم) الذي كان  
ينتظر إجابتي المتأخرة كعادته وأنا أشير للصورة التي في يدي:

- «شايف البيكانتو الرصاصي دي يا (إبراهيم)؟ النمر  
بتاعتها باين نصها بس ، الحروف ، عايزك تشوف مع المرور كل  
البيكانتو اللي باللون ده ويببتدوا بنفس الحروف دي وشوف مين  
في الليسته اللي طلعتها له علاقة بـ(فريدة)»

ظل ينظر لي وعلامات عدم الفهم متجلية على وجهه فقلت:

- «العربية دي أنا شفتها في فيلا (فريدة) لما رحلتها ، بس  
للأسف ماجاش في بالي آخذ النمر بتاعتها»

ظل ينظر لي بنفس النظرة ثم قال :

- «طيب وسيادتك شاكك ليه في العربية دي؟ حنكسب إيه  
لما نعرف هي بتاعة مين؟»

لم أرد أن أشركه معي الآن فيما أفكر فيه ، لذا قلت له  
بعصيبة :

- «إعمل اللي قتلتك عليه يا (ابراهيم) وحضهمك بعدين»

بدا الضيق على وجهه ومط شفتيه ثم قال بحدة حاول إخفاءها :

- «أوامر سيادتك»

ثم أتجه إلى الباب في خطوات سريعة..

ليس هذا هو الوقت المناسب يا (إبراهيم) ، سأخبرك بكل  
شيء لكن في وقته ، فما أفكر به الآن ليس شيئاً يمكنني  
شرحه لك..

إنه الجنون..

الجنون بعينه..



## «أدهم»

كنت أسير وأنا أشعر أن حياتي ليست سوى سراب، فقط سراب.. أردت أن أبكي كما بكيت ليلة أمس بعد زيارتي لبیت (مي) لكن يبدو أن حتى ذلك المتفلس لم يعد ممكناً.. (سارة)، (مي)، (ليلي)، حتى (ياسمين)، من المؤسف أنه لا يوجد من بينهم علاقة واحدة يمكنني أن أطلق عليها حب، هي لم تكن سوى ارتباط عاطفي، حتى (سارة) و(مي)، ما شعرته نحوهما هو انتحال للعاطفة، ملئ للفراغ العاطفي الذي أشعر به، ليس إلا، والعجيب أنني لم يكن يمكنني أن أصارح نفسي بكل هذا.. (سارة) قُتلت، (مايا)، (مي)، وأنا حتى لا أعرف إن كنت قد قتلتهم أم لا..

ما قالته (ليلي) وما قاله (كريم) صحيح، أنا فعلاً مريض نفسي وأستحق كل ما يحدث لي..

وصلت للبيت، لم أضرب الجرس، لا أريد أن أراها، أخرجت سلسلة مفاتيحي بيدٍ مرتجفة أسيطر عليها بصعوبة، ثم فتحت الباب لأجد أنوار البيت كله تقريباً مضاء.. كانت هناك أصوات نسائية قادمة من حجرة المعيشة التي لا نكاد نجلس فيها تقريباً أنا وهي بعد وفاته.. هل هي إحدى صديقاتها؟ لم أعرف لها صديقة منذ فترة طويلة ولم تزرنا إحداهن - إن كانت هناك واحدة من الأساس - منذ زمن.. كدت أتجه لغرفتي ثم

فكرت في أن ألقى نظرة فقط لأعرف مَنْ معها ثم أتجه بعدها إلى غرفتي، وبالفعل اقتربت من الحجرة كي أستطيع أن أرى من هناك من زاوية لا تمكّنهم من رؤيتي، بدأت أميز الصوت شيئاً فشيئاً حتى لاح وجه الجالسة مع أمي وهما يتحدثان عن شيء لا بد وأنه شيق لأنهما كانتا تضحكان في مرح..

ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟..

عدلت عن فكرة الذهاب إلى غرفتي ودخلت على الفور من باب حجرة المعيشة لأقف أمامهما..

توقفت ضيفتها عن الكلام ونظرت إليّ بابتسامة فالتفتت أمي إليّ وابتسمت ابتسامة لم أرها على وجهها منذ فترة طويلة وقالت:

- «(كارما) مستتياك بقالها ساعة، قعدنا نتكلم مع بعض وماحسيناش بالوقت، مش تقولي إن زميلتك في الكلية قمر كدا؟»

بدا على (كارما) الإحراج ونظرت للجهة الأخرى ثم قالت بصوتٍ خافت:

- «ميرسي يا طنط، ده من ذوقك بس»

طنط؟.. أنا أرى خطبة ودبليتين وزغاريد تتسج أمامي الآن بين هاتين الأنثيين.. هن لا يعرفن أي شيء.. لماذا لا تفهمان أنني مريض نفسي، ليست لدي القدرة ولا الرغبة في الارتباط والحب والعيش كشخص طبيعي؟.. شعرت بالدم يصعد إلى رأسي ورمقت أمي بنظرة يبدو أنها أرعبتها لأن وجهها تغير وابتعلت

ريقها وقالت وهي تقف وتتجه لخارج الحجرة:

- إحنا شربنا شاي أنا و(كارما)، حعملكوا شاي تاني بقى  
انت وهياً»

ثم غادرت فالتفت ل(كارما) التي كانت تنظر لي بوجنتين  
حمرأوين، لم أقل أي شيء، ظللت أنظر لها وأنا أتساءل ما الذي  
تفعله هي هنا الآن..

- «إزيك يا (أدهم)»

قلت لها على الفور:

- «إيه اللي جابك هنا يا (كارما)؟»

اختفت الابتسامة من على وجهها وفركت يديها ثم عدلت  
شعرها وهي تنظر إلى الأرض ثم التفتت لي وقالت:

- «إنت اختفيت فجأة يا (أدهم)، ما بتردش على تليفونك،  
وما بتجيش حتى الكلية، ما بشوفكش خالص، مواعيدك غير  
مواعيدي، معرفش انت بتروح أصلاً ولا لأ، سألت عليك (وليد)  
ماقاليش حاجة مفيدة»

ثم نظرت إلى النافذة وعدلت شعرها مرة أخرى وقالت بصوتٍ  
خافت:

- «أنا كنت طيارة من الفرحة لما خرجنا أنا وانت وعزفتلي  
على البيانو، كنت حاسة إن كل الناس اللي حوالينا مش  
موجودين وإن انت بتعزفتلي أنا بس، وطرت أكثر من الفرحة  
لما قلتلي آجي معاك البروفة مع (ياسمين)، كنت حاسة إنني  
ابتديت أشاركك كل حاجة في حياتك، الكلية والبيانو، ويوم

ما طلعنا مع بعض الرحلة وقعدت جنبي، أنا قلت مش حنبطل كلام، وفضل أحكيك، عني، وعن كل حاجة بحبها، وحسمك، بس أنت سببتي ورحت ل(ليلي) وصاحبها (مايا)، و(ياسمين).. إنت ماتعرفش أنا كنت حاسة بإيه وقتها، مش عارف مشاعري كانت عاملة ازاي وأنا شايفك بتعمل كده وانت مش شايفني أساساً.. إنت بتعمل معايا كده ليه يا (أدهم)؟ ممكن أعرف؟ ممكن تفهمني؟»

لم أستطع الرد.. كنت أشعر كأنما قد فقدت القدرة على النطق، ما أسمعُه الآن يشعُرني أي أحمق كُنْتُه.. لقد فعلتُ معها بالضبط ما فعلته معي (ليلي).. حزنت وغيضت مما فعلته هي معي، فقط لأفعل المثل مع أخرى أعلم أنها تُكن إلي الكثير من المشاعر.. الواقع أنني تناسيت أنها هناك من الأساس.. كل ما فكرت فيه هو نفسي، نفسي فقط..

ثم ألوم على أخرى عندما تفعل معي المثل..

قامت هي واقفة واقتربت مني ثم نظرت في عيني مباشرة وقالت بصوتٍ متهدج:

- «(أدهم) أنا بحبك، بحبك أكثر ما حبيت أي حد أو أي حاجة تانية في حياتي.. أنا ماكنتش متخيلة إني حقولك كدا في الوقت ده، وانت بتعمل فياً كدا.. وانت بتحسني إني مش موجودة، في الوقت اللي أنا حاسة إن وجودي معناه وجودك جنبي وإن الحياة من غيرك مالهاش معنى»

أشحتُ بوجهي وأنا أتجنب النظر إلى وجهها فمدت يدها

وأدارت وجهي ناحيتها ثم نظرت في عيني مباشرة بعينيها  
الممثلةتين بالدموع وقالت بصوتٍ خافت:

- «(أدهم)، أنت بتحبني؟ مش لازم تكون بتحبني زي ما أنا  
بحبك، عمرك ما حتكون بتحبني زي ما أنا بحبك، بس على  
الأقل أنت بتحبني؟»

شعرت بقلبي ينبض بعنف، ليس بفعل الحب، لكن بفعل  
الشفقة.. هي تحب من كان يحب فتاة، ثم فتاة أخرى ثم أخرى،  
ثم اكتشف فجأة أنه لم يحب أي واحدة منهن وليس متأكداً من  
الأساس إن كُنَّ قد أحببته فعلاً أم لا.. ثم هما قد قُتلا وهو لا  
يعرف حتى إن كان هو من قتلها أم لا.. أمسكت بيدها برفق  
فلان وجهها قليلاً ثم أبعدها عن وجهي وتركتها فتحولت النظرة  
في عينيها إلى الأسى، قررت أن أخبرها بكل شيء، على الأقل  
كي تعرف سبب عدم قبولي لعلاقتنا التي لم تبدأ من الأساس  
مع أنه من الواضح أنها بدأت لديها منذ زمن.. قلت:

- «(كارما)، دي أجمل حاجة اتقالتلي من ساعة ما اتولدت  
تقريباً، إنت جميلة ورقيقة، بس أنا ماينفعلش حد يحبني»

كانت عيناها متسعتان بشدة وهي تسمعني وقد انفرجت  
شفتاها قليلاً، هذا ما يمكن أن نسميه أنها تسمعني بكل  
جوارحها.. لماذا لم يكن أبي يسمعني مثلما تفعل هي الآن؟..  
لماذا لم تكوني أنتِ من البداية يا (كارما)؟.. قلت:

- «أنا مش شخص سوي زي ما انتِ متخيلة، (كارما) أنا  
مريض نفسي، أنا عندي حاجة غلط من ساعة ما كنت صغير،

ولغاية دلوقتي مش عارف أتعالج منها ، وماحاولتش أتعالج منها  
من الأساس»

خفضت رأسها قليلاً وهي لا تزال تنظر في عيني ثم قالت:

- «مممكن تقولي إيه هي الحاجة اللي عندك دي؟»

لم أستطع الاستمرار في النظر في عينيها فأشحت بوجهي  
للجهة الأخرى وأخذت نفساً عميقاً لأهدأ بعض الشيء ، ثم قلت  
دون أن ألتفت إليها :

- «وأنا صغير كان عندي قُط ، في يوم لقيته مايبتهركش ،  
ولسانه طالع لبره ، ماكنتش فاهم هو إيه اللي حصله وفضلت  
أهز فيه عشان أصحيه ، فجأة أبويا دخل علياً وقالوا إن أنا اللي  
قتلته ، فضلت أقوله إنني ما عملتش حاجة بس هو ماصدقنيش  
وحبسني ، يومها فُقت فجأة لقيتني في أوضة تانية غير اللي كان  
حابسني فيها وماما جنبي ، وفضلت بعدها بفوق فجأة ألقى  
نفسي في مكان تاني غير اللي كنت فيه وأنا معرفش إيه اللي  
حصل»

ابتلعْتُ ريقِي وأنا أتذكر ما حدث يومها كأنه حدث البارحة ،  
ثم التفتُ إليها فوجدت عينيها قد ازدادت اتساعاً وظهر فيهما  
الرعب ، ضايقتني نظراتها فأشحت بوجهي مرة أخرى ثم قلت:

- «يوم ما (سارة) اتقتلت أنا كنت في البيت ، في أوضتي  
بقرا ، فجأة صحيت لقيت النهار طلع ولقيت الكتاب جنبي ،  
عرفت بعدها إن (سارة) اتقتلت ، ما شككتش في حاجة يومها ،  
مع إنني مش عارف نمت ازاي ، بس يوم (مايا) ما اتقتلت ، يوم

الرحلة، أنا ما رجعتش البيت، ركنت العربية في شارع قريب من مكان ما نزلنا من الأوتوبيس، كنت عايز أتمشى شوية عشان كنت متضايق، فجأة صحيت لقيت نفسي على الأرض جنب العربية، معرفش اللي حصل، معرفش أي حاجة، وكنت متبهدل، أخذت العربية وروحت عالييت وعرفت بعدها إن (مايا) اتقتلت، وفي يوم ما (مي) اتقتلت أنا كنت في الاستوديو، وصلت هناك ومشيت بعدها على طول وأنا متعصب وغضبان، وفجأة فقت بعدها لقيت نفسي في العربية.. كل اللي أنا فاكره إنني طلعت من باب الاستوديو وكنت بعدي الشارع معرفش اللي حصل، معرفش وصلت العربية ولا دخلت جواها ازاي، معرفش أي حاجة»

التفتُ إليها مرة أخرى فوجدت أن نظرة الترقب قد حلَّ محلها نظرة أخرى لم أتوقع وجودها مطلقاً وأنا أخبرها بشيءٍ مثل هذا.. وجدت في عينيها حنان.. حنان خام، كأنما قد وجدت لتوِّي منبعه في الكون.. لكم تمنيت أن تملك أُمي نصف هذا الحنان.. نصفه فقط..

ابتلعتُ ريقِي وقلت بصوتٍ متهدجٍ ما أظن أنها استنتجتة لكني أريد أن أخبرها إياه بالحرف حتى لا تتصنع فيما بعد أنها لم تكن تفهم:

- «أنا لغاية دلوقتي معرفش إذا كنت قتلت (سارة) و(مايا) و(مي) ولا لأ»

وما أنهيت الجملة حتى سمعنا صوت تهشم زجاج، صرخت

(كارما) والتصقت بي.. انتفضت وأنا ألتفت إلى مصدر الصوت فوجدت أمي وقد أوقعت صينية الشاي على الأرض ووقفت واضعة يدها على فمها وفي عينيها ظهر الرعب متجل كأوضح ما يكون.. يبدو أنها سمعت آخر جملة قلتها.. ظللنا ننظر لبعضنا البعض ثم قالت هي بصوتٍ مرتجف:

- «آآآ أنا آسفة، أنا حجيب جاروف ألم الحاجات اللي اتكسرت وجمعلكم شاي تاني»

قالتها واندفعت نحو المطبخ، هممتُ بالذهاب وراءها لكن (كارما) جذبتني من يدي فالتفتُ إليها، نظرت لي بنفس الحنان وقالت هامسة كأن كل ما يحدث لا يعينها:

- «أدهم)، اللي بيحصل ده انت مالكش ذنب فيه، دي حاجة بسبب أبوك وحتروح لدكتور نفسي وحتعالج، أنا واثقة من كدا، زي ما أنا واثقة إنك مش إنت اللي قتلت، إنت لا يمكن تقتل يا (أدهم)»

قلت على الفور وأنا أشعر بارتباكٍ شديد وعدم القدرة على التفكير:

- «أنا بقولك مش متأكد إذا كنت عملت كدا ولا لأ، اللي بيح...»

وضعت أناملها على فمي لأصمت ثم قالت برقة والحب يقطر من عينيها:

- «ششش، إنت مش متأكد، بس أنا متأكدة، إنت ماقتلتش حد يا (أدهم)، وحتى لو قتلت، مش مهم برضو، المهم نكون

مع بعض، هو ده بس المهم، مش أي حاجة تانية»

كان كفها لا يزال يحتضن يدي فسحبت يدي من يدها  
فنظرت لي في لوم، أنا لا أصدق ما يحدث الآن، أحدثها عن  
أنني من الممكن أن أكون قد قتلت ثلاث فتيات، فتخبرني أن  
هذا لا يهم وأنها تحبني وأن ما يهم هو أن نكون سوياً.. شعرت  
أن كل هذا خطأ، قلت لها بصوتٍ خرج رغماً عني متحشراً:  
- «مش حينفع يا (كارما)»

قطبت حاجبيها ونظرت لي في عدم فهم فقلت:

- «أنا مش عايز أعمل معاكي زي ما كل اللي عرفتهم  
عملوا معايا، صحيح في الأول مشيت ورا كلام (وليد) وقلت  
مش لازم يكون في مسمى للعلاقة، بس لأ، لازم يكون في  
مسمى، ماينفعش نبقي عايشين كدا، كل واحد فينا شايف  
التاني بشكل، لو مش متفقين إننا صحاب أو إننا بنحب بعض  
أو.. أو.. يبقى مالهاش لازمة العلاقة من الأساس.. (كارما) أنا  
مش بعبك، مش حاسس ناحيتك بأي حاجة، ومش عايز أظلمك  
معايا، مش عايز أجرحك»

كانت تسمعني وملامح وجهها تتغير من الصدمة إلى  
الاستنكار إلى الغضب.. صاحت على الفور بعد أن انتهيتُ  
والدموع تملأ عينيها وتسيل على خدها:

- «تجرحني؟ إنت قتلتني ماجرحتيش، إنت دمرت حياتي»

نظرت لها وأنا لا أفهم.. أنا بالفعل لم أخبرها بغير الحقيقة ولم  
أفعل ما يوحي بعكس هذا.. أنا لم أخدعها، قلت:

- «أفكر إن أنا عمري ما قُلتك إني بحبك، عمري ما بينتلك ده، ليه بتقولي يا (كارما) إني دمرت حياتك؟ أنا فاهم مشاعرك بس أنا...»

انفجرت فيّ مقاطعة:

- «اسكت يا (أدهم)، كفاية.. إنت مش فاهم أي حاجة، ماتعرفش يعني إيه تحب حد الحب ده وبعدين فجأة متلاقيهموش.. (أدهم) إنت ماتعرفش أي حاجة عني، مش فاهم أنت كدا بتعمل فياً إيه.. أنا مش ببالح لما بقولك إنك بتدمرني باللي أنت بتقوله ده، ممكن تسكت؟»

قلت محاولاً تهدئتها:

- «(كارما)، أنا أكيد مش قصدي إني أ...»

- «اسكت!»

كانت صرختها عالية للغاية، حتى أنني أغلقت عيني بشكل لا إرادي، وعندما فتحتها وجدت على وجهها نظرة لم أرها من قبل..

عجيب هو حجم ما يمكن أن تحمله العينان من مشاعر..

كانت عينيها متسعيتين بشدة، حاجبيها مرتفعان، وزاوية فمها ترتعش.. أدت عيني إلى قبضتيها المضمومتان بشدة حتى أن مفاصلهما قد ابيضت من شدة الضغط.. لم تُثر فتاة خوفي من قبل، لكن (كارما) قد فعلت الآن لتوها.. فتحت فمي لأقول أي شيء لكن الكلمات احتبست في حلقِي.. اقتربت مني خطوة أخرى ثم قالت بصوتٍ أقرب للفحيح:

- «ما ينفعش تدمر حياة حد وتبقى مستتي إنه حيتفرج عليك  
وانت بتعمل كدا ، لأ ، ده حيدمر حياتك وحياة كل اللي حواليك  
كمان ، كلهم»

أيُّ حُمقٍ هذا؟ ماذا فعلت أنا لهذه المتخلفة؟ هذه الفتاة مختلة  
فعلاً.. كيف لم ألاحظ هذا من قبل؟.. ابتلعتُ ريقِي وقلت لها وأنا  
أرفع كفيَّ المفروودتين أمام صدري:

- «(كارما) ، إهدي»

أكملت هي في هيسستيريا تتصاعد مع كل ثانية تمر كأنها  
لم تسمعني:

- «انتوا ما بتحسوش؟ ما بتعرفوش اللي بيحب ده بيبقى حاسس  
بإيه ، ما بتفهموش ده؟ (أدهم) إنت زيك زيّه بالضبط ، ما فيش  
فرق ما بينكوا ، كلكم كده»

قطبت حاجبي وأنا أشعر بضربات قلبي تزداد.. أنا فعلاً لا  
أعرف تلك الفتاة التي تقف أمامي الآن.. (كارما) الرقيقة التي لا  
تكاد تسمع صوتها.. عمّن تتحدث هذه المجنونة؟ قلت:

- «إنتِ بتتكلمي عن مين؟»

ظَلَّت تنظر لي بكُرهٍ لم أره في عينيها من قبل ثم فجأة تفتق  
وجهها عن ابتسامة ساخرة ، وأدارت عينيها في الحجرة حتى  
استقرت على المنضدة العالية المجاورة للحائط تحت النافذة ،  
اقتربت منها في خطوات بطيئة ، ثم أمسكت بالفازة التي تعلوها  
وتأملتها عن قرب.. تحفزت من تصرفها هذا الذي لا أفهمه ، ظَلَّت  
تأمل هي الفازة في يدها ثم قالت دون أن تنظر إلي:

- «عارف يا (أدهم)؟.. أنا حياتي عاملة زي الفائزة دي بالضبط،  
تبان من برة جميلة، ومتماسكة، بس في الحقيقة، هي هشّة،  
وفاضية من جوا، وممكن تتكسر من أقل حاجة، بس المشكلة  
إنها لو اتكسرت مابترجعش ثاني زي الأول، مابترجعش أصلاً»  
قالتها ثم أفلتت الفائزة من يدها ف وقعت على الأرض وتهشمت  
بدويّ شديد وتناثرت قطعها عبر مسافة كبيرة، تأملت القطع  
المتناثرة على الأرض ثم رفعت عينيّ إليها وصحّت في غضب:  
- «إنتِ مجنونة!»

ظلت الابتسامة الساخرة الممزوجة بالمقت على وجهها وهي  
تنظر إليّ، ثم اندفعت نحو الباب في خطوات سريعة، تابعتها  
بعينيّ وأنا أشعر أنني قد فقدت القدرة على الحركة، ثم سمعت  
صوت باب الشقة وهو يغلق في عنف..

- «في إيه يا (أدهم)؟ (كارما) مشت ليه؟»

لم أرد بالطبع، نظرتُ لأمي وأنا أشعر بالبرودة في جسدي  
كله..

وكنت أرتجف..

من تلك الفتاة التي رحلت للتو؟..

من هي؟..



## «إبراهيم»

طرقت الباب هذه المرة وانتظرت حتى أتى صوته من الداخل  
فدفعت الباب وقلت أول ما رأيته:

- «أنا آسف يا باشا، إنْتَ طلعت معلم واللّه»

نظر لي بنفس نظرته الزجاجية ثم قال بهدوء:

- «طول عمري يا ابني، إيه الجديد؟»

ابتسمتُ واقتربت من مكتبه ثم جلست على أحد الكراسي  
أمام المكتب، فوضعت الملف الذي في يدي أمامه وقلت وأنا  
أعدّل من ياقة قميصي:

- «أنا دوّرت على كل البيكانتو الرمادي اللي بتبتدي بالأرقام  
دي، لقيت حوالي ألف عربية، فضلت وراهم لغاية ما جبت الألف  
اسم بتوع مُلّاك العربيات، ماكانش في ولا اسم له علاقة بعيلة  
(إدريس) دي خالص، قلت أدعبس شوية ورا (فريدة)، لغاية ما  
لقيت الاسم ده»

قلتها وأنا أفتح الملف على صفحة بعينيها وأشير إلى جزء  
فيها.. نظر للاسم المكتوب أمام إصبعي ثم رفع عينيه إليّ وقال:

- «ده جوز (فريدة)؟»

أومأت برأسي ثم قلت:

- «(أحمد مختار)، كان مهندس شغال في شركة، أهله

عاديين جداً ، مش عارف أهل (فريدة) بالثراء الفاحش ده وافقوا  
إنها تتجوزه ازاي»

رفع عينيه إليّ وبدا عليه أنه يتساءل عن علاقة ما أقوله برقم  
السيارة.. أخذت نفساً عميقاً وقلت:

- «(أحمد مختار) و(فريدة إدريس) اتجوزوا من حوالي ١٥  
سنة ، بعدها بحوالي سنتين مات في حادثة عربية وهو راجع من  
القاهرة ، ماكانوش خلفوا وهي ماتجوزتش حد بعديه ، المهم إن  
موضوع بنت (سعد الدين) ده حصل و(فريدة) سافرت لهم وبعديها  
بسنة رجعت زي ما سيادتك عارف ، بس الجديد بقى إنني لقيت إن  
في عربية في الألف عربية متسجلة بالاسم ده»

قلتها وتصفحت أوراق الملف حتى وصلت لورقة عليها شعار  
الإدارة العامة للمرور وأشارت للاسم وقلت:

- «سيادتك متخيل إن الاسم ده عدى علينا خلال التحقيقات  
وعمرنا ما فكرنا ندور ورا معلومة واحدة عنه؟.. فضلنا نراقب  
كل اللي كانوا في الرحلة زي ما سيادتك أمرت وكانت هي  
من الناس اللي ماشكيناش فيها خالص ، بتروح الكلية بعربيتها  
اللي ما اتذكرش رقمها أو موديلها في التقرير ، وترجع بيتها  
اللي زي ما متكوب في بطاقتها.. أنا مانكرش إن ده فيه تقصير  
كبير من ناحيتنا ، الرجالة بتوعنا كانوا بينفذوا اللي طلبناه  
منهم حرفياً من غير ما يجودوا ، ماחדش فيهم ذكر أي حاجة  
غير إن خط سيرها وتحركاتها ما تثيرش أي ريبة وإنها بنت  
عادية جداً ، لدرجة إنني طلبت منهم بعد كذا يوم إنهم يوقفوا  
مراقبتهم ليها ويركزوا مع (أدهم) و(ليلي) و(ياسمين) ، لأنهم

أكثر ناس ممكن يتشك فيهم»

قال على الفور:

- «فالح»

شعرت بالحرج وقلت:

- «عارف سيادتك، أنا لما لقيت البنت دي اسمها كدا،  
جاتلي فكرة مجنونة أنا كمان وطلبت من الجوازات إنهم  
يدوروا بالاسم ده على أي تحركات حصلت لداخل أو خارج  
مصر، وكانت هي دي بقى المفاجأة»

وتصفححت في الأوراق مرة أخرى حتى وصلت إلى صفحة  
بعينها ثم أبعدت يدي وقلت:

- «البنت دي ما خرجتش برا مصر قبل كدا، بس دخلت  
مصر على نفس الطيارة اللي كانت راجعة عليها (فريدة) من  
انجلترا بعد ما سافرت هناك لما (سعد الدين) مات»

تأمل الورقة التي أمامه ثم رفع عينيه إليّ دون أن يتكلم، قلت  
وقد أغازني انعدام الحماس الذي يعتريه برغم ما كشفته له  
لتوي:

- «وده معناه إن البنت دي ممكن تكون هي (أروى سعد  
الدين إدريس)»

ولأول مرة منذ فترة طويلة جداً هي عمر عملي معه أرى تلك  
النظرة في عينيّ (سيف)..

ذلك الرجل الذي ظننت أن لا شيء يثير انفعالاته..

نظرة انتصار..

تأملته وقد عرفت لماذا تكونت تلك النظرة في عينيه، ثم  
ابتسمت وقلت:

- «سيادتك كنت عارف، مش كده؟»

ابتسم دون أن يرد، فاتسعت ابتسامتي.. أنا فعلاً لم أعطه  
حقه من التقدير من قبل، وإن كنت أريد أن أعرف حالاً كيف  
استتج كل هذا.. ظل مبتسماً دون أن يتحدث فسألته لأنني فعلاً  
أريد أن أعرف:

- «سيادتك عرفت ازاي»

ظل ينظر لي بنفس الطريقة، ثم شررد بذهنه بعيداً وقال:

- «أول ما شفت العربية عند (فريدة) جه في بالي الأول إنها  
مالهاش علاقة بالعالم بتاعها، كل حاجة فخمة وغالية ما عدا  
العربية دي، وقلت ممكن تكون بتاعة الشغالة مثلاً، معلش  
يا (ابراهيم)، أنا عارف إن المدام عندها عربية زيها، بس لما  
انت وريتتي الصور بعدها جه في بالي فكرة غريبة.. لو انت  
عايز تخبي حد من عيلتك، حتخليه يعيش نفس العيشة اللي  
انت عايشها، ولا حتخليه عايش في مستوى متوسط، مايشيرش  
فضول حد، مافيش عربيات آخر موديل، مافيش فلوس أكثر  
من اللزوم، (فريدة) لما حتخرج مش حتخرج مع الشغالة أو مع  
حد مش من نفس مستواها، وبالتالي أكيد اللي معاها بعربيتها  
دي واحدة حتخرج معاها، وحترجع المكان اللي هي عايشة فيه  
دلوقتي من غير ما (فريدة) توصلها عشان ما تبقاش بتوصلها  
برولز-رويس.. Keeping low profile يا (ابراهيم)، الحل الوحيد

عشان (أروى) بنت (سعد الدين) تكون موجودة في مصر إنها تكون عايشة في مستوى مش مستواها ، وأكيد مش بإسمها»  
راقني تفكيره المنطقي الذي لا يتماشى إطلاقاً مع شرود ذهنه شبه الدائم.. لكن لا يزال هناك شيء ما غير منطقي لا يستسيغه عقلي.. قلت:

- «بس في حاجة ناقصة ، هو إيه اللي يخليهم يعملوا كل ده؟  
إيه اللي يخليهم يغيروا اسمها ويدوها اسم مستعار؟ ومعنى إنها طلعت رخصة وعملت بطاقة ودخلت مدرسة وبعدين كلية معناها إن الاسم ده بقى رسمي.. إزاي؟»  
فتح درج مكتبه وهو يقول:

- «إزاي دي ما تسألش عليها ، إنت ضابط وعارف إن في مصر كل حاجة بتمشي بالفلوس والعلاقات ، وزى ما أنت شايف هما ما عندهم نقص في الحاجتين دول ، أما ليه بقى ، فحتعرف حالاً»

قالها وأخرج ملف من الدرج ووضع أمامي وتراجع في كرسيه وهو ينظر لي بابتسامة لا تتماشى مع ما يحدث..  
تناولت الملف من على المكتب ، كان تقريراً مزيناً بشعار وزارة الخارجية..

تقرير عن ملابسات وفاة (سعد الدين إدريس) وابنته حسب ما ورد في تحقيقات سكونلانديارد..

وفاة (سعد الدين) وابنته؟

قلبت أول صفحة وبدأت أقرأ..

وأنا الذي كنت أتساءل عن السبب..

التقرير يتحدث عن تلك الفترة منذ خروج (أروى) من المستشفى بعد سنتين من دخولها وحتى وفاتها.. حسب ما ذكر في التقرير، باع (سعد الدين) بيته في لندن بعدها وانتقل هو وابنته للعيش في مدينة (بريستول) وابتاع بيتاً هناك، بعدها بحوالي ثلاثة أشهر قتل في منزله، ولم يكن موجوداً وقتها سوى (أروى)..

ثم يأتي أمتع جزء في التقرير، وهو ترجمة ما حصلوا عليه من التحقيقات الخاصة بسكوتلاند يارد..

تم قتل (سعد الدين) بواسطة سكين وهو نائم في فراشه.. طعنة في البطن، وعدة طعنات في أعضائه التناسلية.. ولا يوجد بصمات على سلاح الجريمة..

أغلقت ساقِيّ على الفور وأنا أتخيل حدوث ذلك، يبدو أن تلك الفتاة تعرف كيف توصل رسالتها بأكثر الطرق سلاسة.. أكملت قراءة..

استدعت اسكوتلاند يارد «صديقة» (سعد الدين)، والتي -حسب ما يقول التقرير- كانت ستكون زوجته قريباً جداً، لكن كان لديها حجة غياب محترمة، لذا نَفَتِ التهمة عنها.. ولم يتبقَّ للزملاء في اسكوتلاند يارد سوى ابنة (سعد الدين).. (أروى)..

بالطبع أتى الحديث عن حالتها النفسية وعن تلك الفترة التي قضتها في مستشفى الأمراض النفسية في لندن حتى خروجها

---

من هناك بعد أن «أصبحت قادرة على الاندماج في المجتمع»  
حسب ما كتب في التقرير..

ولم يحتج الأمر لكثير من البحث.. طفلة (سعد الدين)،  
والتي كانت تجاهد للوصول إلى سن المراهقة هي من قتلته،  
وتم وضعها في مصحة هناك تحت الحراسة..

ثم يأتي دور الجزء الأكثر تشويقاً على الإطلاق في تقرير  
اسكوتلاند يارد، وهو موت (أروى)!!..

حريق شبَّ فجأة في العنبر الذي كانت تمكث فيه (أروى)،  
يبدو أن الحريق كان عنيفاً فعلاً، إلا أنه لم يخلف عدداً من  
الجث المتفحمة، فقط ابنة (سعد الدين)..

يبدو -حسب ما ذكر هنا- أنها كانت في غرفتها وقت أن  
كانوا جميعاً في الحديقة في وقت الظهيرة، كما يبدو أيضاً  
أن أحدهم قد نسي إبلاغ أن رشاشات الإطفاء لا تعمل في غرفتها  
بالذات..

ولم يجدوا بالطبع من يتعرّف على الجثة سوى قريبتها الوحيدة  
التي كانت قد وصلت إلى (إنجلترا) فور وفاة شقيقها..  
(فريدة إدريس)..

تم اتهام المستشفى بالإهمال من قبل (فريدة)، إلا أنها -قبيل  
مغادرتها إنجلترا- تنازلت عن القضية بحجة أنها أرادت نسيان  
كل هذا الألم..

وبالطبع، انتقلت أملاك وثروات (سعد الدين) إلى أخته  
بحسب وصيته التي تركها قبل مماته..

ثم تترك (فريدة) إنجلترا وتعود لمصر وحدها..

انتهى التقرير، فرفعت عيني وأنا أتخيل عدد الأصفار على يمين المبلغ التي دفعته (فريدة) لأبي من كان كي تقنع اسكوتلاند يارد بكل سمعتها في حل القضايا أن (أروى) ماتت فعلاً.. يبدو أن «جاك السفاح» ليست القضية الوحيدة التي لم ينجحوا في حلها!.. النقود تتحدث فعلاً ليس في مصر فقط، لكن في أي مكان في العالم..

وبالطبع لم يكن استخراج جواز سفر مصري لها باسمها الجديد لتتنسب إلى زوج (فريدة) وتصير ابنتها التي لم تتجربها أصعب ما تم..

التفتُ إلى (سيف) الذي كان يطالعني وشبح ابتسامته على وجهه وهممت بقول شيء ما، لكن ومضَ شيء آخر في عقلي فجأة..

ياللغباء.. كيف لم أربط بين الأحداث قبل تلك اللحظة؟.. تلك الفتاة ابنة (سعد الدين) التي قتلت أمها من أجل أن تحتفظ بأبيها لها وحدها، ومن ثم قتلت أباهما بسبب عزمه على أن يتزوج بأخرى، ثم عادت إلى مصر وأحبت شخصاً ما بنفس قدر حبها لأبيها، ومن ثمّ تقتل الآن كل النساء من حوله كي تحتفظ به لنفسها فقط..

كيف لم أفطن من قبل أن ذلك الشخص الذي أحبته هو (أدهم) نفسه؟..

نظرتُ إلى (سيف) فاغرا فاهي فاتسعت ابتسامته وقال بهدوء

عجيب:

---

- «شكلك عرفت دلوقتي هي بتقتل اللي حوالين (أدهم) ليه»  
نظرتُ إليه بانبهار وقد عجز لساني عن الكلام.. ثم تذكرت  
شيئاً ما فقلت له أنا أشعر برأسي يكاد ينفجر:  
- «طيب إيه علاقة الكلام ده بـ(حسين) الدكتور أو (ريهام)  
أخت مرات (رضوان) باشا؟»  
اتسعت ابتسمته ولم يرد ، ثم قام من مقعده فجأة والتقط  
الچاكت من على الشماعة وقال وهو يتجه إلى الباب:  
- «يلا بينا يا (ابراهيم) ، مستني إيه؟»  
قمت من مقعدي وسألته:  
- «حنروح فين يا باشا؟»  
التفت إليّ وقال باستغراب:  
- «في إيه يا (ابراهيم)؟ أنا كنت بحسبك أذكي من كده ،  
حنروح لـ(فريدة) طبعا»..



## «أروى»

سأفعلها الليلة..

سرتُ خلفه بسيارتي منذ أن تحرك هو بسيارته من عند بيته  
إلى أن وصل للاستوديو..

ثم أوقف سيارته وانتظر..

أوقفتُ سيارتي على بُعد ناصيتين من حيث كان يقف ثم  
أطفأت المحرك وجلست داخل سيارتي أنتظر أنا الأخرى..

مرَّ حوالي ربع ساعة وهو يقف كالجماد عند نهاية الشارع  
الذي يقع فيه الاستوديو، ثم ربع ساعة أخرى..

لكني لم أمل..

لن أفعلها هنا بالتأكيد بينما لا يزال هناك من يمر في  
الشارع، لكنهما سيذهبان لمكان آخر حتماً بعد أن تخرج هي..  
من الجميل أنهم قد اختاروا هذه البقعة بالذات من (كفر عبده)  
كموقع للاستوديو، لن أجد مكاناً أفضل بالتأكيد..

فأنا أعلم أنه ينتظرها..

بالتأكيد ينتظرها..

وسأقتلها معاً..

وها هو باب الاستوديو يُفتح وتخرج هي منه وحدها..

(ليلي)..

---

طالما كرهتها ، منذ أن وقعت عيناى عليها أول يوم فى تلك  
البروفة السخيفة التى حضرتها معهم.. كان يجب أن يكون لى  
وقتها ، لا أن يتعرّف عليها..

كلهم يفعلون نفس الشىء.. أكون لديهم ، وعلى استعداد  
لفعل أى شىء لهم ، ثم يتركونى ويذهبون لأخرى تعذبهم وتحيل  
حياتهم جحيماً..  
ألا يتعلمون إطلاقاً؟..

تحركت فى خطوات سريعة وهى تنظر داخل حقيبتها ثم  
أخرجت هاتفها ووضعته على أذنها وهى تتجه إلى شارع جانبى..  
غريب هذا ، توقعت أنها ستذهب إليه فور أن تخرج ، لكنها  
استمرت فى المشى حتى اختفت فى ذلك الشارع ، هذا جميل  
وهذا ما بنيت عليه خطتى.. سنصير بعيداً تماماً عن أعين الناس..  
انتظر (أدهم) حتى اختفت داخل الشارع ثم ترحل من السيارة  
وسار خلفها..

لا أعرف ما الذى ينتويه مما يفعله الآن ، لماذا كان  
ينتظرها ، ولماذا يتبعها بهذه الطريقة المريبة كأنما يعمد ألا  
تلحظ وجوده؟.. لا يهم ، ستنتهى حياتهما البائسة الآن ولن أحتاج  
حتى إلى فهم ما يفعله (أدهم) بالضبط.. سحبت مفتاح السيارة  
من مكانه وهممت بفتح الباب ، لكنى لمحت باب الاستوديو  
يفتح مرة أخرى ورأيت (ياسمين) تخرج ، ثم تلتقط عيناها (أدهم)  
الذى يسير خلف (لىلى) فتتسمر ، ثم تغلق باب الاستوديو وتسرع  
الخطى خلفه..

الليلة تزداد جمالاً ، يبدو أن مصير تلك الفرقة سيكون إلى زوال الليلة بالذات..

فتحتُ الباب ، ولم أنسَ أن ألتقط ذلك الماسك المرعب من على الكرسي بجانبني. ظهر تحته السكين تلمع في ضوء الشارع الخافت الذي تسلل عبر النافذة.. كنت أرتدي القفازات السوداء بالفعل ، لذا التقطت السكين ثم خرجت وأغلقت باب السيارة خلفي برفق كي لا يصدر صوتاً ، ولم أهتم بغلق القفل المركزي للسيارة كي لا يثير صوته الانتباه ، ثم سرت خلفهم.. كانت (ياسمين) تسير وراءهم وهي تبقي على مسافة كافية كي لا يلاحظها (أدهم) ، في حين كان يبدو عبر هذه المسافة أن (أدهم) يسرع الخطى ويقترّب من (ليلي) ، يبدو أنه يريد اللحاق بها قبل أن تصل لسيارتها.

أسرعتُ الخطى حتى أصبحتُ على مسافة حوالي خمسة أمتار من (ياسمين) ثم ارتديت الماسك بسرعة وتأكدت من أنه يغطي رأسي بالكامل ثم أسرعت أكثر حتى لحقت بها..

لم أمهلها فرصة للاستدارة ، صحيح أنني أريد أن أرى الفرع في عينيها أولاً وهي ترى ماسك الغوريلا هذا الذي أرتديه ، شعور ألا تعرف ما هذا الشيء الذي يقتلك ، أن تموت من الرعب قبل أن تموت من الطعنات ، نفس النظرة التي رأيتها على وجه أمي يومها حين استيقظت من أثر الطعنة الأولى لتجد ذلك الوجه المرعب يحدق فيها..

هل تذكرت وقتها أنه نفس الماسك الذي أهدتني إياه في

---

عيد ميلادي قبل ثلاثة أشهر؟ أم أن الصدمة أنستها هذا وصارت  
تتسائل في اللحظات القليلة التي عاشتها قبل أن تفارق الحياة عن  
كُنه ذلك الشيء الذي ينتزع حياتها مع كل طعنة؟..

ثم أيُّ أم تلك التي تهدي ابنتها مثل هذا الماسك المرعب؟  
كم راقني هذا الشعور وقتها..

لكن الآن ليست (ياسمين) هي هدفي، صحيح أن قتلها  
يسعدني، لكن هناك من هم أهم..

ثم هي قد رأيتني من قبل في محاولتي الأولى لقتلها وهربت  
اللعيينة في تلك الليلة..

يكفي ما أصابها من الرعب ليلتها إذن، ولننهي الأمر سريعاً..  
وبسرعة تعودت عليها بعد الخبرة التي كونتها مع الوقت،  
أحطتُ فمها بيدي اليسرى كي أمنعها من الصراخ ثم ذبحتها  
بالسكين باليد الأخرى، وتعمدت أن أضغط جيداً كي لا أحتاج  
لأن أعيد ما أفعله مرة ثانية..

وبالفعل تهاوت (ياسمين) على الفور وهي ترفع يديها  
المرتجفتين إلى رقبتها..

لكن للأسف، صوت ارتطامها بالأرض وذلك الصوت  
الصادر من حنجرتها وهي تحاول أن تدخل الهواء إلى رئتيها من  
خلال عنقها المشقوق، والشبيه بصوت إنسان يغرق جعل كل  
من (أدهم) و(ليلي) يلتفتان للخلف..



ظلمتُ أتطلع إليها لوهلة من أعلى وهي تتمدد على الأرض..

جميل هو إحساس القدرة المطلقة هذا.. ثم رفعت يدي الممسكة  
بالسكين وهبطت على ركبتي وأنا أستعد لاستكمال ما بدأت..

لكي أخبرها آخر رسالة لها قبل أن تترك عالمنا..

أنني أكرهها كأنثى، وأكره كل أنثى مثلها..

ثم توقفت ونظرت إلى الناحية الأخرى من الشارع..

لا أعرف لماذا شعرت بوجودها في تلك اللحظة، لا بد وأن ما

يربطنا هو شيء يفوق قدرة البشر على الفهم..

وعلى مدخل ذلك الطريق الجانبي لمحتها..

كانت هناك، تقف دون حراك، كأنما كانت تتابع ما

أفعله بشغفٍ شديد، شغف مُعلم يرى تلميذه يفعل ما علمه إياه

بإتقان فاقه هو شخصياً..

كانت هي الجمهور..

لم أكن أرى وجهها الذي يغلفه الظلام، لكنني رأيت تلك

الأشياء التي كانت تلمع في وجهها..

هذان القرطان العملاقان وذلك الخاتم الذي يزين أنفها الذي

طالما أبهرني..

وفهمت لماذا هي هنا.. في هذا الوقت بالذات..

فقد أتت -بدون أدنى شك- كي تشاهد ما أفعله..

أو ما أنا على وشك أن أفعله..

وبهدوء شديد، لا يشي بذلك البركان الذي بداخلي، أشحت

بوجهي ونظرت مرة أخرى إليها..

إلى (سارة)..

ثم بدأتُ في فعل ما أنا قادمة من أجله..

وكان ما أفعله شنيع..

شنيع إلى أقصى درجة..

شنيع إلى درجة أنني رأيت - دون أن ألتفت لأنظر حتى إلى وجهها - أنها كانت تفعل آخر شيء يتوقعه من يشاهد ذلك الشيء المقزز الذي أفعله..

كانت تبتسم..



صراخ (ليلي) يكاد يوقظ الموتى في قبورهم.. ليس هذا ما أردته، ليس هكذا، اندفعتُ نحوها، صرختُ بشكل أعلى وهي تتراجع إلى الخلف، (أدهم) كان يقف متخشباً يراقب ما يحدث كالمسحورين، يبدو أن الصدمة ألجمته فلم يدرِ ماذا يفعل.. هذا جيد، سأنتهي الأمر معها ثم سأفرغ له بعد قليل..



لم ينظر إليّ حتى وأنا أمسك بمقبض السكين وأطعنه..  
لم يرني، كعادته، كأنني لست موجودة..  
بدا الألم على ملامحه، تقلص وجهه، ثم همد فجأة، قلبه الواهن لم يحتمل تلك المفاجأة..

لا، لا تمّت الآن، فلتشعر بكل طعنة، مثل تلك الطعنات التي انفرزت في قلبي وأنا أراك تريدها، تريد أن تتزوج ثانيةً من تلك

اللعينة، سأقتلها هي الأخرى، لقد قتلتُ من أجلك، قتلتُ أمي،  
والآن تريد أن تتركني لتعيش معها، تتركني مع (فريدة) أختك  
التي لا أعرفها تقريباً، لا تُمّت أرجوك، أريدك أن تتعذب، أريدك  
أن تشعر بما أشعر به الآن..  
لا تُمّت!..



- «(كارما)!»..

توقفتُ وأنا على قيد نصف متر من (ليلي) ونظرتُ للخلف..  
كان (سيف) يقف وبجواره شخص آخر كان موجوداً في  
التحقيقات بعد مقتل (مايا) العفنة، ويرفع كل منهما مسدسه  
في وجهي..

لقد ناداني بـ(كارما).. هو يعرف من أنا.. إذن لا داعي لادعاء  
عكس هذا..

مددتُ يدي ونزعت الماسك الذي أرتديه، ثم رفعت يدي  
وعدلت شعري لأنني أكره أن يبدو غير منمق أمام (أدهم)  
بالذات..

ألا يجب أن تكون آخر ذكرى له عني في أجمل صورة؟  
هو يبدو مصدوماً تماماً وينظر لي بعينين غير مصدقتين وقد  
ألجمته المفاجأة..

وقبل أن يفكر أيًا منهم في شيء ما يفعله، تحركت بسرعة  
نحو (ليلي) التي صرخت بصوت عالٍ وأحطت رقبته بيدي وأنا  
أرفع السكين وأقربها من وجهها..

- «كارما»، استنتي!»

التفتُ إلى (أدهم) الذي قالها في لوعة.. ألهذا الحد يخاف عليها؟ شعرت بغصة تعصر قلبي وضغطت بيدي على السكين أكثر حتى شعرت به يحتك بوجه (ليلي)..

- «كارما»، لأ!»

التفتُ بسرعة نحو مصدر الصوت.. صوتها المحبب، برغم قسوتها منذ اللحظة الأولى، إلا أنها فعلت كل شيء من أجلي، من أجل ألا تنتهي حياتي في تلك البلاد البعيدة التي لم أحبها أبداً..

(فريدة)..

لكنها خانتني الآن..

لماذا أتت مع هؤلاء الضباط إذن؟ لماذا يعرفون اسمي؟

هي أخبرتهم بكل شيء..

شعرت رغماً عني بدموعي تتكون في مقلتي، قاومتها، حاولت، لا أريد الظهور بمظهر الضعيفة الآن.. بينما يشاهدون سيطرتي عليهم، بينما يرون كيف سأنتهي حياة (ليلي) و(أدهم) وأدفن هذا الحب هنا كما دفنوا هم حبي بحبهم هذا، لكن دموعي خانتني هي الأخرى للأسف، وها هي تنساب على خدي.. شعرت بها كأنما تحتك بجلدي وتلهبه، يكفي ما رحل من كرامتي، ليس الآن، ليس هنا.. ليس لدي للأسف يد أخرى لأمسح بها دموعي، لذا تركتها تنساب وقلت وأنا أشعر بقلبي كأنما هناك من يعصره:

- «ماحدث فيهم حبني يا (فريدة)»

كانت هي تنظر لي في لوعة.. رأيت في عينيها الدموع لأول مرة أيضاً منذ فترة طويلة.. لماذا تبكين أيتها الخائنة؟ أنتِ مثلهم، فقط مثلهم، أنتِ أخته قبل كل شيء..

- «إنتِ قلتي لهم.. إنتِ قلتي لهم يا (فريدة)، فرقتي إيه عن أي حد منهم؟ إنتِ كمان ما حبتيش؟»

صرخت (ليلى) في تلك اللحظة والنصل ينغرز في عنقها من أثر ضغطي عليه، كانت ترتجف، مثلي، لكن شتان بين الأسباب..

- «(كارما) أنا بحبك»

- «اسمي (أروى)!»

رفعت أصابعها لتغطي فمها عندما سمعت صرختي، نعم أنا اسمي (أروى)، كل تلك الفترة التي أمضيتها ك(كارما) أثبتت أنها لا تعني أي شيء، (أروى) هي من تعلمت أن تدافع عن حيا ممن لا تعرف الحب، (أروى) هي من شعرت بمذاق الانتقام لأول مرة، (أروى) من كرهت فيهن الأنثى، (كارما) لا وجود لها وأكرهها كما أكرههن جميعاً وكما أكره أبي و(أدهم)..

- «قولي لهم أنا بعمل كدا ليه!»

قلتها وأنا أنظر إليها، عيناها الكحيلة، وقرطهيا الكبيرين، وذلك الخاتم الذي يشق أنفها، كان يجب أن تأتي منذ أن وصلت، لا أن تصل متأخرة كعادتها، لكنها على الأقل هنا، الوحيدة التي لم تتركني، الوحيدة التي لم تخونني.. نظروا

جميعاً إلى حيث أنظر ثم التفتوا لي مرة أخرى..

- «إنتِ بتكلمي مين؟»

ظلمتُ أنظر لها في انتظار أن ترد على (سيف)، لماذا لا  
تفعلين؟ لماذا تصمتين الآن؟

- «ردي عليهم، قوليلهم»

نقلت بصري بينها وبينهم، سيظنون أنني قد فقدت عقلي  
أيها الحمقاء..

- «(أروى)، سيبى السكينة، ما حدش حيعملك حاجة،  
(ليلي) ما عملت كيش حاجة، وأكد مش عايزة تأذيكي»

التفتُ إلى (سيف) الذي كان يبدو أكثر قرباً، لا بد وأنه  
كان يقترب مني ببطء دون أن أشعر، أحكمتُ من قبضتي  
والتفتُ إلى (إبراهيم) الذي كان يقترب في ببطء هو الآخر..

ثم فجأة لمحتة..

التفتُ متأخراً جداً نحو (أدهم) الذي كان الآن على بُعد  
خطوة واحدة عن يميني، أبعدت يدي عن (ليلي) بشكل لا إرادي  
والتفتُ إليه بجسدي كله..

التفاتتي جاءت في الوقت المناسب لأنني مددت السكين  
أمامي وأطبقت أصابعي حوله بكل ما أملك من قوة كي أذفع  
عن نفسي..

يبدو أنه أيضاً لم يفكر وهو يندفع ليزود عن (ليلي)..

وها هو الآن بقربي، كأقرب ما يكون..

حتى وملامح الألم ترتسم على وجهه..  
 ظللت أنظر في عينيه وأنا ما زلت أقبض على مقبض السكين  
 الذي كان يينغرز الآن في بطنه..  
 لم أوجه طعنتي هذه المرة، لكنها كانت تعرف طريقها من  
 تلقاء نفسها..

نفس نظراته، فقط هو كان لديه تجاعيد في وجهه وكان  
 أشيب الشعر..  
 لكنه هو..

الكثير من الصيحات والصراخ، عدة أشخاص تندفع  
 نحوي، ثم سمعت صوت (ليلي) وهي تصرخ باسمه وتندفع نحوه  
 فجذبت السكين بقوة من جسد (أدهم) ثم رفعتها لأعلى وأنا  
 أدور بجسدي نحو مصدر الصوت..

ثم سمعت صوت الطلقات وشعرتُ على الفور بالألم في ظهري  
 وذراعي..

وسقطت على ركبتي..

لكني لم أترك السكين..

أحكمت قبضتي عليها أكثر كما لو كانت هي كل ما  
 أتشبث به كي أظل على قيد الحياة..

لكن يدي تراخت رغماً عني وشعرت بالدم ينسحب من رأسي  
 فتهاويت على الأرض كأنني دمية، قصَّ أحدهم تلك الجبال التي  
 تحركها..

أهكذا شعروا إذن؟.. أن الحياة تنساب منهم وأن كل شيء

---

سينتهي؟ حياتهم، أحلامهم؟.. حياتي انتهت بالفعل قبل هذه اللحظة بكثير، منذ أن سلبتني أمي إياها، منذ أن فشلت في أن تحبني، وفشلت في أن تجعلني أحبها..

كنت أشاهد السماء أمامي، ملاذي القادم، هناك سأكون، بلا وعود لن يوفي بها أصحابها، بلا إحباط، سأجد من يحبني هناك بالتأكيد، سأجد من يقدر ما سأمنحه له..

كانت أطرافي تبرد بحق، أخيراً ستصير مثل ذلك القلب الذي لم ينبض لشيء إلا وابتعد عنه.. أخيراً سيتماشى وباقي جسدي، وسيسكن تماماً بعد أن حركه كل هذا الكره الذي نتج عن كل هذا الحب..

الرؤية تصير أكثر ضبابية، السماء تبهت، لونها يتحول من الكحلي إلى الأزرق إلى السماوي إلى اللبني..

لكني شعرت بتلك الدمعة الأخيرة تسيل من عيني وتحتك بإذني.. يداي فارغتان، لكني لا أستطيع رفعهما كي أمسح تلك الدمعة، كي لا تصير هي ما يتذكروني به..

ثم..

ثم اختفى كل شيء..



## «سيف»

- «بنت (سعد الدين إدريس)؟ سبحان الله!»

قالها (رضوان) وتراجع في مقعده وهو يشرد ببصره بعيداً..  
بإمكانك أن تكون عميقاً وأن يكون كل كلامك ذا قيمة ،  
فقط كن غنياً أو اجلس في مقعد يعطيك سلطة ما وسيصير  
كل كلامك كذلك ، لا تقلق!..

ظللتُ صامتاً طوال فترة صمته حتى حوّل نظره إليّ وتنهّد  
بعمق ثم قال:

- «أنا كنت أعرف أبوها كويس يا (سيف)، كان راجل  
كويس ، أنا نفسي أفهم إيه اللي وصل بنته لكدا»

تتحننحتُ لأسلك حنجرتي وبدأت أحكي..

عندما تحدثنا مع (فريدة) ، استطعنا أن نفسر الكثير من  
الأشياء التي لم نكن نفهمها..

زوجة (سعد الدين) كانت سيدة غريبة الأطوار فعلاً.. حاولت  
السيطرة عليه ، وإبعاد كل الناس عنه بشكل عجيب ، حتى  
أخته ، وكانت دائماً تشعر أنه سيتركها.. استعانت بكثير  
من الدجالين والمشعوذين ، حتى استطاعت إحداهن أن تسيطر  
عليها تماماً ، ثم صارت تسمع لكلامها في كل شيء.

حتى (أروى)..

(أروى) تعلقت بها ، أكثر من أمها بكثير..

بعد ما حدث، كان (سعد الدين) في حالة يرثى لها، فعل كل ما في استطاعته كي ينجح في ألا تذهب ابنته إلى الأحداث، وبالفعل، استطاع (حسين) أن يثبت أنها حالة فصام وأن يوصي بأن تدخل مصحة نفسية، بعدها استطاع (سعد الدين) أن يذهب معها إلى إنجلترا..

النوثة التي وجدناها في جيب (حسين)، والتي جعلتنا نعرف أن (ليلي) أخبرت (حسين) في البداية أن اسمها هو (أروى)، جعلتنا أيضا نشك لوهلة أن (ليلي) هي ابنة (سعد الدين)، أو على الأقل لا يزالان على علاقة ببعضهما البعض، إلا أن (ليلي) أخبرتنا بعد أن استجوبناها ثانية أن (أروى) هو اسم طفلة كانت معها في المدرسة، كانت تحبها جداً، ثم اختفت فجأة من المدرسة وقالت لها أمها أنها سافرت؛ لذا اختارت هذا الاسم بالذات عندما ذهبت للمرة الأولى إلى (حسين)..

(أروى) و(ليلي) كانوا أصدقاء، طفلتين في مدرسة واحدة جمعتهما صداقة بريئة، ثم تقابلا بعد عشر سنوات وكانت إحدهما على شفا أن تقتل الأخرى، دون أن تعرف أيهما بذلك»  
رفع حاجبيه ثم خفضهما وقال:

- «إسكندرية أوضة وصالة فعلاً زي ما بيقولوا، بس الصدفة دي بتحصل كل مليون سنة يا (سيف)»

أومات برأسي موافقاً واستمررت في الحديث..

بعد خروج (أروى) من المصحة في لندن وانتقالهم إلى بريستول، قرر (سعد الدين) أن يتزوج، في تلك الفترة كان

يحادث (فريدة) في الهاتف يومياً تقريباً ويحكي لها عن تصرفات (أروى) الغربية مع خطيبته، كانت تقول له أنه خائن، وكانت تنظر له بطريقة تخيفه، ومع كل هذا طلب من (فريدة) أن تأت لتتمكث مع (أروى) بعد زواجه، رحبت هي بذلك، خاصةً أنها لم ترزق بأطفال، واتفقا بالفعل على أن تأتي (فريدة) لتعيش في البيت مع (أروى)، فهو قد كتبه باسمها على كل حال، وسيشتري هو بيت آخر ليتمكث فيه هو وصديقته بعد زواجهما.. بعدها مباشرةً قُتل (سعد الدين)..

وتسافر (فريدة) ل إنجلترا، وتدبر حريق المستشفى لتثبت وفاة (أروى)، ثم تستخرج لها جواز سفر وشهادة ميلاد باسمها الجديد تثبت أنها ولدت في إنجلترا، وكانت واثقة بالطبع أن الشهادة لن يتم إثبات أنها مزورة لأنها ستستخدمها فقط في مصر، لتبدأ (أروى) حياة جديدة في مصر باسم (كارما)..

بعد أن وصلت مصر، اشترت لها (فريدة) شقة في منطقة (سموحة)، كانت المنطقة لا تزال بكر، لذا لم يسأل الجيران أسئلة كثيرة ولم يشغلوا أنفسهم بالقاطنين الجدد طالما لا يفعلون ما يثير الريبة، هم في حالهم، زيادة عن اللزوم في الواقع، لكنهم تغاضوا عن ذلك طالما لا يمسهم هذا بسوء..

كانت هناك مربية مقيمة معها طوال الوقت، يعرف الجميع أنها قريبتها التي ترعاها بعد موت أبويها، كما أحضرت لها مدرسين اختارتهم هي بنفسها، ليدرسوا لها في المنزل، جعلهم المبلغ السخي الذي يتلقونه يتغاضون تماماً عن الأسئلة التي لا طائل منها، وتحدث المعجزة وتثبت تلك الفتاة تفوقها وتدخل كلية الطب..

ويمكننا أن نتخيل هذه الطفلة التي لم تكن تتعامل إلا مع عدد محدود من الناس، ولا تخرج تقريباً إلا للضرورة، تجد نفسها فجأة في مجتمع الجامعة الصعب، حيث هناك من تمتد علاقتهم من المدرسة، وهناك من لا يجد صعوبة أبداً في الاختلاط بالناس.. لم تتأقلم، مع أنها كانت محط أنظار زملائها بسبب جمالها، وإن ابتعدوا عنها مع الوقت بسبب أنها غريبة الأطوار كما كانت تخبر (فريدة)..

ثم تُقابل (أدهم) فتحبه ويصير هو كل شيء..

إلى أن جاء الوقت عندما بدأت المريية تحكي عن تلك الأشياء الغريبة التي رآتها..

ماسك مرعب وجدته في غرفتها، سكين عليه آثار دماء، تحدثها مع أشخاص غير موجودين، حاولت (فريدة) أن تحدثها في هذا الموضوع إلا أن ردّها كان عنيفاً جداً، بعدها عرفت أن المريية اختفت، خافت في البداية أن تكون (أروى) قد قتلتها، إلا أنها حدثتها هاتفيّاً بعدها وأخبرتها أنها كانت خائفة.. خائفة لدرجة أنها انتهزت أن (أروى) خارج المنزل وتركته، لكنها أخبرتها أيضاً أنها كانت تتحدث مع تلك المرأة التي لا وجود لها وأخبرتها أنها قد قررت «قتلهم»، لا تعرف من هم لكن لا يوجد في حياتها الكثير من الأشخاص لحسن الحظ..

أخبرتنا (فريدة) عندما ذهبنا إليها أن تلك المكالمات كانت في صباح اليوم، حاولنا محادثة (أدهم) أو (ليلي) أو (ياسمين) إلا أن هواتفهم كانت غير متاحة، قال (إبراهيم) وقتها ملحوظة جيدة أنهم قد يكونون في الاستوديو لأن لديه تجربة سابقة في

أن العزل الصوتي في الاستوديو يحجب شبكة الهواتف النقالة  
كما يحجب الصوت، لذا اتجهنا إلى هناك على الفور، لكن  
متأخرًا للأسف»

- «و(أدهم) حالته مستقرة؟»

أومأت برأسي وقلت:

- «الحمد لله، الطعنة ماجتتش في حاجة من أجهزة الجسم  
الحيوية، بس هو لسا في المستشفى طبعاً»

مال إلى الأمام واستند بمرفقيه على المكتب ثم قال:

- «(سيف)، أنا عايز أشكرك على مجهودك ده، إنتَ قدرت  
تجَل قضية من أصعب القضايا اللي عدتَ عليا أنا شخصياً،  
والحمد لله، اللي قتلتَ (ريهام) أخذت جزاءها، صحيح إحنا  
ماقدرناش نعرف علاقة (أروى) بيها، بس بما إنها كانت بتروح  
لنفس الدكتور اللي كانت بتروح له (أروى)، وبما إنه هو نفسه  
اتقتل فأنا متوقع إن (حسين) هو همزة الوصل، مش مهم، المهم  
إننا عرفنا مين اللي قتلها.. الحمد لله»

قالها وقام واقفاً ومد يده إليّ ليصافحني..

لكني لم أمد يدي..

ظللت أنظر إليه دون أن أفعل..

عقد حاجبيه وهو ينظر لي باستغراب ثم بغضبٍ ثم صاح  
والشرر يتطاير من عينيه وهو يكوّر يده الممدودة:

- «إنتَ يا بني آدم أنتَ، أنتَ بتعمل إيه؟»

ظللت أنظر إليه وأنا أحاول جاهداً أن أعرف كيف يسيطر

على أعصابه لهذه الدرجة ، ثم قلت وأنا أبقى على التقاء أعيننا :  
- «في حاجة بس لسا ماقلتهاش لسيادتك ، الرائد اللي سيادتك  
بعته للمعمل الجنائي ، اتمسك وهو يحاول يسرق السيدييات  
اللي أنا قلت لسيادتك بس إن عليها تسجيلات جلسات الدكتور  
مع المرضى بتوعه من المعمل الجنائي ، وماحدث تاني كان  
يعرف الموضوع ده ، بس اللي أنا ماقلتوش لمعاليك.. إن مافيش  
تسجيلات من الأساس»

ثم أخذت نفساً عميقاً وأنا أراقب ذلك الشرخ الذي ظهر على  
ملامحه الجامدة ويده التي ارتجفت قليلاً ، ثم قلت بهدوء :

- «أنا فكّرت كتير قوي في موضوع (ريهام) أخت مرات  
معاليك ، مرواحها لدكتور نفسي ، وبعدها الدكتور يموت ،  
واللي موّتها يحاول يقلد نفس طريقة القتل بتاعة (أروى) ، أنا  
مابلّغتش معاليك بالمعلومة الأخيرة دي اللي ماكانش حنعرّفها  
لولا دكتور (حلمي)؛ لأن دي الفكرة المجنونة اللي جات في  
دماغي وقتها ، إن مافيش غير إن في حد بيحاول يوهمنا إن في  
قاتل واحد عشان يفلت هو ، كأنه مش موجود ، واللي أكد  
لي الموضوع ده قتل (حسين) وسرقة أي حاجة ليها علاقة  
بالمرضى ، ماعدا النوتة الصغيرة اللي كان فيها كلام عن  
(أروى) أو (ليلي) ، وما دام الشخص ده إيده طايبة لدرجة إنه يطّلع  
على تقارير معمل جنائي لجريمة ، وما دام يهमे إن اللي حكته  
(ريهام) للدكتور ما يظهرش ، لأنها أكيد بتتكلم عن علاقتهم  
-غير الشريفة- ببعض ، وأكيد ده اللي كان تاعبها نفسياً ،  
فمافيش ناس كتير أعرفها حوالين (ريهام) بينطبق عليه كل

الحاجات دي غير معاليك»

شعرتُ بالشَّرِّ يتجلى في عينيه ، فقلت بسرعة خوفاً من أن يُقدم على فعل شيءٍ متهور بحجة أنني أنا فقط من يعرف هذه المعلومات:

- «وطبعاً حرصاً على مكانة معاليك ورُتبتك فأنا بلَّغت المعلومات دي لجناب معالي الوزير شخصياً ، وهو حيقدر بنفسه حيتعامل مع معاليك إزاي»

ظل ينظر لي ، وإن اختلفت النظرة في عينيه كثيراً ، نظرة إنسان فقد كل شيء.. مؤلم أن ترى مثل تلك النظرة في مَنْ تعود أن ترتعد أطراف من ينظر إليهم ، يمكنك أن تضحك حتى البكاء وانتَ ترى فأر صغير يتعثر ، لكني أراهن أنك لن تشعر بنفس الشعور إذا حدث هذا الشيء لأسد ، شيء ما في داخلك سيجعلك تشعر بالشفقة..

ما أصعبه من شعور.. الضعف بعد القوة..

- «كان عندها كل حاجة ، جميلة ، رقيقة ، ماكانش فيها أي حاجة من أختها ، مراتي»

قالها وهو يعبث في أزوار أكمام البدلة بيده الأخرى ويشرد بنظره بعيداً.. لم أتوقع أن يحكي لذا بقيت على نفس الوضع أنظر إليه وهو يقول:

- «شغلتنا دي محتاجة معاها إن شريك حياتك يكون عكسك في كل حاجة ، محتاج حد يدلحك ، يرقص لك ، محتاج أنوثة.. وهي كانت من زمان بتعتبر إني أخوها الكبير ، كانت

بتحكيلى، كنت بشوفها، لبسها، جسمها، حركاتها، كان فيها كل حاجة أنا مفتقدها، كان لازم بعد وقت نعدي مرحلة إننا اخوات.. بس هي ماكانتش قادرة تستحمل»

قالها وبدا الحزن في عينيه.. تبًا، لقد كان يحبها فعلاً.. أكمل بصوت خفيض لم يليق في نظري بهيبته البادية عليه مما زاد من شعوري نحوه بالشفقة:

- «الموضوع ده كان مآثر عليها جداً، كانت مكتئبة، كانت بتقول إنها مش قادرة تبص في وش أختها، بطّلت تجيلنا، ماكانتش حتى بترد على تليفونات مراتي.. وبعدها كلمتني وقالت لي إنها مش قادرة تحتفظ بالسّر أكثر من كده، وإنها حتقول لمراتي، حاولت أقنعها، أقولها إنها كده حتدمر كل حاجة، بس هيّا ماسمعتش كلامي، كانت منهارة وماكانتش شايفة حل تاني للحالة اللي هي فيها ولضميرها اللي حيموتها.. وبعدها ابتدت حالات القتل مالاقيتش حل تاني غير كده.. كان في حل تاني؟»

قالها وهو ينظر إليّ فابتلعت ريقى، الرجل منهار بحق، خان زوجته مع أختها ولم يجد بُدًا لإخفاء جريمته سوى بقتلها ثم بقتل (حسين) الدكتور.. لا بد وأنه كان يبذل جهداً خرافياً كي يبدو بهذا الثبات وقوة الشكيمة، إلا أنه فقد السيطرة تماماً الآن.. دار بجسده ورفع عينيه يتطلع إلى شهادات التقدير والأوسمة المعلقة على الحائط خلفه، ومد يديه وأخذ يلامس بأصابعه إطار تلو الآخر حتى توقفت يده عند مسدس معلق وسط الأوسمة، لا بد وأنه يرمز هو الآخر لأحد إنجازاته، تحركت يدي رغماً عني

ولامست جراب المسدس المعلق في حزامي، الرجل حالته النفسية ليست على ما يرام ولا يمكن توقع تصرفاته بتاتاً.. قال دون أن يلتفت إليّ:

- «أنا إديت كثير من عمري للوزارة، أخذت رُتب وشهادات بس كنت دائماً حاسس إن ناقصني حاجة، لغاية ما علاقتي بـ(ريهام) اتطورت، وعرفت وقتها إن هو ده معنى الحياة، إن يبقى معاك حد عايز تروح البيت عشان تشوفه، إن كل اللي أنا وصلت له ده من غير وجودها في حياتي ولا حاجة»  
ثم أخذ نفساً عميقاً وقال:

- «بس أنا اخترت المنصب والحياة اللي أنا عرفت إنهم ولا حاجة، ودلوقتي هي راحت، وحتى الحياة اللي أنا اخترتها راحت»  
قالها وسحب المسدس المعلق من غمده فسحبت مسدسي بسرعة وقمت واقفاً وأنا أصوبه نحوه..  
لكنه لم يمهلني وقتاً للأسف..

بسرعة شديدة كأنما قد قرر أنه لا مجال للتفكير فيما رأى أنه التصرف الأمثل، رفع المسدس إلى رأسه وضغط الزناد..  
تناثرت الدماء وشظايا جمجمته على كل شيء، وشعرت ببعضها يلامس وجهي..

وتهاوى جسده على الأرض..  
ظللت واقفاً لثوانٍ ثم اتجهت نحو المقعد الذي كنت أجلس عليه فجلست..

أو بمعنى أصح أنهار جسدي عليه..

---

بيدو أن الجثث تتناثر في أي مكان أكون موجوداً فيه..  
أرحتُ رأسي للوراء وعقلي يعيد أحداث الأسابيع الماضية..  
أنا أيضاً حياتي بلا معنى..  
ولهذا السبب انفصلتُ عنها..  
على الأقل أنا اخترت..  
ولم أنتظر حتى أفعل ما فعله (رضوان)..  
سمعتُ طرقات على الباب وانفتح الباب بالفعل وسمعتُ أصوات  
مَن يندفع إلى الداخل، لا بد وأن صوت الطلقة قد جذبهم..  
لكني لم أبالي بكل هذا..  
أغمضتُ عيني..  
فأنا أحتاج للراحة..  
وأن يكون لحياتي معنى أنا الآخر..



## «أدهم»

لم أمت حتى..

لا أعرف لماذا كنت أفكر في (كارما) الآن، هي على الأقل استراحت مما هي فيه، لم يكن هناك مفر من ذلك العذاب سوى بالموت، مسكينة (كارما)، لكنها على الأقل قد استراحت إلى الأبد..

وبقيتُ أنا..

أنا سببٌ أساسي فيما حدث لها، عرفتُ تفاصيل قصتها من (سيف) الذي أمضى معي بعض الوقت، اعتذاره كان ضمناً، لم يقلها صراحةً، لكنني فهمت، على الأقل فعل شيئاً ما، تمنيت أن تفعل أمني نفس الشيء، هي تأتي إلى هنا كل يوم، تتحدث، تحاول على الأقل، في حين أظل أنا صامتاً حتى ترحل، لم يعد هناك ما يقال، انتهى الحوار بيننا منذ زمن، لم تعطِ ما يجب أن تعطيه عندما كان يجب أن تعطيه، كان عليها أن تتوقع أن الصلة بيننا ستكون فقط أننا نبئت تحت سقف واحد، وستكف هذه الصلة عن أن تربطنا في يوم ما، لست أظنه قريب لكنه سيأتي، لا أعتقد أنني أفكر في الارتباط والزواج الآن، سأحتاج لأن أكون مستقراً نفسياً أولاً، سأحتاج لأن أعرف ماذا يحدث في داخلي، أعلم أنني لم أقتل أحداً، على الأقل هذا يبث نوعاً من الطمأنينة المؤقتة..

لكنني لا أريد أن آتي إلى العالم بأطفالٍ مشوهين مثلي..  
هذا إن لم يكونوا أكثر تشوُّهاً..

أريد لأطفالي أن يكونون أفضل حالاً ، وهو ما لن يحدث أبداً  
لو ظللت كما أنا..

سأحتاج للتفرُّغ لدراسة نفسي في الفترة القادمة قبل أي شيء..  
كنت غارقاً في أفكارٍ عندما انفتح الباب وظهرت هي  
على عتبته..

لم أكن قد رأيتها منذ يوم الحادث ، لذا خفَّ قلبي نوعاً ما  
وأنا أراها الآن..  
(ليلي)..

كانت نظرتها تحمل الكثير من المعاني ، لا أعلم إن كنت  
قد فسَّرت الانطباع الذي ارتسم على وجهها بشكل صحيح ،  
لكن ما فهمت هو أنها تتسائل عمَّا تفعله هنا ، الآن.. يبدو أنها  
لم تفكر كثيراً قبل أن تأتي ، ساقتها قدماها إلى هنا بالذات..  
لم أعد أتق في التصرفات التي تنتج عن الرغبة الملحة تلك  
دون تفكير ، كنت أفكر لتوي في جدوى الزواج وأنا بهذه  
الحالة النفسية ، فما بالك لو ارتبطنا أنا و(ليلي)؟.. زوجان من  
المرضى النفسيين سيُحضران إلى الدنيا أطفالاً سويين حقاً..  
لا ، لن أفعلها ، لا أريد أن أكون سبباً في أن يتعذب طفلي ويظل  
يكرهني مع كلِّ نفسٍ يتنفسه.. وبالطبع لن نصير أنا وهي  
أصدقاء.. لا أعرف كيف يعود هؤلاء المتحابين أصدقاء بعد  
أن أذابهم كل ذلك العشق ، هذا شيء لا أفهمه من الأساس ولا

أستطيع أن أفعله، هذا طريق بلا عودة، تحتاج إلى قدر كبير جداً من خداع النفس كي تُقنع نفسك أنك تستطيع أن تجعله طريقاً ذو اتجاهين..

ظللنا نتبادل النظرات، قلنا الكثير فعلاً، كل ما لم يمكننا قوله، لكن صوتنا لم يعلُ على صوت وجداننا، وظللنا هكذا ثم ارتسم الأسى على ملامحها وأغلقت الباب..  
غادرت بلا رجعة..

أو على الأقل هذا ما أعتقده..

لا أنكر أن غصة اعتصرت قلبي بعد أن أغلقت الباب، لكن هذا أفضل كثيراً، على الأقل لن أستمر في علاقة بلا معنى، بلا مسمى، فلقد سأمت كل هذا..

شيء واحد ظللت أفتقده، وأشعر أنني أريد أن أغادر هذا الفراش فقط من أجل أن أذهب إليه..

الحقيقة أنه لا شيء آخر بقي على موقعه في قلبي بهذا القدر..  
البيانو..

نعم، فمع كل ما مرّ بي، ظل هو بجانبني، وظل ارتباطي به يدفعني ألا أسعد كثيراً بلقب «دكتور» الذي يظل الجميع يناديني به شاعرين بالفخر، بل سأظل أنا، ودائماً، في داخلي على الأقل، أحب الاسم الذي يجعلني أرتبط بهذا الشيء المخلص..

البيانست..